تأملات وخواطر

داعية



بقلم

كمال أبوسنة



كمال أبوسنة

تأملات وخواطر داعية

في

الدين والفكر والسياسة والحياة

الجزء الأول

الإهداء

إلى العلماء الدعاة العاملين الربانيين في كل مكان وفي كل زمان الذين يخشون الله ولا يخشون أحدا سواه...

{الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيباً }.[الأحزاب:39].

أبو عبير

يا رب:

رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلاَنَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة لابد منها

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا و سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أما بعد:

فالكلمة أمانة يجب أن تؤدى على الوجه الذي يحبه الله ورسوله، خاصة في هذا العصر الذي لم يعد يأبه فيه كثير من المتكلمين لما يقولونه، وقد حفظنا من حديث رسولنا الكريم قوله: "**إن الرجل ليلقي بالكلمة لا يلقي لها بالا، تهوي به في نار جهنم سبعين خريفا**"

فما بالك إذا كانت هذه الكلمة بالقلم مخطوطة، وبين الناس منشورة، وفي العقول محفورة، فالمسؤولية تكون بهذا أثقل، والحذر أوجب، وقد قال الشاعر الحكيم قديما:

ما من كاتب إلا سيفنى

ويُبقي الدهر ما كتبت يداه

لا تكتبن بيدك غير شيء

يسرك يوم القيامة أن تراه

هذا الكتاب بأجزائه هو في الأصل مجموعة من المقالات التي كتبتها في جريدة "البصائر" عميدة الصحف الجزائرية التي أُسست عام 1935م على يد الإمام المجدد المرحوم الشيخ عبد الحميد بن باديس، ولسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وقد شرفني الله -عز وجل- بأن أكون أحد المحررين في سلسلتها الرابعة، ولهذا وجب التنويه بأن هذه المقالات المنشورة في كتابنا هذا كتبتها أحيانا على مكث وروية، وأحيانا بسرعة قاعدا أو راكبا في ركني الأسبوعي الموسوم بـــ"**شاهد ومشهود**" الذي نُشرت أولى مقالاته في العدد 227 الصادر يوم 05 محرم سنة 1426هـــ الموافق لـــ 14فيفري سنة 2005م، ثم انطلاقا من العدد 678 الصادر يوم 07 محرم سنة 1435هـــ الموافق لـــ17 نوفمبر 2013م بدأت الكتابة في عمود جديد سميته "**بالمختصر المفيد**"، حيث سعيت قدر المستطاع -فيما أكتب- إلى أن أحارب باطلا، أو أناصر حقا، أو أصحح مفهوما خاطئا، أو أشارك أمتي أحزانها وأفراحها...

وأود أن أوضح أمرا مهما هو أن ما كتبته آراء وأفكار، وهذا العالم المعنوي ليس كل ما فيه ثابت، بل هناك ما هو معرض للتغيير لسبب

من الأسباب أهمها اكتشاف حق، ووضوح رؤية، والجميل أن توضع الآراء والأفكار في سياقها التاريخي حتى يكون النقد عادلا..!

ولقد تركتُ ترتيب المقالات كما نُشرت في الأصل بالبصائر، والله أسأل أن يجعل عملي هذا خالصا لوجهه الكريم، وأن لا يحرمنا أجره ونفعه، إنه غفور رحيم، جواد كريم، وصلى الله على نبينا محمد، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

كمال أبو سنة

هُم...ونَحنُ ! *

كتب الأستاذ الصحفي المصري محمد حسنين هيكل في جريدة "أخبار اليوم" عدد 1987/01/24م، مقالا تحدث فيه عن لقائه بالعالم الشهير " آلبر آينشتاين"، صاحب نظرية النسبية في الفترة الأولى لثورة 23 يوليو.

لقد كان الأستاذ هيكل ينتظر أن يدور الحوار بينه وبين هذا العالم الكبير حول قضايا علمية صرفة، بحكم التخصص العلمي المعروف به...بيد أن صاحبنا تفاجأ واندهش حين وجد صاحب نظرية النسبية يُبادره بالسؤال عن قادة ثورة يوليو، لهذا علّق "هيكل" قائلا:

"إنه لم يخطر لي أن لديه ما يسألني فيه...الطبيعي أن أسأله أنا"..!

وكان سؤال "آينشتاين" كالتالي:" هل تعرف ما الذي ينوون عمله بأهلي؟"

يقول الأستاذ هيكل:" ومرة أخرى كانت دهشتي حقيقية"، ثم أضاف آينشتاين قائلا:" أهلي من اليهود...هؤلاء الذين يعيشون في إسرائيل".

قال" هيكل" بعدها:" وتذكرتُ لحظتها فقط – حقيقة – أنه يهودي...كان في وعي وفهمي وتقديري باستمرار، أنه "العالم" ولم أصنفه في خاطري على أساس ديني، أو عرقي، وهاهو ذا الآن يسألني عن أهله في إسرائيل، أول سؤال"!!!

---

* جريدة البصائر العدد 227 .

وآينشتاين هو نفسه الذي قال ذات يوم ردا على سؤال أحد الصحفيين: "اليهودي وإن بدّل دينه يبقى يهوديا".

إن إخلاص هؤلاء القوم لقضاياهم، وحبهم لأبناء جلدهم، رغم بُعد المسافات، واختلاف المواقع، يثير الدهشة، ويظهر بوضوح لماذا -وهم شرذمة قليلة- استطاعوا أن يُرغموا أنوف أكثر من مليار مسلم في طينة الذل والهوان...!

لقد استطاع طبيب يهودي بمفرده في أمريكا، بفضل أمواله التي جناها من تجارته الواسعة، أن يبني عشرات المستوطنات في فلسطين المحتلة، كي يسكنها اليهود القادمون من أنحاء العالم...!

وفي المقابل قرأت في صحيفة "فرنسية"، أن غنيا من أغنياء العرب، حجز فندقا بأكمله، كلفه أموالا طائلة، ليقيم حفلا أسطوريا لقطه المدلل الذي "تزوج" قطة فرنسية ملكا لامرأة، هي الأخرى فرنسية..!

فهل أدركتم لماذا انتصروا هم، وانهزمنا نحن؟!

للأقصى رب يحميه ...و لكن ! *

في عام 1897 م– والعرب والمسلمون في حالة سبات عميق – انعقد مؤتمر صهيوني كبير في مدينة "بال" بسويسرا ضم مفكري وزعماء اليهود في جميع أنحاء العالم، وبعد مناقشات طويلة أقروا فكرة الزعيم الصهيوني" هرتزل "، الأب الروحي للحركة الصهيونية العالمية، بإقامة "دولة صهيونية في فلسطين"، وتشجيع الهجرة اليهودية إليها لتتحول فيما بعد إلى إمبراطورية يهودية صهيونية كبرى تمتد حدودها من النيل إلى الفرات اعتمادا على تعاليم التوراة المحرفة، ويُطلق – كما تزعم هذه التعاليم التوراتية – اسم " أرض المعاد " أو " أرض إسرائيل الكبرى " على الجزء الواقع جنوب غرب آسيا والذي يضم فلسطين ويُضاف إليها لبنان والأردن وأجزاء كبيرة من مصر وسوريا والعراق والسعودية والكويت وحتى تركيا...و الوالج إلى مبنى البرلمان الإسرائيلي المسمى " الكنيست " ستواجهه صورة خريطة إسرائيل الكبرى التي لا تزال معلقة فيه حتى هذه اللحظة، ولعل بعض الزعماء والوزراء والسفراء من بني يعرب الذين دخلوا " الكنيست " قد شاهدوا ذلك بأمّ أعينهم, وغضوا الطرف – ربما –حياء أو حرجا..!

والحق أنه لا يوجد اختلاف بين التفكير الرسمي والتفكير الشعبي في ما تُسمى بدولة إسرائيل اليوم، فالجميع هناك يتبنى التطرف ولكن بطُرُق

* جريدة البصائر العدد 236 .

ووسائل متعددة، ولا تُستغرب محاولات الأصوليين المتطرفين اليهود- وعلى رأسهم حركة "ريفافا " - الذين هددوا ويهددون بنسف المسجد الأقصى لبناء هيكلهم المزعوم على أرضه المقدسة التي باركها الله عز وجل، ما دامت قلوب الساسة ورجال السياسة اليهود- و من اهتدى بضلالهم- معهم، وما دام المليار مسلم — وعلى رأسهم القادة العرب والمسلمون — لا يُحرِّكهم بُكاء صبي يُتِّم، وعويل امرأة رُمِّلت، ونحيب عجوز فقدت فلذة كبدها، وصراخ فتاة في مقتبل العمر انتُهك عرضها، وآهات أسير مُزِّق جِلْدُه من كثرة الجَلْد و هُشِّم عظمه من شدة التعذيب الوحشي، واستنجاد شيخ كبير قد وَهن عظمه واشتعل رأسه شيبا، اعتدي عليه أمام " كاميرات " العالم المتحضر الذي يجزع لموت " كلب " أو " قط " — مع خالص احترامنا لهما - ولا ينتفض لإبادة شعب بأكمله لا يملك إلا الحجارة سلاحا يدافع به عن بقية من الكرامة العربية والإسلامية المنهوكة..!

ورغم كل المؤامرات الإسرائيلية التي تُحاك ضد " المسجد الأقصى " لهدمه، فإن عين الله تحرسه، ويده القوية التي تعمل في الخفاء ستحميه، وطيور الأبابيل " أطفال الحجارة الأبطال " لن يتركوا " أبارهة " بني إسرائيل يفعلون فعلتهم الشيطانية تلك دون مقاومة تردُّهم و تردعهم، فبنو إسرائيل يمكرون، ويمكر الله، والله خير الماكرين..ولكن لا نامت أعين الجبناء الساكتين!

البحثُ عن " ظَـــهْـــرٍ " للمسلمين ..! *

كنتُ واحدا من الملايين الذين تابعوا باهتمام عبر القنوات الفضائية ما جرى في دولة الفاتيكان، بدءا من مرض البابا الراحل "يوحنا بولس الثاني" إلى غاية تنصيب البابا الجديد"بنيديكت السادس عشر" على رأس الكنيسة الكاثوليكية التي يدين لها السواد الأعظم من المسيحيين في أنحاء العالم ..

وقد هالني ما رأيته من واسع التغطية الإعلامية العالمية لمجريات الأحداث داخل البيت الكاثوليكي، والتعظيم المذهل الذي حُظيت به جنازة البابا التي حضرها جمهور غفير من المسيحيين المخلصين للصليب، و جمع كبير من الملوك و الزعماء والساسة من مختلف الأوطان و الإيديولوجيات والأديان و الطوائف و الأعراق..!

بيد أنني حين تتبعتُ سيرة و مواقف البابا" يوحنا بولس الثاني " سكت عني العجب، و تملكني الحزن، و تبدلت الأرض غير الأرض من حولي، و قلت في قرارة نفسي:" لا يُذل قوم من أبناء الإنجيل (المحرف) و فيهم مثل هذا البابا"...فالرجل عاش حياته الطويلة في سبيل خدمة دينه و مذهبه وفصيلته التي تُـــؤْويه، و هو صاحب شجاعة أدبية وعزة نفس عالية حوَّلت الساسة إلى عيال أمام حضرته، إذا قال سمعوا، و إذا أمر أطاعوا، و إذا مرض توجَّعوا، حتى إذا عطس في مكتبه بالفاتيكان

* جريدة البصائر العدد 237 .

شمَّتوه من مكاتبهم في كل مكان قائلين :" يرحمك الله يا قداسة البابا "..!

لقد ظهر جليا أن المسلمين المُهَدَدِينَ في دينهم و دنياهم-في عصرنا الحالي- أكثر احتياجا من أي زمان بائد إلى علماء دين مسلمين من طينة هذا الرجل شجاعة و عملا و تضحية لا اعتقادا ومذهبا و انتسابا، فأبناء التوحيد في كل فج عميق يشعرون باليـــُتم و المهانة و الدونية بعد أن تداعت عليهم الأمم كما تداعى الأكلة الجائعون على القصعة المليئة بأشهى أنواع الطعام، فلا يجدون لهم من دون الله وليا و لا نصيرا، و لا يلتجئون من شرٍّ عدوٍّ إذا تجبر و اعتدى عليهم إلا إليه..!

و الغريب أن بعض "أحبارنا" في العالم الإسلامي قد يرفعون أصواتهم بسبب مناقشة مسألة فقهية فرعية خلافية تكاد السموات يَتَفَطَّرْنَ من رفع عقيرتهم عاليا وتَنْشَقُّ الأرض وتَخِرُّ الجبال هَدًّا، ولكن في القضايا المصيرية الخطيرة التي تواجه الأمة الإسلامية المهيضة لا نسمع لهم قولا و لا همسا، وإذا نطقوا كان سكوتهم-في أحوال كثيرة-أجدى من نطقهم، ولله في خلقه شؤون..!

إن القذائف التي يتلقاها الإسلام من خصومه الماكرين كثيرة وشديدة، و هو في هذه الأيام الكالحة بحاجة ماسة إلى جميع طاقات أبنائه على اختلاف مستوياتهم و أعمارهم وأمصارهم كي يسدوا الفُرَجَ، ويخوضوا اللُجَج، ويُقوِّموا العِوَج، و يرفعوا الحرج، و يقفوا في الثغور

منافحين عن بيضة الدين والأمة، وإن يتولوا يستبدل الله قوما غيرهم ثم لا يكونوا أمثالهم، ولله الأمر من قبل و من بعد، ولكن أكثر الناس لا يعلمون ..!

كافِرٌ يصَّعَدُ إلى السَّماء ومُسْلِمٌ أَخْلَدَ إلى الأَرْض! *

نعمة العقل لا يجحدها إلا امرئ هيمي الهوى ولا يجلّها سوى أهل الرسوخ في العلم، و البون شاسع بين من يمشي من أجل بطنه، و من يمشي على رجلين مُقَدِّرًا مواضع خَطْوِه بتشغيل آلة التفكير التي كُرِّمَ بها، ومن يكاد يمشي على أربع مَثلُه كمَثل العير في البيداء يقتلها الضما و الماء فوق ظهورها محمول ...

و لا يكون من زمرة العاقلين العارفين الشاكرين مَنْ سخر هذه النعمة الجليلة التي آتاه ربُّه ليهلك الحرث والنسل و ينشر في أفانين الأرض الفساد, و إذا قيل له : لا تفسد في الأرض، قال:إنما أنا من المصلحين، و أخذته العزة بالإثم ..!

الإبداع الفكري الحر في كل الميادين منطلق هام لبناء الحضارة، و أي أمة عَدِمَت الحرية و حُوصرت في سَمِّ الاستبداد و القهر لن تستطيع الخروج من ظلمات الجهل و التخلف إلى نور الرقي و التقدم، و لا يمكنها التحول من سيطرة الاستعباد و الحَجْرِ إلى سعة العزة و الكرامة و الاستقلال الـــتَّام ..

لقد تابعتُ باهتمام المحاولة التجريبية الأولى لتحليق الطائرة الأوروبية الجديدة العملاقة (أرباس A 380) التي تتسع لأكثر من خمسمائة راكب وهي تعلو السماء و تشق عبابها باقتدار و رشاقة رغم ضخامتها

---

* جريدة البصائر العدد 238 .

المذهلة و ثقل وزنها، و لكنه العقل الغربي الذي لا يؤمن بالمستحيل، و يفتح العنان لفكره حتى يُبْدِع و يأتي بالجديد الذي صَعُبَ الإتيان به على الأوائل والأواخر .!

إن هؤلاء القوم لم يكتفوا ببلوغ السحاب و السير في دروب القمر حتى أرسلوا مراكبهم الفضائية إلى المريخ ليتحسسوا من أخباره، و لم يكتفوا بصناعة الجواري المنشآت في البحر كالأعلام حتى انطلقوا غائصين في أعماق المحيط ليكتشفوا أغواره، ويفقهوا أسراره، و يُسَخِّروا ما يخرج من بطنه من أنواع الخيرات ليزدادوا قوة إلى قوتهم..ورحم الله الإمام ابن الجوزي الذي قال من قرون ناصحا الأمة الإسلامية كي تكون سبَّاقة في كل ميدان، وإلى كل فضل :"ينبغي للعاقل أن ينتهي إلى غاية ما يمكنه, فلو كان يتصوَّر للآدمي صعود السموات لرأيت من أقبح النقائص رضاه بالأرض، و لو كانت النبوة تُحصَّل بالاجتهاد رأيت المقصر في تحصيلها في حضيض ".

قال الشيخ العلامة الربَّاني محمد الغزالي في كتابه(مشكلات في طريق حياتنا الإسلامية) معلقا على كلام الإمام ابن الجوزي –رحمهما الله تعالى- :"وابن الجوزي من علماء القرن السادس الهجري ولو رأى المسلمين الآن في عصر الفضاء ينظرون إلى غزاة الجوِّ ببلاهة لحمل السوط و جلد به الظهور، و لبرَّأ الإسلام من هذا الانتماء المخزي"!!!

أجل، كيف السبيل إلى إعادة مجد الأمة الإسلامية التليد في عَصْرٍ كل مخترعاته جَادَت بها عقول الغرب وصنعتها أيديهم، وبالمقابل نجد في

زاوية من زوايا المكتبة في البلاد الإسلامية مهندسا أو طبيبا أو صيدلانيا أو فيزيائيا أو كيميائيا مشغولا بالرد على المعتزلة و الجهمية و باقي الفِرَقِ المنقرضة منذ قرون خَلَت !؟

لا نُرِيدُ أَجْيَالا كخُشُبٍ مــُسَــنَّــدَةٍ..! *

من قرأ كُتُب الأولين والآخرين من أهل التربية و التعليم —ما عدا الشاذ منهم الذي لا يُحفظ و لا يُقاس عليه أمثال بن زاغو و من ركب سفينته المخروقة- سيرى بعين اليقين التي توصله إلى حق اليقين أهم مُجْمِعُونَ على عدم تقديم صناعة الأجساد على حساب تزكية الأرواح وتنقية النفوس، وإن جُمع بين الحالين كان ذلك أجمل و أكمل، فالمؤمن القوي خير و أحب إلى الله من المؤمن الضعيف، و في كلٍّ خير، و قديما قال الشاعر الحكيم :

يا صَانع الجسْم كَمْ تَشْقَى لَخِدمَتِهِ

أَتَطْلُبُ الرِّبْحَ مما فِيهِ خُسْرَانُ

أقَبل عَلَى النَّفْسِ و اسْتَكْمِلْ فَضَائِلَهَا

أَنْتَ بِالنَّفْسِ لَا باِلجسْمِ إِنْسَانُ

و لله درّ أمير الشعراء أحمد شوقي-رحمه الله- حيث يقول:

صَلَاحُ أَمْركَ لِلأخْلَاقِ مَرجعُهُ

فَقَوِّم النَّفْسَ بالأَخْلَاقِ تَسْتقِمِ

ومالي أذهب بعيدا و أجول على حواف الجداول الصغيرة و الآبار الضيقة، و أترك البحر الزاخر الممدود الذي لا ساحل له إمام المربين

* جريدة البصائر العدد 239 .

الذي بُعث لـــيُتَمِّمَ مكارم الأخلاق، وقدوة العالمين، و رسول الله إلى الثقلين، والصادق المصدوق، و الأمين المعصوم-صلى الله عليه و سلم- القائل بصوت جَهْوَرِي مسموع للسلف و الخلف من أمته :"إنَّ من أَحبِّكم إليَّ، وأَقْرَبِكُم مِنِّي مَجْلِسًا يَومَ القِيَامَةِ أَحَاسِنُكُم أَخْلَاقًا" رواه الترمذي.

و هل استطاع محمد-صلى الله عليه وسلم-أن يبني أعظم أمة أُخرجت للناس إلا بعد جهاد طويل قضاه في تربية النفوس و تخليتها مما أُلهمت من فجور، و تحليتها بالتقوى وجميل العوائد و الأخلاق!؟

وأُقسم بالله الذي رفع السماء بلا عمد ترونها، و إنه لقسم لو تعلمون عظيم، لن يفلح قوم يبنون بكل ريع آية يعبثون، ويتخذون مصانع لعلهم يخلدون، و يسعون وراء كل وسيلة ترتقي بهم إلى شاهق التطور المادي، و لكنهم يذهلون- سهوا منهم أو مكرا - عن بناء الأنفس التي بين جوانب أفرادهم صغارا و كبارا، إناثا و ذكورا، و هي الأحق بالاعتناء والتخطيط لما يصلحها و يهديها إلى سبيل الرشاد والفلاح..!

ألم يأتك نبأ منظومتنا التربوية التي هيأت لتدريس الموسيقى أستاذا متخصصا، ولتدريس الرسم أستاذا متخصصا، وللتمرين الرياضي أستاذا متخصصا- وقد أصبحت الرياضة مادة يمتحن فيها إجباريا تلاميذ شهادة التعليم الأساسي و طلبة شهادة البكالوريا فتعز من تشاء و تذل من تشاء - أما لتدريس ما تبقى من قليل مادة التربية الإسلامية

المظلومة فمن هبَّ و دبَّ، فهل يستوي الذين يعلمون و الذين لا يعلمون!؟

أخشى ما أخشاه أن تصبح مدارسنا ومعاهدنا و جامعاتنا مؤسسات تَبِيضُ أجيالا كالخشب المسندة، فارغة من الروح و المُــثل العليا، جانحة إلى الحياة المادية المترفة على مذهب الذين أضاعوا الصلاة و اتبعوا الشهوات، بعيدة عن الله الذي لا تذكره إلا لتسبَّه، غارقة في نوم عميق والخصوم حافين من حولها ليصيبوها في مقتل...

و أخوف ما أخافه أن ينشأ الشباب الجزائري على حين غفلة من أهله لا كما تــَمَثَّله فخر الجزائر بلا منازع الإمام محمد البشير الإبراهيمي– رحمه الله– في مقالته العصماء المشهورة "الشباب الجزائري كما أتمثله"، وإنما كما تــَمَثَّله " ديغول " و " لاكوست"و" لافيجري"... و تلك هي الطامة الكبرى .!

خلف على هامش التاريخ ! *

الرجال في الدنيا ثلاثة: **رجل على هامش التاريخ**، وجوده كعدمه، وكأنه لم يكن شيئا مذكورا، **ورجل صنعه التاريخ**، استيقظ ذات صباح فوجد نفسه شمسا والآخرين كالكواكب، إن بَدَت لم يظهر منهن كوكب، **ورجل صنع التاريخ**، بأعماله ومواقفه ومآثره ومحاسنه، فشغل ذِكْرُه الناس- أصدقاءِ وخصوما- في حياته وبعد مماته، وأتعب كل من يأتي بعده...

فمن سنن الله في خلقه أن نجد في مراحل تاريخية تترا فئة كثيرة كـ"أُفّ" ٍ، ورجلا فَرْدًا كـ"أَلْـف" ٍ، أُمَّة لوحده، مثل الرواسي الشامخات ، بل لو عُرِض على الجبال أن تحمل ما تجشمه من أعباء لأعرضت، ولو تحملتها كَرْهًا لرجفت وكانت الجبال كثيبا مهيلا..!

من فقه عمر-رضي الله عنه- الواعي أنه كان يُقَدِّر الرجال، ويقدمهم على العدة والعتاد، ويعرف للرجولة -لا الذكورة- منزلتها، ولهذا تمنى ذات يوم لو كان بيته مملوء برجال أمثال أمين هذه الأمة أبي عبيدة عامر بن الجراح -رضي الله عنه-، وحين حمي الوطيس وتطايرت الرؤوس والأشلاء في بعض معارك المسلمين أرسل قائد جيش المسلمين يومذاك خالد بن الوليد-رضي الله عنه- برسالة نجدة إلى الخليفة "أبي

---

* جريدة البصائر العدد 240 .

بكر" لـــيُمْدِده بآلاف من الجنود مردفين، فأرسل إليه رجلا واحدا، وقد حمَّله رسالة إليه يقول له فيها ما معناه:

"من خليفة رسول الله أبي بكر إلى سعد بن أبي وقاص لقد أرسلتَ إليَّ تطلب مني المدد، وإنِّي أمدك بـــ" القعقاع بن عمرو" إنه رجل بألف ولا يُهزم جيش فيه القعقاع".

ولأن سيف الله المسلول خالد بن الوليد-رضي الله عنه- كان يعرف معدن رجاله من صحابة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بعث برسالة إلى ملك الروم مهددا ومتوعدا جاء فيها أنه سيبعث إليه برجال يحبون الموت كما يحبون هم الخمر، فارتعدت فرائس الملك العلج المغرور الذي أرسل برسالة عاجلة إلى ملك الصين طالبا منه المدد والنجدة، فرد عليه هذا الأخير برسالة اعتذار قائلا له فيها:" لا قبل لي بقوم لو أرادوا نزع الجبال لنزعوها"!

تلك أمة من السلف قد خلت لها ما كسبت من الأمجاد والبطولات والمواقف الشجاعة في خدمة الإسلام والتضحية في سبيل الله، وللخلف ما كسبوا من هوان يتجرعونه ويستسيغونه-للأسف-أناء الليل وأطراف النهار، وجديد الإهانات الموشومة على جبينهم تدنيس القرآن الكريم من طرف المحققين الأمريكيين في معتقل "غوانتنامو" الذين أدركوا وجرَّبوا أن المليار وما يقارب نصف المليار من المسلمين هم أشبه بغثاء السيل بعد أن نزع الله مهابتهم من قلوب أعدائهم، وقذف

في قلوبهم الوهن، وما أدراك ما الوهن؟ إنه حب الدنيا وكراهية الموت!!!

والحق أن المسلمين -حكاما ومحكومين- ما داموا يحيون بعقلية ونفسية ﴿ **فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُون** ﴾ فستبقى الإهانات تتلاحق، ولن تقوم للأمة قائمة وهي على هذا الحال، لأن الله لا يغيِّر ما بقوم حتى يغيِّروا ما بأنفسهم، فإن تغيروا وغيروا ألبسهم الله لباس العزة والكرامة، ورفع قدرهم، ونصرهم على من عاداهم، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله..

" الأئمة " محمد البشير الإبراهيمي–رحمه الله–*

من تواضع التقدير، وحسن نية التصوير، وَصْفُ العلامة محمد البشير الإبراهيمي–رضي الله عنه– بـــ "الإمام"، بصيغة المفرد، وهو صاحب بَسْطَةٍ في العلوم والمعارف، وغزارة إبداع أدبي وعلمي، وتبحر موسوعي في فنون شتى، وتاريخ نضالي طويل في ميادين عدة من أجل الوطن والدين...فمن حقه المكتسب عن جدارة أن يُلقّب بـــ "الأئمة" فهو جمع غفير من الأئمة في بدن رجل فرد ألمعي أريحي أحوذي نسيج وحده لم يُولد مثله في الآخِرين، وليس بعزيز على الله أن يجمع العَالَم في عَالِم..

كان الإمام الليث أفقه من الإمام مالك –رحمهما الله– بيد أن أهله ضيَّعوه، وأضاعوا علمه، بشهادة فقيه عصره –بل كل العصور– الإمام الشافعي–رحمه الله– وقديما قالوا:" لا كرامة لنبي بين أهله"..فكم من كريم قومنا، وكم من عظيم بلدنا، وكم من عبقري مولود في جزائرنا الولود، أغفلنا ذكره وذكراه، وأمتناه كرات بعد موتته الأولى، حتى كاد– يا لقومي– يصير نسيا منسيا، وهو الذي في حياته أحيا الأمة، وأنار لها الظلمة، ونزع عنها الغمة، وأشعل ذكرها في العالمين بعد انطفائه حينا من الدهر، فهل جزاء الإحسان إلا الإحسان.؟!

---

* جريدة البصائر العدد 241 .

ولكن ما كان الله الرؤوف الرحيم ليضيع جهد وجهاد وأجر "الأئمة" الإبراهيمي، ورفاقه من عظماء الجزائر الأتقياء الأنقياء الأصفياء في الدنيا، وإنهم في الآخرة عند ربّهم لمن المصطفين الأخيار، بمشيئته وفضله، فقد كان هذا الرعيل الأول من سلفنا الصالح إخلاصا يمشي على قدمين، وما قُدِّم لله على طبق الإخلاص دام واتصل، وما قُدِّم على موائد الرياء انقطع وانفصل، ولهذا سخر الله للإبراهيمي-رضي الله عنه- أبناء بررة، وحفدة مهرة، ليسوا من صلبه، ولكن من روحه -والروح من أسرار الله- ليزيلوا عن ماضيه المشرق النوراني غبار العقوق في زمن الشقاق والنفاق وسوء الأخلاق، فهنيئا للعلامة الإبراهيمي على ما خلَّف من بعده...

إن الحياة العلمية والنضالية للإبراهيمي فخر الجزائر بلا منازع —كما وصفه خليله وتوأمه الروحي الإمام المجدد عبد الحميد بن باديس رضي الله عنه- تُعَدُّ لعمر الحق ملحمة ربانية سرمدية ستبقى مغروسة في نفوس كل الجزائريين المخلصين تباعا إلى يوم يبعثون، كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربّها، رغم ظلم بعض ذوي القربى من أبناء جلدتنا الناكرين للجميل والباخسين الناس أشياءهم، وضيم الأقربين أشد مضاضة من وَقْعِ الحسام المهند، ولكن يأبى الله والمؤمنون إلا أن تُنزع الغشاوة عن الأبصار، بأيد متوضئة نحسب أصحابها-إن شاء الله- من الأخيار، لترى الأعين مرة أخرى نور الفرقد بعد عُسر التغـــييب ومديد انتظار.!

إن أي أمة من الأمم الإنسانية التي تحترم نفسها تتشرف بعظماء أفرادها، وتتزين بكرام أبنائها، وترفع من شأنها برفع شأنهم، فيعلو قدرها بعلو قدرهم، وتبلغ بهم قمم المجد العالية، ولا خير في أمة لا تعرف أقدار رجالها، ولا تضعهم في مواضع الإجلال والتوقير، خاصة إذا اعترفت الأمم الأخرى بعبقريتهم وفضلهم، وأنكرت هي وتغافلت عن ذلك..!

لهذا آن في الجزائر أوان ترك القسمة الضيزى، واعتماد ميزان العدل والإحسان وفاء للكيل إذا وُزن رجالها، ذلك خير وأحسن تقويما، وقائمة الذين ينتظرون التكريم بعد التعتيم طويلة، وعلى رأسهم فقيه الحضارة الفيلسوف العلامة مالك بن نبي-رحمه الله-وعملاق الصحافة الجزائرية بلا منازع الإمام العلامة " أبو اليقظان "-رحمه الله-، وغيرهما الكثير الكثير...

فاحتفي يا جزائر العظماء بأبنائك الحكماء، الأحياء منهم والأموات، فقد آن الأوان..

إبليسُ يُقدِّمُ استقالـــته..! *

عربدة العقل مصيبة، وعربدة النفس مصيبة جديدة، تنضم إلى أختها، وتحيا بـــحياتها، فإن اجتمعتا في أرعن جواظ مستكبر، ذي طبع قذر، يرقي الجروح بالقروح، أهلك قبل أن يهلك، وهدم في لمح البصر كل بناء مشيد، وأسحت العباد والبلاد بنُصُب وعذاب، وتلك هي الحالقة، لا أقول تحلق الراس، ولكن تحلق الدين والوطن من الأساس...

وهل جنى على الدين والوطن، إلا كل عربيد الهوى عتيد طليق، ابن فكر لقيط، ولسان سليط، حلاف مهين، همَّاز مشاء بنميم، مناع للخير معتد أثيم، عتل بعد ذلك زنيم...إذا بصر الحق أدَارَ له لُبــَّـه قبل ظهره، وإذا مر بأهل الحق انتفخ سَحرُه، كـــالهرِّ يحكي انتفاخا صولة الأسد، و نضخ شرُّه، كمطر المنذرين الذي أهلك قُرًى بلا عدد، وظن أنه خرق الأرض و بلغ الجبال طولا، والجنون فنون، ولله في خلقه شؤون !

إن إبليس أوحى إلى فلذات أكبادِه وعُبَّادِه من هذا الصنف الذي لم يأخذ من البشرية سوى الصورة أَنْ أفيضوا على الناس مما أفقه من صنوف الخداع والمكر والكيد و الغرور، فأنا أعلم أهل الأرض قاطبة، ولا تأبهوا لمن يلعن شخصي في البدو و الحضر، ولكنه تفاجأ حين رأى أن بعض أبناء عدوه القديم "آدم" قد فاقوه دهاء وخبرة، وتجاوزوه في

---

* جريدة البصائر العدد 242 .

فنون الشيطنة سنين عددا، وبلغوا فيها درجة الاجتهاد المطلق، فقدم استقالته غير آسف، وعزم على الالتحاق بمدرسة "الأبالسة البشر" تلميذا في الصف الأول الابتدائي ليجدد معلوماته ويستزيد أكثر، فعرف قدره، ولزم حده..!

الأَبــْلَسَة...عند بعض قومنا ديانة مقدسة...أحكامها بمكرهم ولؤمهم مؤسسة..تُنفذ في ظلمة الليل البهيم..وفي سكونه الهادئ و القلوب مطمئنة.. حتى إذا استيقظ الخلق من نومهم العميق، رأوا ما لم تره عين، وسمعوا ما لم تسمعه أذن، ولم يخطر على قلب إنس أو جن..!

إنها حكمة بالغة في إدارة أعمال الغدر والضر ،تختفي أحيانا وراء قناع الخير لتستميل أهل الخير، فإن مالوا وناموا وقعت الواقعة ليس لوقعتها كاذبة خافضة ليست برافعة، والمرء الحذر في الغالب يؤتى من مأمنه..!

قد يقول قائل: هل للأباليس البشر نهاية البداية، وإن كانت فما طَعْمُهَا وما لَوْنُهَا؟

أما نهايتهم ففي القرآن موصوفة، وبالتفصيل معروفة، في قوله تعالى:

﴿ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴾.

أما طَعْمُها فكطعم العلقم، بل أشدّ، أو كطعم الضريع الذي لا يُسمن ولا يغني من جوع، أو كطعم شجرة الزقوم، طعام الأثيم، كالمهل يغلي في البطون، كغلي الحميم.. وأما لونها فأسود حالك، ومظلم كالح، حتى إذا أخرج أحدهم يده لم يكد يراها، ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور..أفيرضى عاقل بعد هذا أن يكون من خريجي هذه المدرسة، أو من المنتسبين إليها!؟

بير مُعَطَّلة وقَصْر مَشِيد..! *

يروي الرواة أن الإمام مالك –رضي الله عنه–حين بلغ السن الذي يؤهله لطلب العلم، ويمكنه من التربع في حلقات العلماء للأخذ عنهم، قامت والدته المؤمنة بإلباسه أحسن الثياب ولفِّ العمامة حول رأسه ثم أرسلته إلى مسجد النبي–صلى الله عليه وسلم– الذي كان جامعة للعلوم الإسلامية ، وبعد أن وجهته إلى حلقة الإمام ربيعة الرأي–رضي الله عنه نصحته قائلة – :" يا بني تعلم أدبه قبل أن تأخذ علمه"...

وما زلت أذكر مقولة الإمام الحسن البصري–رضي الله عنه–لبعض مريديه حين سألوه عن مسألة فقهية فأجابهم إجابة العالم المقتدر الذي لا يخشى إلا الله ، بيد أنهم أخبروه أن بعض علماء البصرة، ممن أخلدوا إلى الأرض بعد أن آتاهم الله آياته واتبعوا ما تتلوا الشياطين عليهم، قد خالفوه فيما ذهب إليه، وكان خلافهم عن هوى وغواية لا عن علم ودراية ، فقال لهم وهو يضحك ضحكا كالبكاء:"وهل هؤلاء من العلماء، إنما العالم من يخشى الله، فاقرءوا إن شئتم قول الله تعالى:﴿ **إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُور** ﴾.

والسؤال الذي يجب أن يُطرح هو : ما الغاية من التعلم والتعليم..!

---

* جريدة البصائر العدد 243 .

أعرف أن الإجابات ستختلف بين المجيبين باختلاف توجهات ألبابهم، وتنوع أهواء قلوبهم، وليست كل الإجابات على الحق الذي يحبه الله ورسوله، لأن الحق واحد لا يتعدد، وصامد يتجدد، وخالد لا يتبدد، والباطل دروب متشاكسة، عرفها من عرفها, وجهلها من جهلها، ورحم الله الإمام المجدد عبد الحميد بن باديس الذي عرف الحق حقا ورُزق اتباعه، وعرف الباطل باطلا ورُزق اجتنابه، فأسس في بداية جهاده الإصلاحي مكتبا للتربية والتعليم، فانظر-يا من تقرأ هذه السطور يرحمك الله- إلى بصيرته النافذة وحسن تقديره، فقدَّم التربية على التعليم إشارة منه إلى أهمية الأولى في الثانية، إذ ما الفائدة من تخريج علماء في شتى الاختصاصات تعوزهم التربية الصحيحة التي تميزهم عن الجاهلين وتحفظ لهم دنياهم وآخرتهم، وما الفائدة من علم يبني الدنيا على حساب هدم الآخرة!؟

وهنا أحب أن أصحح مفهوما يختلط على البعض وهو تقسيم العلم إلى علم دنيوي وعلم أخروي، وهذا التقسيم لا توافقه الحقيقة في ديننا نحن المسلمين، لأننا نعتبر علوم الشريعة والعلوم الكونية كالطب والفزياء والكمياء والهندسة والجيولوجيا وغيرها كلها من علوم الآخرة، يتعلمها المسلم ليزداد معرفة بخالقه وقربا منه، ويسعى بهذه المعارف في سبيل الإصلاح وإعمار الأرض التي استخلفه الله فيها ساعة، قبل قيام الساعة.

إن الذين يريدون إلغاء تخصص علم الشريعة في الثانويات أكثرهم لا يعلمون أن الأولى لنا ولهم أن ينتشر في جميع مستويات التعليم عندنا، بدءا من الابتدائي إلى غاية التعليم الجامعي، حتى يتخرج علماء دين أكفاء قد أخذوا كفايتهم من الدراسة الشرعية السليمة المبنية على الوسطية والاعتدال والأصالة والمعاصرة، لأن الفراغ لا يرحم، فإن لم يُعمَّر بالخير عُمِّر بالشرّ، وأخشى أن يأتي يوم -ولعله قد أتى- نتسوَّل فيه "الفتوى"و"التوجيه الديني" كما نتسوَّل طعامنا ودواءنا من الخارج..!

لغة "ابن باديس" قبل لغة "ابن باريس"..!*

مما يُروى عن رئيس الوزراء الأسبق "جورج كليمنصو" (1841-1929) أنه دُعي إلى حفل لتكريم بعض الطلبة الشباب الذين شاركوا ببسالة في الحرب دفاعا عن فرنسا..ولما افتتح الحفل قام أحد الطلبة بإلقاء كلمة ترحيب بالمناسبة, ولسوء حظه أنه وقع في أخطاء لغوية ونحوية كثيرة، وحين بدأ الرئيس " كليمنصو" بتكريم الطلبة وإلصاق "النياشين" على صدورهم توقف أمام الطالب الخطيب وامتنع عن تعليق "النيشن" على صدره قائلا: " إنني لأستحي أن أعلق "مدالية" على صدر فرنسي لا يتقن لغته"!

ومن بضع سنين أرسل بعض طلاب إحدى الجامعات الأمريكية رسالة شديدة اللهجة إلى قائد حلف شمال الأطلسي يحتجون لأدائه السقيم للغة الإنجليزية، رغم أن الرجل من كبار قادة "العسكر" وليس من الراسخين في لغة "شكسبير"، وطالبوه في رسالتهم:" إما السكوت أو صحة النطق "..!

وبنفس الوعي بقداسة اللغة التي هي جزء مهم في تركيبة الهوية لدى الأمم التي تحترم نفسها كان الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان يقول عندما يسأله بعض ندمائه عن سبب اشتعال رأسه شيبا: " شيبني صعود المنابر وتوقع اللحن "..!

---

* جريدة البصائر العدد 244 .

وأكاد أحس بأن الأمة التي تفقد لغتها كالأسرة التي تفقد إحدى بناها عرضها..!

لقد شقيت اللغة العربية في الجزائر بصنفين من الناس، وسعدت بصنف ثالث، أما هذا الأخير فأحبها حبا جما وأدى ما عليه من حق اتجاهها حيا وميتا، وصنف حاربها جهارا نهارا بدافع البغض المشحون به من أيام تعليق التمائم فأَثَّر الفكر الأعوج على اللسان فتعوَّج، وصنف آخر غريب الأطوار مذبذب لا مع هؤلاء ولا مع هؤلاء، يدَّعي وَصْلًا بليلى، وأقواله وأفعاله ومواقفه لا تقرّ له بذاك، فحبه للعربية في المعدة وليس في القلب، إذ مَثَــَلُ هذا الصنف كمثل رجل من القدماء-كما روى أبو حيان التوحيدي في " التأنيس والمؤانسة "- عشق جارية رومية كانت لقوم ذوي يسار، فكتب إليها يوما:" جُعلت فداك، عندي اليوم أصحابي، وقد اشتهيت سكباجة بَقَرِيَّة (مرق يُصنع من الخل واللحم) فأُحبّ أن توجِّهي إلينا ما يعمنا ويكفينا منها، ودَسْتجَة (إناء كبير من زجاج) من نبيذ لنتغذى ونشرب على ذكرك"، فلما وصلت الرقعة وَجَّهَتْ إليه ما طلب، ثم كتب إليها يوما آخر:" فدتك نفسي، إخواني مجتمعون عندي، وقد اشتهيت قَلِيَّة جزورية، فوجهي بها إليَّ وما يكفينا من النبيذ ليعرفوا مترلتي عندك"، فوجهت إليه بكل ما سأل، ثم كتب إليها يوما آخر:" جُعلت فداك، قد اشتهيت أنا وأصحابي رؤوسا سمانا، فأُحِبُّ أن تُوجِّهي إلينا بما يكفينا، ومن النبيذ بما يروينا، فكتبت الجارية عند ذلك رسالة أرسلتها إليه تقول له فيها:"

إنِّي رأيت الحب يكون في القلب، وحبك هذا ما تجاوز المعدة "!
وكتبت أسفل الرقعة:

عذيري من حبيب جا

ءَنا في زمن الشدَّه

وكان الحبُّ في القلب

فصار الحب في المعدَّه

وهكذا هو حب كبرائنا ومترفينا في بلادنا للغة الضاد، لا يتعدى البطون..!

ما زلنا بحاجة إلى " الله "*

حينما كتبت المفكرة الألمانية "زيغريد هونكا" كتابها الرائع " شمس الله تسطع على الغرب" أظهرت للناس أجمعين أن الحضارة الإسلامية التي كان يقودها " الله " لم تكن – كما ادعى الملحدون والعلمانيون – تخاصم العلم، وتقيّد العقل، وتضيق الخناق على حرية الإبداع الإنساني...

بل أكدت بالحجة والبرهان الساطع أن الإيمان بــ "الله" كان دافعا مهما لسعي المسلمين نحو التقدم والازدهار والرقي الحضاري الذي أذهل الخصوم والأصدقاء على حد سواء...

وصدق الأستاذ الكبير محمود عباس العقاد عندما قال في كتابه "الله" :" إن الله الذي يدين به المسلمون لم يخذلهم في حياة البادية، ولم يتركهم في حياة الحضارة ..."

لقد كان " الله " –عز وجل– رحيما بالإنسانية عندما أعطى رايته للمسلمين ليسيروا بها من مرحلة الضعف والتخلف والجاهلية إلى مرحلة الاشتداد والاستواء والهداية، والغريب أن بعض مؤرخي الحضارة من الغربيين نظروا إلى التاريخ الإسلامي بعين " الحروب المقدسة " إذ حاولوا دائما في كتاباتهم غير البريئة أن يمحوا هذه الحقائق النيرة بجرة قلم...!

---

* جريدة البصائر العدد 245 .

إن معجزة الإسلام التي صنعها في جزيرة العرب هي أنه استطاع في بضع سنين أن يحوّل العرب الذين كانوا قبائل موزعين بين الولاء للفرس أو الولاء للروم، من رعاة إبل وغنم، إلى قادة للأجناس والأمم، لهم الريادة وبيدهم السيادة...

بيد أن من نكد الزمان اليوم أن يحشر بعض المنتسبين للإسلام –قولا– جملة من التهم تطال الدين الإسلامي والتشريع والمشرع "الله" بأن سبب تخلفنا وتدهور أوضاعنا مرده إليهم...!

والحق أن سبب تخلفنا وانهزامنا الحضاري مرجعه أساسا إلى ابتعادنا عن الله ودينه وأحكامه...ولو أنهم أرادوا أن يصدقوا لقالوا هذا...ولكن عين الساخط تُوجد المساوئ وتكبرها، وتخفي المحاسن وتغوِّرها..ورحم الله الأستاذ الكبير إبراهيم بن علي الوزير الذي أشار إلى نقطة مهمة لعل دعاة مخاصمة الدين باسم العقل والعلم يفقهونها حين قال في كتابه المشترك "هموم وآمال إسلامية ":" العقل والعلم وحدهما لا يكفيان لقيام حضارة..ولهذا لابد من التركيز دائما على أن حضارتنا تدعم العقل والعلم بهدي الوحي ونوره".

يجب على المسلمين في الوقت الحاضر أن يعيدوا حركة التاريخ الإسلامي إلى مسارها الصحيح من خلال السير خلف "الله" من جديد، فهو الموصل وحده إلى القمة الشماء..قمة الحضارة التي تنشر خيرها على الإنسانية كلها في كل مكان وزمان...فليتهم يفقهون ذلك!

من مآسينا الفكرية:

قِيلَ: هَلْ مِنْ رَاق ..فَجَاء الموتُ والفراق..! *

روى لي أحد الأساتذة الكرام، وقد كان تلميذا في المدرسة الابتدائية الفرنسية أيام الاحتلال الفرنسي الغاشم للجزائر، فقال:" تعاركتُ مع صديق لي في ساحة المدرسة، وكان جزائريا مثلي, ففصل بيننا أستاذ اللغة الفرنسية – الذي كان فرنسيا متطرفا– وعنّفنا قائلا: "أنتم العرب لا تستعملون رؤوسكم إلا من أجل التناطح بينكم كالثيران, أما غيركم فيستعملون رؤوسهم للتفكير والبحث والدراسة الجادة ليكونوا أسيادا لأمثالكم..."

قلتُ له معلقا: لقد صدقك الرجل وهو كذوب..!

لقد أعطى العرب في عصر التخلف والانحطاط الذي نعيشه عطلة مدفوعة الأجر لعقولهم حتى هزل مستواهم الفكري والحضاري بشكل فاضح ...في حين أن غيرهم بفضل عقولهم المفكرة المبدعة، وتسخيرهم لما في السماء والأرض جميعا، وتبحرهم في علم "المادة"، واستغلالهم الذكي لكل عنصر موجود في هذا الكون يرتقي بهم حضاريا، ويزيدهم قوة إلى قوتهم، استطاعوا أن يكونوا الغالبين لا يشاركهم في سيادة وقيادة العالم سواهم..!

* جريدة البصائر العدد 246 .

ما دفعني إلى إيراد تلك الرواية وهذا التعليق الخبر الذي قرأته في جريدة "الخبر"يوم الثلاثاء 21| 06 | 2005 العدد4427 أن راقيا دخيلا تسبب في وفاة شابين شقيقين، الفتاة 17 سنة والفتى 19 سنة، بعد خضوعهما للرقية الغبية لا الرقية الشرعية، إذ قام هذا الراقي بسقي الضحيتين ببراميل عديدة من الماء مما أدى إلى اكتساحه رئتيهما ودماغيهما فماتا اختناقا، وعوض أن يُخرج الجن المزعوم أخرج الروح من جسدي الشقيقين الضحيتين، وربما كان مرضهما نفسيا كما هو حال الكثير من شبابنا المصاب بأعراض القلق والوساوس والأوهام ..!

ذكّرتني هذه الحادثة التي صنعها الجهل المركب، والفهم المذبذب، بما جرى-كما روى لي أحد الأساتذة- في جامعة (...) عندما سقطت طالبة على الأرض تتخبط تخبط الشاة المذبوحة, فالتفَّ حولها جماعة من الطلاب الشداد الغلاظ, الذين لا يعصون فكرهم الغبي ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، وعزموا على تخليصها من العفريت الذي يسكنها، فأشبعوها ضربا حتى كادت الضحية المسكينة تفقد حياتها, فلما أُخذت إلى المستشفى – بين الحياة والموت - تبين أنها مريضة بداء " الصرع " المعروف طبيًّا، وكان يكفي أن تُترك بعض الدقائق لتعود إلى سيرتها الأولى..!

وهذه المأساة الفكرية تشبه – إلى حدّ ما – مأساة فكرية أخرى قديمة جديدة قرأتها في " العقد الفريد " حيث سأل أحد السذجة " عمر بن

قيس " عن الحصاة يجدها الإنسان في ثوبه أو في خفّة أو جبهته من حصى المسجد. فأجابه: ارم بها ..!

لكن الرجل قال له وهو يحاوره: زعموا أنها تصيح حتى تُرد إلى المسجد!

فقال له عمر بن قيس: دعها تصيح حتى ينشق حلقها!!!

فقال الرجل الساذج متعجبا: سبحان الله، أولها حلق!؟

قال له عمر بن قيس متهكما: فمن أين تصيح!؟

مثل هذا التفكير الساذج السخيم، الناتج عن لبٍّ سقيم، لا يقيم حضارة حاضرا بِهِمَّة، ولا يبني مستقبلا واعدا لأمَّة...بل في مشارق الأرض ومغاربها سماسرة أذكياء يستغلون هذه الفجوات الفكرية، والوساوس النفسية، في المجتمعات الغبية، ليوظفوها من أجل الوصول إلى غايات هدامة، تجلب الندامة...!

وبينما هذه الأفكار تتفاعل في ذهني تذكرتُ خبرا قرأته من أيام يقول: إن جماعة من علماء الصين بمساعدة طلابهم اخترعوا في جامعة من جامعاتهم " حشرة آلية " لا يتجاوز طولها وعرضها بعض المليمترات تطير في الجو لعدة كيلومترات، يمكن استخدامها في مجال التجسس العسكري...

ووجدتُ نفسي- حين قرأت هذا الخبر- أضرب أخماسا على أسداس من فرط الحزن على حاضرنا، والخوف على مستقبلنا، وأُردد:" حقا.. إن الحماقة أعيت من يُداويها.."!

ابتسم ..فالابتسامة المشرقة سلاح مؤثر (1)*

قد يموت إنسان، ويندثر عنصره الترابي منذ سنين عدادا، أو قرون طويلة الامتداد ، بيد أن ذِكراه تبقى ماثلة في أذهان وقلوب السواد الأعظم من الناس..!

في حين قد يموت إنسان آخر ، وبعد أيام معدودات فقط ، يضحى نسيا منسيا، كأنه لم يسر خطوة واحدة على ظهر الأرض!!!

والفارق بين هذا وذاك، هو أن الأول ترك آثارا تُقوي الود، وتجلب الحمد، وتدفع للوفاء بالعهد...فكانت له عمرا ثانيا...

أما الثاني فكان على نقيض الأول لم يترك أثرا يُذكر به، وإن ترك شيئا، فمما تعافه النفس، و لا تحب أن تعيد صورته في الذاكرة حتى لا تصدم في الحياة مرات ...وربما قد يضطر لسان لذكره في سياق الحديث بسبب أمر محتوم ، لكن ذكراه تكون وبالا ولعنة عليه كمثل الذي حكم مصر في أيام خالية فكذب وعصى، ثم أدبر يسعى ، فحشر فنادى ، فقال أنا ربكم الأعلى، فأخذه الله نكال الآخرة والأولى..

وهذه القاعدة وإن كانت معتبرة على مستوى الأفراد، فهي أيضا معتبرة على مستوى الأمم والمجتمعات ، وأوضح الأمثلة على هذا المعنى ما كان من بني إسرائيل الذين ضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله وازدراء الشعوب التي تحترم نفسها...فهؤلاء القوم لا

* جريدة البصائر العدد 247 .

يُذكرون إلا بأحط صفاهم ، وأخبث اتجاهاهم، وأرذل أقوالهم ، وشر أفعالهم..يرافق ذلك اللعنات المتكررة والشتائم المتحررة.

وكلامنا على هذا النحو يجرنا إلى القول بأن التأثير في الناس إما أن يكون "بناء" فيحافظ على شعرة الحب والود فلا تنقطع أبدا، وإما أن يكون "هداما" فلا يبقي ولا يذر..!

وللتأثير البناء ضروب ناجعة توصل إلى إعطاء طابع يستحسنه الناس ، ويُسهِّل التغلغل في شغاف قلوبهم، وأقصر وأبسط طريق إلى ذلك هو "الإبتسامة المشرقة" التي تسل السخائم وتحل الشكائم.

يقول الأستاذ "دايل كارنيجي" في كتابه الممتع" كيف تكسب الأصدقاء وتؤثر في الناس":" إن قسمات الوجه خير معبر عن مشاعر صاحبه، فالوجه الصبوح ذو الابتسامة الطبيعية خير وسيلة لكسب الصداقة والتعاون مع الآخرين...".

إنني أعرف الكثير ممن سبقوني إلى الحياة الأبدية ، وأرسخهم في ذاكرتي هم الذين كانوا خير مؤازر لي في أحلك الظروف ، فابتسامتهم الصافية المشرقة ما تزال مرتسمة في حافظة الذكريات التي أحملها ...إنها طبيعة مؤثرة في عواطفي، وأعتقد أنها حالة مشتركة بين القلوب المملوءة بمشاعر الحب والوفاء.

إن الابتسامة الصافية من ألوان التصنع و"المكياج الكاذب" خير رسول نوجهه إلى من نتعامل معه، أو نخالطه في أماكن عديدة ...وفقه الأستاذ "دايل" يوافق ما دعا إليه النبي – صلى الله عليه وسلم – منذ قرون في

الحديث الذي رواه عنه الصحابي الجليل أبو ذر الغفاري – رضي الله عنه – قال: قال لي رسول الله – صلى الله عليه وسلم - :" لا تحقرن من المعروف شيئا ، ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق" (رواه مسلم).

ولقد كان النبي – صلى الله عليه وسلم – مشرق الوجه تزينه الابتسامة الصافية التي تبعث الراحة في نفوس عارفيه، وحتى الذين يلقونه لأول مرة، قال عبد الله بن الحارث – رضي الله عنه – :" ما رأيت أحدا أكثر تبسما من رسول الله – صلى الله عليه وسلم –" (رواه الترمذي).

وعن عمرة قالت :" سألت عائشة – رضي الله عنها – كيف كان رسول الله – صلى الله عليه سلم – إذا خلا مع نسائه؟قالت :كالرجل من رجالكم إلا أنه كان أكرم الناس وألين الناس ضحّاكا بساما" (أخرجه الحاكم والخرائطي وبنحوه ابن عساكر وفي معناه ابن سعد).

وعن جابر – رضي الله عنه – قال:" كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إذا أتاه الوحي أو وعظ قلت: نذير قوم أتاهم العذاب، فإذا ذهب عنه ذلك رأيت أطلق الناس وجها وأكثرهم ضحكا وأحسنهم بشرا" (أخرجه البزار قال الهيثمي، إسناده حسن).

ابتسم...فالابتسامة المشرقة سلاح مؤثر (2) *

إن العبوس في وجوه الناس خلق لا يرتضيه الإسلام، ولا يحب أن يتشكل على صفحات وجوه أتباعه...وذلك واضح من خلال عتاب الله – عز وجل – لنبيه – صلى الله عليه وسلم – عندما قال له :﴿ **عَبَسَ وَتَوَلَّى ، أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ، وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى ، أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى ﴾ سورة عبس الآية 1– 4.**

فالعبوس مرفوض حتى مع الأعمى الذي لا يلحظ ذاك بسبب ابتلائه بحبيبتيه...وإن كانت مشاعر العابس لعبوسه قد تثير أحاسيسه، فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور.

وعليه ؛ فإن الإسلام أراد أن يغلق باب هذا الشر من بدايته إلى نهايته للحفاظ على المحبة والإخاء والتعاون بين جميع أفراد المجتمع الواحد...

وتتبع– أخي القارئ – مدى أهمية الابتسامة وتأثيرها في ربط أواصر المحبة، ورفع مستوى السعادة التي يستشعرها المرء في هذا المثال الذي ذكره الأستاذ الكبير "دايل كارنيجي" قال: (طلبت من تلامذتي أن يبتسم كل منهم لشخص معين كل يوم في أسبوع واحد، ثم يراقب أثر تلك الابتسامة غير المنتظرة...).

---

* جريدة البصائر العدد 248 .

وممن طبق هذه التعليمة المهذبة للخُلق السيد:" وليم شينهارت" أحد تلاميذ الأستاذ "دايل" حيث قال لأستاذه بعد دخوله هذه التجربة: (إنني متزوج ولي أولاد، لكنني قلما ابتسمت لزوجتي، بل قلما حدثتها سواء على مائدة الإفطار أو بعد عودتي من العمل، فأنا منشغل دائما، وقد سارت حياتنا الزوجية على وتيرة آلية، حتى طلبت أنت مني أن أبتسم لشخص ما، فآثرت أن يكون ذلك الشخص هو زوجتي .

وجلستُ في صبيحة اليوم التالي إلى المائدة فقلت مبتسما:" صباح الخير يا عزيزتي "، ولم تندهش المرأة فحسب، بل إنها ذهلت فعلا، لكني أسرعت فوعدتها أن تنتظر مني مثل هذه التحية والابتسامة الرقيقة كل يوم، فهل تدري ماذا كانت النتيجة، اكتشفت سعادة جديدة لم أذق مثلها طوال الأعوام الأخيرة !

وحفزني ذلك إلى الابتسام لكل من يتصل بي، فصرت أبتسم لعامل المصعد، وللعامل في شباك التذاكر، وللزبائن الذين أعمل معهم في البورصة، وصار الجميع يبادلونني التحية، ويسارعون إلى خدمتي...

لقد شعرت بأن الحياة صارت أكثر إشراقا وأيسر منالا، وقد زادت أرباحي الحقيقة بفضل تلك الابتسامة، وعجبت من سبب غفلتي عن ذلك طوال المدة السابقة) !.

هناك من تعوَّد رسم العبوس على صفحات وجهه طبيعة ورثها أو اكتسبها من محيطه، رغم جوهره الصافي من الأحقاد والبغضاء والكره،

وقد يراه المرء لأول وهلة دون سابق تعارف فيظن به الظنون، فإذا خالطه استطاع بيسر معرفة معدنه الذهبي الخالص...!

فمن كانت هذه صفته، فليسارع إلى تعويد نفسه الابتسامة المشرقة لتُجمل مظهره تماشيا مع جمال مخبره كي يكتمل الأجر، ويصلح الأمر، قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "وتبسمك في وجه أخيك صدقة " (رواه البيهقي)، واصطناع المعروف كما قيل :" يقي مصارع السوء، ويزرع المحبة في القلوب، ويكتب الشكر على الألسنة، وينشر حسن السمعة في الدنيا، ويُورث جزيل الأجر ، ويخلد جميل الذكر..." والابتسامة معروف يزيد ثوابه إذا تعدى إلى من يبغضه القلب...وما أحسن قول الشافعي عندما أنشد:

لما عفوت ولم أحقد على أحد

أرحت قلبي من غم العداوات

إنني أحيّ عدوي عند رؤيته

لأدفع الشر عني بالتحيات

وأظهر البشر للإنسان أبغضه

كأنما قد حشا قلبي محبات

إن إظهار البشر، وإنفاق البسمة البريئة ، خيرٌ يجب تجسيده باستمرار ، وفرضه على النفس حتى يكون عادة يحيا المرء بها في خضم هذه الحياة المليئة بالمنغصات، فيكسب منها أشياء ثمينة، خاصة إذا صفت النية،

وحسن المقصد، وقد قال علماؤنا:" بالنيات تتحول العادات إلى عبادات".

يقول " دايل كارنيجي":(إن الابتسامة لا تكلف شيئا ولكنها تعود بخير كثير، وهي لا تفقر من يمنحها مع أنها تغني آخذيها ، ولا تنس أنها لا تستغرق لحظة ، لكنها تبقى ذكرى حلوة إلى آخر العمر، وأنه ليس هناك من هو فقير إلى درجة أن لا يملكها، ولا من هو غني إلى درجة أن يستغني عنها، وكن واثقا من أنها راحة للمتعب ، وأمل للبائس ، وفيض سعادة للسعيد، وهي إن كانت لا تشترى أو تُباع ، فإن خيرها يعم آخذها ومعطيها...فابتسم ...ابتسم).

إذن ...فنجاح الإنسان يبدأ من القدرة على تحقيق أبسط الأمور, وإلا فلن يتمكن من تحقيق ما هو أعظم ... وقديما قال حكيم الصين " كونفشيوس":" إن الذي لا يحسن الابتسام لا ينبغي له أن يفتح متجرا"!

والقياس على هذه الحكمة يصلح في كثير من المجالات المتعددة عزيزي القارئ...وما أحسن قول الشاعر الحكيم:

أخو البِشر محمود على حسن بِشره

ولن يعدم البغضاء من كان عابسا

بِضَاعَتُهم رُدَّت إِلَيهِم ! *

صناعة الحياة فريضة إسلامية تُوجبها النصوص الصحيحة قطعية الثبوت وصريحة الدلالة التي لا تحتمل التأويل، أو التقويل، أو لي عنق أو ساق، وتقرّها العقول السليمة التي تحترم الحقائق، ولا تسير خلف كل ناعق، وتتبناها النفوس التقية النقية التي تخاف من الجليل، وتعمل بالتنزيل، وترضى بالقليل، وتستعد ليوم الرحيل.

أما صناعة الموت وقتل النفس التي حرم الله بغير حق فعمل يرفضه الإسلام، ولا يحب أن يشيع فعله بين بني آدم، ناهيك بين المسلمين أو منهم، لأن المبدأ الإسلامي المعتمد من القرآن وتسانده السنة أن ﴿ **مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا** ﴾ ومن صفات عباد الرحمن السائرين بخطوات ثابتة في كل مكان وزمان أنهم ﴿ **لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ...** ﴾.

ما حدث في "لندن" من تفجيرات أزهقت العشرات من الأنفس عمل غير صالح، فالنفس الإنسانية مقدسة سواء كانت في لندن أو نيويورك أو فلسطين المغتصبة أو العراق الضحية أو الشيشان الجريحة أو غيرها من بلاد الله أو فوق سطح القمر أو على المريخ...وكيف لا تكون

---

* جريدة البصائر العدد 249 .

مقدسة وقد ثبت في السنة أن امرأة دخلت النار بسبب قتل هرَّة، وأن رجلا دخل الجنة بسبب شربة ماء قدمها لكلب متشرد أحيته بعد أن كاد يموت عطشا.!؟

ولكن الشيء الذي يجب أن نشير إليه هو أن "الموت المصنوع " في نيويورك أو لندن أو إسبانيا أو الأراضي الغربية الأخرى هو بضاعة غربية رُدت إليهم، ومن يزرع الظلم والمآسي والآلام لا بد أن يجني في النهاية شوك الموت والدمار!

إن ما فعله الغرب بالمسلمين من أيام الحروب الصليبية ومحاكم التفتيش، مرورا بالاستدمار الفرنسي الحاقد، والاستدمار الإنجليزي البائد- الذي باع فلسطين لشرذمة قليلة من اليهود التائهين في شعاب الأرض-، إلى الـــجُور الواقع اليوم على المسلمين بسبب ديكتاتورية أمريكا، وعلوها في الأرض بغير الحق، وحمايتها للمتجبرين وبغيها على المستضعفين...كل هذا وغيره أدى إلى نشوء ما يُسمى بـــ"ظاهرة الإرهاب" كرد فعل عكسي، فعولمة الإرهاب تحصيل حاصل لعولمة الظلم الغربي الذي تقوده أمريكا وأخواها..!

ببساطة.. إذا أرادت أمريكا وأخواها معها-الذين نصبوا أنفسهم قادة للكون- أن يتحصلوا على "الأمن والاستقرار" فعليهم أن يتصالحوا مع شعوب العالم المنهوك المستضعف ويصلحوا ما أفسدوه، وينشروا أسباب الأمن من عدل وسلام ومساواة ورخاء، ويقوموا بإعطاء كل

ذي حق حقه، ولا يتدخلوا في شؤون الآخرين..وإلا فإن الموت سيبقى يحصد آلاف الأرواح البريئة هنا وهناك، خاصة في عقر ديارهم.!

احذروا "الغيون" الثلاث*

كثيرا ما كان أحد العلماء الجزائريين الكبار ممن آتاهم الله بسطة في العلم ورزقهم الحكمة البالغة وفصل الخطاب يقول في لقاءاته مع الجماهير في دروسه وخطبه محذرا وناصحا:

" أُحذِّركم من غيون ثلاث:

1 – **الغرور**.

2 – **الغيبة**.

3 – **الغفلة**...".

أما الغرور فَدَاء يصيب النفوس الحقيرة..هذه النفوس التي تريد أن تبدو كبيرة، وهي في جوهرها صغيرة، وهل يعظم المرء في أعين الكرام إلا بتواضعه، إذ مَنْ تواضع لله رفعه، ومهما يغتر الإنسان، فإن أوله نطفة مذرة، وآخره جيفة قذرة، وبين أوله وآخره يحمل العذرة، وَلِمَ التكبر والتجبر، وهذا المتكبر المتجبر الذي يظن أنه خرق الأرض وبلغ الجبال طولا، وصعّر خدّه للناس، تقتله الشرقة، وتؤذيه البقة!؟

وأما الغيبة فعِلَّة أخرى بطلها اللسان الحاد، وخليلها القلب الفارغ من التقوى، ومثل صاحبها كمثل الذي يأكل لحم أخيه ميتا، والعجيب أن

* جريدة البصائر العدد 251 .

الذئاب لا تأكل لحم بعضها بعد موتها، ويكفي القول في الغيبة أنها تأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب..!

وثالثة الأثافي الغفلة، وهي سلاح أبالسة الجن والإنس يستعملونه للإيقاع بالمغفلين فيما يغضب الربّ، كما أن الغفلة حين أصابت أهل الحق، ضاع الحق، وتمزق شمل أتباعه شر ممزق، وذهبت ريحهم، ونهض الباطل وتمكّن، وشهر سيفه وتفرعن، وهكذا هي حال الدنيا، إذا غاب الحق استأسدت النعامة..وأصبح الذئب راعيا، وبال الحمار على رأس الأسد، ولله في خلقه شؤون...

فيا معشر من آمن ... احذروا الغيون الثلاث –يرحمكم الله–!!!

ذِكْرَى تَبْحَثُ عَن مُذَّكِرٍ..! *

في كل عام يحتفل المسلمون من طنجة إلى جاكارتا بذكرى الإسراء والمعراج، تلك الرحلة المعجزة، التي قام بها النبي –صلى الله عليه وسلم– ممتطيا البراق بمعية الروح الأمين جبريل –عليه السلام– انطلاقا من مكة المكرمة، مهبط الوحي، وأرض الرسالة الخالدة "الإسلام"، ومهوى أفئدة المسلمين مشرقا ومغربا، ليتزل إماما على الأرض التي فيها المسجد الأقصى الذي بارك الله حوله، ويقف خلفه جميع الأنبياء صفوفا متراصة مأمومين تابعين مبايعين له بالقيادة وخَتْمِ الرسالة وأحقيته هو وأمته بتملك مفتاح "بيت المقدس" لا تنازعهم عليه أمة من الأمم أو ديانة من الديانات، ثم بعد ذلك عُرج به إلى سدرة المنتهى، وهناك رأى من آيات ربه الكبرى، وما كذب الفؤاد ما رأى، ثم رجع إلى مكة في ليلة واحدة لتكون هذه الحادثة المعجزة منحة وأمنة للمؤمنين الصادقين، ومحنة وفتنة للمنافقين الكاذبين...

والأكيد أن السر الأقوى– من بين جملة الأسرار– وراء حدوث هذه المعجزة التي فاقت كل المعجزات، ونزل القرآن مخلدا لها بين دفتيه في قوله تعالى:﴿ **سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنْ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ**

---

* جريدة البصائر العدد 252 .

إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّه هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ سورة الإسراء الآية: 1.

قلت: إن السر الأقوى وراء حدوث هذه المعجزة هو ربط المسلمين في كل الأزمنة والأمكنة بالمسجد الأقصى المبارك برباط رباني وثيق مقدس لا ينقطع أبدا ليكونوا سدنته وخدَّامه وحماته من كفر الكافرين، وشرك المشركين، وعبدة الأهواء والشياطين، إلى يوم الدين، حتى تصبح أقدس بقاع الأرض التي فيها بيوت الله التي تُشد الرحال إليها ويُذكر فيها اسمه (المسجد الحرام ، المسجد النبوي الشريف ، المسجد الأقصى) مراكز جلال وجمال ونور لعبادة الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفؤا أحد ...

لقد فقه المسلمون الأوائل، من السلف الصالح, الذين جمعوا بين القول والعمل، و بين العاطفة الجياشة والعقل الراجح، هذا السر أيام الخليفة الراشد عمر بن الخطاب—رضي الله عنه- فطهروا بيت المقدس من دنس الكفر، و رجس الشرك، ونجس عبادة غير الله فيه، ورفعوا راية التوحيد على أرضه، وما فرطوا في بعضه ...

بيد أن الخلوف الذين جاءوا من بعدهم أضاعوا الأمانة حين عشقوا الدنيا وكرهوا الموت، وتفرقوا شيعا واتفقوا على ألا يتفقوا، ورُفع الصليب على سقوف الأقصى مكان الهلال ليعلن الباطل عودته، ويبقى رابضا في فلسطين أكثر من تسعين سنة، إلى أن خرج من رحم

الإسلام بطل عظيم من أبطاله المؤمنين "صلاح الدين الأيوبي" فأعاد للتوحيد رونقه، وحطم الصليب وعوَّقه، وفك أسر بيت المقدس مرة أخرى ليُرفع الآذان من جديد على مآذنه ...

ثم أعاد الصليب الكَرَّة، بوحي من الصهيونية العالمية، فاحتل بيت المقدس وما حوله سنة 1948 على حين غفلة من المسلمين الذين لم يتعظوا بفقدان الأندلس، وأتم اليهود المهمة سنة 1967، فأفسد المحتلون الجدد في فلسطين وعلوا علوًا كبيرا أمام مرأى العالم كله دون أن يحرك ساكنا ..!

وأحب أن أؤكد أن بيت المقدس المحتل اليوم بالدبابات والطائرات اليهودية التي هي من صنع أمريكا لن تعيده العلمانية ولا القومية ولا المذاهب الأرضية الأخرى التي تفنن عرب هذا العصر في تبنيها، والتعصب لها، وإنما الذي يمكنه أن يعيده محررا معززا -كما شهد التاريخ- هو الإسلام بقيادة عباد الرحمن الذين يمشون على الأرض رافعين شعار الجهاد والمقاومة على منهاج النبوة حيث الغاية تهذب الوسيلة حتى لا يكون انحراف أو انجراف أو انكساف ﴿ **فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا** ﴾ **سورة الإسراء الآية: 7.**

فهل نعود إلى الإسلام ليعود الأقصى وما حوله إلينا..؟

إِنَّمَا يَأْسَى عَلَى العَدْلِ والحَقِّ الرِّجَالُ..! *

أيام رئاسة الرئيس بوش الأب كتبت أمّه- التي كانت تبلغ التسعين من العمر- مظلمة لمصلحة الضرائب التي طالبتها بدفع مبلغ قدره حوالي 86 ألف دولار عن بيت تملكه، وقد انتقل إلى تلك المصلحة أخوها مرفوقا بمحاميها يتظلمان طالبين مراجعة المبلغ..!

وحين علم بعض أصدقائها بالأمر قيل لها: لماذا لا تحدثين ابنك عن الضريبة حتى يستعمل سلطته لتخفيضها؟

فأجابت قائلة:" في أمريكا دستور، وقانون قبل ابني وبعده".

إن احترام القوانين من الراعي والرعية مذهب تترسخ جذوره بالتربية المستقيمة التي تلد الضمير الحي، والفكر الواعي الذي يؤمن بأن الواجبات مقدمة على الحقوق التي تُحفظ ولا تُضيع ،وأن المواطنة تعني المساواة بين أفراد المجتمع الواحد في المغانم والمغارم لا فرق بين الرئيس والمرؤوس، والغني والفقير، والأبيض والأسود..فالكل سواسية أمام العدالة الاجتماعية التي يحميها القانون....!

هذه المعاني كانت مجسدة في العهد الإسلامي الأول في زمن رجال الضمائر المؤمنة حيث كانوا مضرب الأمثال في حسن سياسة الرعية ورعاية حقوقهم، ونشر العدل والمساواة باسم "القانون" الذي لم

---

* **جريدة البصائر العدد 253 .**

يُهادن و لم يُداهن ظالما مهما يكن نسبه وحسبه وموقعه في سلم المسؤولية...

ورحم الله عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – عبقري العدالة، وتلميذ محمد– صلى الله عليه وسلم– الملهم الذي علم حكام العالم – قديما وحديثا – فن سياسة الرعية وحكمهم، وأبهر العقول بمقولته الخالدة التي سبقت كل داع إلى حقوق الإنسان سواء كان فردا أو منظمة :" متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرار".

أما القائل فمعروف، وأما الذي قيلت له تقريعا ومحاسبة فهو عمرو بن العاص – رضي الله عنه – أمير مصر وفاتحها الذي أصابت ضربات ذرة الخليفة عمر–رضي الله عنه– صلعته ردا لحق، وإلزاما لمبدأ العدالة بين الناس جميعا، لأن ولدا من أولاد عمرو بن العاص اعتدى على قبطي مصري من الدهماء فاز عليه في سباق خيل مستغلا موقع أبيه في السلطة التنفيذية..!

إذن ..فالعدالة إلزام والتزام لا تفريط فيه حتى مع من يحبه القلب أو يبغضه، ولهذا عندما قال عمر الفاروق – رضي الله عنه – لأحد الناس وكان قد أصاب أخا له في الجاهلية :

"والله لا أحبك".

فقال له الرجل الذي كان يعرف معدن عمر الذهبي الخالص:

"ما يفي ذلك حقي يا أمير المؤمنين "؟

فقال له عمر – رضي الله عنه – : " لا ".

فقال الرجل معلقا حينها:" لا بأس ...إنما يأسى على الحب النساء".

فيا معشر مسؤولينا الأكارم الذين ابتلاكم الله بأمانة المسؤولية التي هي خزي وندامة يوم القيامة، لا نريد منكم كلمات معسولة تعبرون بها عن فائق حبكم لنا، إذ إنما يأسى على الحب النساء، ولكن نريد منكم عدالة قولية وفعلية، والتزاما بالقانون حتى يصبح القوي ضعيفا عندكم فيؤخذ الحق منه، ويصبح الضعيف قويا عندكم فيُرد الحق له، ويستوي الحاكم والمحكوم أمام القاضي..!

أنا أفكر إذن أنا موجود...*

قال لي صديق أديب مازحا وهو يحاورني في موضوع ذي بال:" إنك تشبه المعتزلة في تقديس العقل إلى درجة أنني أكاد أتصورك تمشي بعقلك، وتأكل بعقلك، وتتنفس بعقلك..!".

والحق أن صديقي بالغ في مزاحه بعد أن داعبني بنطاحه، فما العبد لله بواصلي أو معتزلي، ولا أخال نفسي أصلح لعضوية هذه الفرقة المنقرضة منذ قرون خلت...وإنما العبد لله رجل قرأ قول الله تعالى: ﴿ **إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ** ﴾ فحاول أن يُعمِل فكره فيما يُطيق، ولا يتعدى حدود ما لا يُطيق.

من اللطائف المروية أن أحد الملوك قال لحكيم من الحكماء:" ما خير ما يملكه المرء " ؟

فقال الحكيم:" عقل يعيش به ".

قال الملك:" فإن عدمه "؟

قال الحكيم:" أدب يتحلى به ".

قال الملك:" فإن عدمه "؟

أجاب الحكيم:" حال تستره ".

قال الملك:" فإن عدمه "؟

---

* جريدة البصائر العدد 255 .

حينئذ أجابه الحكيم قائلا:" صاعقة تحرقه فتريح منه العباد والبلاد "..!

إن التقليد الأعمى، بأي اسم تسمَّى، أو بأي لباس تحلَّى وتجلَّى، مرض خبيث، أصاب عقولا كثيرة بداء الكسل والجمود، فاعتمدت هذه الأدمغة العاطلة على عقول أخرى، واستوردت منها الأفكار الصالحة والطالحة معا، وبقيت قبل هذا وبعده بمعزل عن الصراع الفكري المصيري الدائر بسبب تفاعلات حضارية متشاكسة الذي يحمل الراية البيضاء فيه يخسر كل شيء، حتى ذاته ووجوده..!

والغريب أن جماهير عالمنا العربي والإسلامي وصلت إلى درجة عالية من الإدراك العاطفي فيما يخص قضايا كبرى خطيرة، بيد أن الإدراك الفكري أو العقلي لم يرق إلى المستوى المطلوب..فأدى هذا الاختلال في التوازن بين العقل والعاطفة إلى مآلات ملحوظة واقعا أهلكت الحرث والنسل، وتركت الأمة تعيش في حيص بيص..وأولو الألباب يدركون جيدا ما أرمي إليه.

إن وجود الإنسان يبدأ من حسن استغلاله لنعمة "الفكر والتفكير" التي أكرمه الله بها دون غيره من المخلوقات التي تشاركه في صفات وآلات كثيرة..وأذكر أن نفس الصديق "الفيلسوف" قال لي في حوارنا:" هل يُستساغ هذا الوصف الذي تلوكه ألسن عديدة، القديمة منها والجديدة، وهو (الإنسان حيوان ناطق)"؟

قلتُ له وأنا أضحك من هذه العبارة الفلسفية الساذجة:" إذا استسغت هذه المقولة غير المعقولة فأنت وببغاؤك الناطق القابع في غرفتك سيان،

أنت هو، وهو أنت..فمن تكون أنت..؟ يا صاح كيف تلقي بالا لهذه العبارة الدروينية التي ألقاها الشيطان في عقل تابعه- مهما يكن - الذي باضها وفرخها ؟!.

إن أصدق عبارة تنسخ هذه الخزعبلة هي:(الإنسان مخلوق مفكر)..لأن البشر لم يتحصَّلوا على مصداقية استخلافهم في أرض ربهم إلا لكونهم عقلاء ومفكرين مما يميزهم عن غيرهم، فإن انعدمت فيهم هذه الصفة- صفة العقل والتفكير-، فأين يكمن الفرق بين حيوان ناطق يمشي على رجلين, وحيوان أبكم يمشي على أربع "..!

عظم الله أجرنا ..!*

التجربة الإنسانية مدرسة محترمة يمكن للمطلع عليها أن يتعلم منها أشياء كثيرة تنفعه في دنياه وآخرته إِنْ أحسن التعامل معها فكريا وتطبيقيا، وقد قال رسول الإنسانية المؤمنة محمد- صلى الله عليه وسلم- فيما معناه:" الحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها فهو أحق بها"...

من سنوات قرأتُ كتابا للكاتب الأمريكي "ستيفن.ب.أواتيس" عنوانه "النفير" يؤرخ فيه لحياة ونضال القس الأمريكي الدكتور "مارتن لوثركينغ" وللسود الأمريكان أيام إضرابهم في منطقة "مونتغومري" عن ركوب الحافلات بسبب التميز العنصري، إذ فضَّل بعضهم أن يبرهنوا بأقدامهم على رغبتهم في العزة والكرامة والعدالة، فكانوا بكل شجاعة يسيرون إلى العمل يوميا دون اعتبار لطول الطريق أو برودة الطقس.....!

وصادف سائق عربة مرة عجوزا من السود تدب على الطريق بصعوبة جمّة، فعرض عليها أن يقلّها، ويوصلها إلى مقصدها، إلا أنها أشارت إليه بيدها الضعيفة أن يواصل طريقه، وقد قالت له بكبرياء:" أنا لا أمشي لنفسي، وإنما أمشي لأولادي، وأحفادي"...

---

* جريدة البصائر العدد 256 .

وقال أحد قادة الاضطراب السود لعجوز أخرى شاركت في الإضراب:" والآن اسمعي، لقد كنتِ معنا طوال الوقت، فاذهبي الآن وعودي إلى ركوب الباص (الحافلة) لأنك أكبر سنا من أن تستمري في المشي"!

فأجابته محتجة:" أوه....كلا...سوف أمشي بقدر ما يمشي الباقون..سوف أمشي حتى ينتهي الأمر"!

رد عليها الرجل قائلا:" لكن ألم تتعب قدماك"؟

فقالت وهي تبتسم:"أجل تعبت قدماي لكن نفسي مرتاحة"!

هكذا يتصرف أصحاب المبادئ الصادقة، وهكذا هي مواقف أصحاب الضمائر الحية...مبادئ لا تُبدل ولا تُغير طوعا أو كرها، وضمائر لا تباع بأي ثمن، حتى ولو كان الثمن الدنيا وما فيها...فعظم الله أجرنا، وأجر الجميع في كثير من "نخبنا" التي رفعت شعار﴿ **فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ** ﴾.

ويسألونك عن النصف الآخر... *

تأثير المرأة هذا المخلوق اللطيف عبر العصور في ميادين عديدة لا يخفى على من اطَّلع التاريخ وهو شهيد، فهي ظهير فعال للرجل في أي عهد كان، وحيثما حل وارتحل إلى أي مكان، فقد شاءت الأقدار أن يخلق الله الذكر والأنثى بمثابة اليدين لا تستغني إحداهما عن الأخرى، أو كالجناحين لا يكون الطياران إلا بهما معا...

ولستُ أقرر هنا أمرا مجهولا، ولكن الذكرى تنفع أولي الألباب، وتُفَقِّه المتشبثين بالقشور دون اللباب، الذين يحاولون باسم الدين تارة – وهو بريء مما يقولون ويخطون– وباسم العادات والتقاليد والأعراف تارة أخرى أن يعيدوا بعث الحياة في هواية "الوأد" من جديد، ولكن ليس بدفن الأنثى حية في التراب كعادة الجاهلية الأولى، بل بتهميش طاقاتها، وتحقير قدراتها، الفكرية والحركية، بتأويلات كاذبة خاطئة، وادعاءات باطلة منحرفة، ما أنزل الله بها من سلطان، أُشربوا حبها، وحب من يحبها...في حين أن مراجع القرآن والسنة وهدي السيرة النبوية العطرة وتاريخ الإسلام الحضاري تعلن بوضوح أن واجباتها معلومة مضبوطة، وحقوقها معروفة محفوظة، ودورها في داخل بيتها وخارجه لا يُستغنى عنه، ولا يُتبرم منه...

* جريدة البصائر العدد 257 .

أعجبني- فيما قرأتُ- أن جمعا من كبار علمائنا في القديم والحديث أشادوا بدور نساء كان لهن الفضل الأكبر في تحفيظهم القرآن، ورواية الأحاديث لهم، وتعليمهم العلوم، وتفقيههم في الدين، والأخذ بأيدهم إلى الحق المبين... فما قللت إشادتهم وشهادتهم تلك من قدرهم، ولا أنقصت من مترلتهم...والمذهل أن علماء الجرح والتعديل لم يتهموا امرأة واحدة بالوضع والكذب عمدا على رسول الله- صلى الله عليه وسلم- في رواية سنته، وبالمقابل فإن كتب الجرح والتعديل المعتبرة المشتهرة مملوءة بأسماء الرجال المجروحين المتهمين..!

كما عرف التاريخ الأدبي والفكري العربي والإسلامي رائدات مثقفات زاحمن في عبقرية الإبداع كبار الأدباء والمفكرين، ولم يتحرج أحد منهم أن يجلس في ندوة امرأة يسمع منها ويناقشها ويشهد لها بالتفوق، كندوة هند بنت حابس المشهورة بالفصاحة والخطابة، وندوة عمرة زوجة أبي دهبل، وندوة السيدة سكينة، وقد ذكر المؤرخ ابن خلكان الكثير من أفكارها الراقية، ونوادرها الحاوية على المعاني السامية، وندوة ولادة في الأندلس، وندوة مي زيادة التي جمعت فيها عمالقة الأدب والفكر في العصر الحديث..ومنهن من نبغت في النقد والمفاضلة بين كبار شعراء عصرهن كأم جندب زوجة امرئ القيس، والخنساء، وعائشة زوج النبي- صلى الله عليه وسلم- وغيرهن كثيرات...ويكفي أن عمر الفاروق العبقري الأحوذي الذي كان نسيج وحده ولم يفرِ

أحدٌ فريه، قال فوق منبر رسول الله- صلى الله عليه وسلم-: أصابت امرأة وأخطأ عمر ".

الذي أريد أن أقوله في هذه الفسحة الضيقة هو أنه لا يشين رجولة الرجل أن يستفيد من فكر المرأة السديد، وعقلها الرشيد، وبصرها الحديد، ويتق في قدرتها على فعل أشياء، وتحمل أعباء، قد تنوء بالعصبة أولي القوة، فالأمة الإسلامية اليوم مهيضة الجناح، متأخرة عن الركب، تحتاج إلى جهد وجهاد كل أبنائها، برجالها ونسائها، لتتأبط النصر مرة أخرى، وتنال التمكين في الأرض الذي كتبه الله في الزبور من بعد الذكر...هذا بلاغ للسائرين على الطريق، فليت قومي يعلمون..!

بين عمل تبقى تبعته وعمل يبقى ذخره*

سئل السياسي البريطاني الداهية " لويد جورج " عن السبب الذي أبقاه في دفة الحكم مع أن معاصريه من رجال الدولة الأوروبية الأخرى لم يستطيعوا الصمود مثله فقال:" إنني ألائم بين ما أضعه في الصنارة، وبين نوع السمك "...

إن معرفة نفسية الإنسان الذي نريد استمالته إلى الحق ودفعه إليه دفعا بالحكمة أمر مهم للإحاطة بالأشياء التي تؤثر فيه سلبا أو إيجابا، كما أن الأسوة الحسنة ومعاملة الناس بالحسنى وزيادة، ركن ركين لبناء الثقة وحسن الاستجابة ...

على هذا المنهج القويم، والفهم المستقيم ، والطريقة الذكية ، سار التابعون للنبي – صلى الله عليه وسلم – فنجحوا في جلب قلوب الناس، وملكوها حتى أضحوا أحب البشر إلى الخصوم قبل الأصدقاء!

يُروى أن الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك أمر بتهديم "كنيسة يوحنا" ليمد على أرضها "المسجد الأموي"، فأذعن عماله لأمره وقاموا بهدم الكنيسة رغم رفض النصارى.

ولما ولي الإمام العادل عمر بن عبد العزيز الخلافة، حمل النصارى في دمشق شكواهم إليه، وأخبروه بما جرى لكنيستهم.

---

* جريدة البصائر العدد 259 .

فأصدر عمر- رضي الله عنه - الأمر بهدم البناء المشيد من المسجد على أرض الكنيسة وإعادة بنائها من بيت مال المسلمين كتعويض لهم ...!

لكن العلماء والفقهاء أرسلوا وفدهم إليه يطلبون منه العدول عن قراره...بيد أن "عمر" أراد للعدل أن يسلك مجراه، فأعطى أمرا جديدا يحدد فيه اليوم والساعة التي سيتم فيها الهدم والتسليم!

وهنا تبيّن للعلماء أن "عمر" سائر في أمره ما دام يخدم الحق فقط..فقاموا بمفاوضة رؤساء الكنيسة، وعقدوا اتفاقا يُرضي الطرفين، يتنازل بموجبه النصارى عن القطعة الأرضية المأخوذة...فلما تم الأمر على هذا النحو، ذهب الفريقان إلى أمير المؤمنين "عمر"، وأخبراه بما اتفقا عليه فحمد الله عليه وأقره.

لهذا عندما فارق "عمر بن عبد العزيز" الحياة، قال عنه إمبراطور الروم "ليون الثالث" وهو يذرف الدموع، وقد كان من أكبر الخصوم الأشداء للخلافة الإسلامية:"مات والله ملك عادل، ليس لعدله مثيل...وليس ينبغي أن يعجب الناس لراهب ترك الدنيا ليعبد الله في صومعته، إنما العجب لهذا الذي صارت الدنيا تحت قدميه فزهد فيها...ولقد كان حَرِيًّا أن يعجَّل به، فأهل الخير لا يلبثون مع أهل الشر إلا قليلا.."!

إن السلوك العمري في معاملاته لم يكن ناتجا عن تصنع مقيت أو تكلف بغيض، أو محاولة لإظهار الصلاح أو تزيين الظاهر على حساب

الباطن...بل كان ذلك سجية جُبل عليها من الصغر إلى الكبر بفضل النشأة الإسلامية الصحيحة ، ولو كان الرجل ممن يجيدون فن التمثيل على الناس لسقط في جب الفضيحة أمام خصومه، وأصدقائه، والتاريخ، كما جرى لوالٍ من ولاة الأمويين حاول تبييض سواد إثمه بعدما فعله بشيعة آل البيت وأنصار عبد الله بن الزبير – رضي الله عنه – من ذبح وقتل بسيفه المفضل "الحجاج بن يوسف الثقفي"...إذ أحضر شاعره "جرير" وأمره أن يقول فيه شعرا يمحي مساوئه!!!

فقال فيه :

لولا الخليفة، والقرآن يقرؤه

ما قام لناس أحكام ولا جمع

أنت الأمين، أمين الله لا سرف

فيما وليت ولا هيّابة خرع

يا آل مـــروان إن الله فضلكم

فضلا عظيما على من دينه البدع

وهذا قليل من الكثير الذي يزيف الحقائق، ويلبس الخاطئين الآثمين مسوح الإحسان والفضل في غير موضعه!

ومثل هذا الطعم الاصطناعي الضار لن ينفع، وإن نفع فلن يدوم مفعوله، ولعل سمومه ستقضي على صاحبه قبل أن يلتهم الناس شره.

وصدق الإمام علي -رضي الله عنه- عندما قال:" شتان ما بين عملين: عمل تذهب لذته وتبقى تبعته، وعمل تذهب مؤونته ويبقى ذخره".

فوضى الفتاوى*

دُعيتُ لإلقاء درس الجمعة في أحد مساجد العاصمة ، وقد شدَّ انتباهي أن جماعة من الأخوات أرسلن إلى الإمام الفاضل يطلبن منه أن يخصص لهن جلسة بعد صلاة الجمعة في المصلى المخصص لهن ليسألنه عن مجموعة من المسائل الفقهية لأن الأجوبة التي استمعن إليها هنا وهناك تشابهت عليهن، فالمسألة واحدة، والآراء فيها متعددة، فكل من هب ودب يفتي في دين الله بجرأة ودون ورع، وهنَّ يُردن عبادة الله على بصيرة والقلب مطمئن بعيدا عن الخطأ والحيرة...!

قلتُ لإمام وخطيب المسجد: هذه مشكلة عامة يعاني منها الكثير من الجزائريين بسبب انتشار "فوضى الفتاوى" التي أصبحت ظاهرة مرضية تحتاج إلى معالجة مدروسة من طرف القائمين على شؤون الدين في بلادنا...

إن غياب أو استنكاف العلماء المؤهلين للفتوى، والمخولين بالإجابة على مشكلات الناس الفقهية، والواعين بحقيقة الواقع المعيش، فسح الباب واسعا أمام ثلة من المفتين المزيفين الذين يتصدرون للفتوى دون أن يستكملوا أدوات المفتي التي تؤهلهم لدخول هذا المجال الخطير الذي هو مسؤولية أمام الله – عز وجل – لأن المفتي موقِّع عن رب العالمين، وعوض أن تكون الفتوى وسيلة بناء، أصبحت في أيديهم معولا للهدم

* جريدة البصائر العدد 260 .

وتوسيع رقعة الخلاف والشقاق، وإلهاء الأمة بمعارك فرعية تستهلك الطاقات وتشتت الصف...وهذا ما جعل الإمام محمد الغزالي – رحمه الله – يحذر الأمة الإسلامية في كتابه " الحق المرّ " قائلا:" كثر الشغب بين العوام على قضايا الخلاف، ورأينا غلمانا لا يملكون إلا بعض القشور يريدون تمزيق الأمة بترجيح مذهب على مذهب، أو إيثار رأي على رأي، وهؤلاء فتنة نحذر الناس من غوائلها.

إن الفقه الإسلامي حافل بآلاف الآراء في شتى الأحكام ومعنى خلاف الأئمة أن في الأمر سعة فإن للمخطئ وللمجتهد أجرهما وليس في الإسلام أن الفقيه المخطئ عصى الله ورسوله وعليه وزر خطئه !

إن الذين يشعلون المعارك لنصرة رأي إمام على إمام مثله خطر على وحدة أمتنا ومستقبلها في أيام تألب على الإسلام أعداؤه يريدون النيل منه"!

إننا بحاجة إلى نشر فقه أدب الاختلاف ومحاربة الخلاف بين الخواص والعوام على حد سواء، وتخليص الدين من المفتيين الأدعياء المزيفين الذين هم في كل واد يهمون، ويهرفون بما لا يعلمون، ويرفعون شعار "هم رجال ونحن رجال"ولم يؤتوا حظا من العلم والفهم، وتنظيم وضبط "الفتوى" في الصحف، ووسائل الإعلام، وعن طريق الهاتف النقال، حتى تؤدي دورها في إشاعة الفقه الصحيح، وجمع الصفوف، وتعليم الناس أمور دينهم على منهاج النبي –صلى الله عليه وسلم– والصحابة والتابعين، وعلماء الأمة المعتبرين .

أنفلونزا الفَرْنَسَة *

جلستُ في مكتبي وحملتُ ديوان شاعر النيل حافظ إبراهيم – رحمه الله – لأقرأ شيئا من شعره مروحا عن نفسي بعد يوم طويل متعب، ومن غير قصد مني انفتح ديوانه على قصيدته الرائعة الخالدة التي نظمها على لسان اللغة العربية تنعي نفسها بين أهلها...

ولقد أحسستُ، وأنا أتلو القصيدة، بنار تتأجج في داخلي، وتأكل أحشائي، عندما وصلتُ إلى قوله على لسانها:

أيهجرني قومي عفا الله عنهم

إلـــى لغة لـــم تـــتصل برواةِ

سرت لوثة الإفرنج فيها كما سرى

لعاب الأفاعي في مسيل فراتِ

أجل.. ما أكثر الذين عادوها وهجروها من بني جلدتنا إلى لغة أخرى زعموا أنها حيّة ظانين أن اللغة العربية ليست لغة علم وحضارة ...

بل وانتهى الأمر ببعض المغرر بهم إلى وصفها بالعجز، ووصف المتكلمين والكاتبين بها بالتخلف والرجعية، ومعاكسة مجرى العصرنة...

---

* **جريدة البصائر العدد 261 .**

وتدهور اللسان الجزائري- بسبب عوامل مؤثرة عديدة - حتى لم يعد مفهوما ومصنفا، فلا هو باللسان العربي المبين، ولا هو باللسان الأمازيغي السليم، ولا هو باللسان الفرنسي الدخيل..!

البيان المنشور في جريدة "الشروق اليومي" الذي وقعه جمع من أهل الرأي والكلمة والقلم من الكتاب والصحفيين والمثقفين والمتخصصين في شتى الميادين العلمية المختلفة، وساندته القوى الحية في مجتمعنا، عمل صالح وخطوة محمودة- يجب أن تتلوها خطوات - في سبيل المقاومة المشروعة ضد " **أنفلونزا الفَرْنَسَة** " في أرض الجزائر العربية المسلمة، ذات البُعد الأمازيغي العريق، فمنافحة تركة المستدمر الفرنسي في أجهزة الدولة الجزائرية ومؤسساها ضرب من الجهاد المقدس الذي يحبه الله ورسوله والمؤمنون، وهو استمرار حقيقي لثورة أول نوفمبر المجيدة التي رفعت السلاح ضد العدو الفرنسي الهمجي فأخرجته ماديا من كل شبر من ثرى بلادنا الحبيبة، وقد آن الأوان لإخراج روحه الخبيثة من كل عضو من أعضاء جسدها المنهوك لتحيا الجزائر بعد ذلك بدينها الإسلام، ولغتها العربية، كما كان يأمل المضحون بأرواحهم من أجل الاستقلال الكامل غير المنقوص .

إن أعظم الحضارات قديما وحديثا هي التي حافظ ويحافظ أبناؤها البررة، وحفدها المهرة، على لغتهم, وعلى باقي ثوابتهم المقدسة، كما

فعلنا نحن ذات يوم لما كنّا نُعتبر العالم الأول في مصف الأمم الراقية، والحضارات المندثرة أو الباقية...

والذين يحاربون الحرف العربي الذي أرهقه صعودا بعض مسؤولينا بالحرف الفرنسي الدخيل لن يصلوا إلى مبتغاهم الهدام، وهو القضاء على اللغة العربية، لغة القرآن، ولغة محمد- صلى الله عليه وسلم-، ولن يفلحوا أبدا في تقزيمها مهما ارتفع شأنهم، وعلا نجمهم، ومكروا بالليل والنهار، والسر والعلن...لأن المنطق المعقول يقول بأن القزم يبقى دائما قزما، والعملاق يبقى دائما عملاقا...

خواطر تُزعج الخاطر*

ما يحدث في الملتقيات والندوات الأدبية والشعرية من تدخلات ومناقشات وتعقيبات جانبية تتخذ اتجاها مغايرا غير مستقيم، وتستغل في نشر الغسيل الوسخ، وتبادل التهم بمتعة غريبة بين الأدباء، والشعراء، والكتاب، يرسم صورة واضحة لمعاناة الثقافة الجزائرية، ويكشف بجلاء الأدواء التي تنخر جسدها النحيل المهددة لاستقرارها ونموها نموا صحيا.

والغريب أن هذه العلل المتجذرة في أعماق الهيكل الثقافي الجزائري تزداد تعفنا وانتشارا مرحلة بعد مرحلة أخرى، ولا أحد يكاد يهتم أو يحرك ساكنا من أجل التطبيب أو إنقاذ ما يمكن إنقاذه قبل فوات الأوان..!

لقد انتقل الزمان بنا إلى قرن جديد ونحن ما نزال نـــئن تحت وطأة نفس المشاكل، ونتردى في هاوية نفس الأخطاء والهفوات، ونعيش رهائن حسابات شخصية أنانية فارغة، في حين أن الأمم المتحضرة المثقفة تخطط لآفاق أوسع في هذا العصر الذي تحوَّل العالم فيه إلى قرية صغيرة..!

إن المعارك المشتعلة رحاها بين بعض المثقفين والكتاب في الساحة الثقافية، والمعلنة على صفحات الجرائد-بين الحين والآخر-، أو الدائرة

* جريدة البصائر العدد 262 .

سرا وجهرا في أروقة المؤسسات المهتمة بالشأن الثقافي، تعطي رؤية واضحة على فقدان أدبائنا ومثقفينا لثقافة الحوار وحوار الثقافة بطريقة حضارية، وقبول الرأي المخالف بسعة صدر دون خلفيات مسبقة، والمناقشة العقلانية الهادئة – الخالية من "النرفزات" الخاوية – التي تهدف إلى البحث عن الحق والصواب وخدمة الإبداع الثقافي في بلادنا ولو كان في جعبة الخصم، وربما هذا المشكل العويص يضاف إلى المشاكل الكثيرة التي يجب معالجتها بسرعة بعد انتشار ظاهرة العنف اللفظي والبغض المخفي في عقر دار الثقافة الجزائرية المظلومة!

إنه من المستحيل أن يتفق الناس على أمر واحد في ميادين التفكير العقلي والأدبي لانطباعهم على ذلك منذ أن خلق الله الأرض ومن عليها، وليس من اللائق أن نطمس حق الإنسان – مهما يكن – في حرية التفكير والاقتناع بآراء معينة لمجرد أنه يخالفنا، ثم نتوسع بعد ذلك إلى حد تسليط عليه كل وسائل التضييق والخناق لمحوه من الخارطة الثقافية إلى الأبد، ومثل هذا "الإرهاب الثقافي" لا ينبع من أناس متحضرين يعرفون قيمة الحرية، ويكرهون التهميش، ويأملون أن تتأسس مدينة ثقافية فاضلة، تتلاقى فيها الأرواح والأجساد، وإن اختلفت الأفكار والآراء والتوجهات.

العجيب أن كثيرا من المثقفين "الإيديولوجيين" في الجزائر كانوا يرددون بشغف مقولة "فولتير" ويتغنون بمبدئه الشهير:" إنني لا أوافق على أي كلمة مما تقوله لكنني سأدافع حتى آخر قطرة من دمي عن

حقك في أن تقوله"، غير أن الأفعال كانت تخالف دائما مضمون الأقوال...فصراع الأشخاص والمؤسسات الثقافية في الساحة الأدبية، وما يدور وراء ستائرها، لدليل واضح على أن ثقافة الإيديولوجية تعدت حدود الحقائق، ومست الأهداف السامية للثقافة والمثقف، وساهمت في إيجاد مرحلة الجفاف الثقافي، والمحاباة في النقد والتكريم، وبـــخس الناس أشياءهم، فطمَّت الرداءة، وعمَّت البذاءة، وقل الإبداع الرسالي الهادف، وهُمش المثقف الشريف صاحب المبادئ والقيم والشجاعة الأدبية، ليظهر شعراء المدح، ومثقفو المناصب والكراسي، وأدباء التزلف، وكُتَّاب "حَكْ تَرْبَحْ"، فضاعت كل ثقافة ذات بال في ظلام الشبهات والأطماع الشخصية.

لكن الأمل يبقى قائما في الأجيال الجديدة -إذا وعت الدرس- التي دخلت معترك الإبداع وهي تحلم أن تحقق ما عجز عنه غيرها من المثقفين والأدباء والكتاب الذين أخذوا أكثر مما أعطوا للثقافة والإبداع...

اليوم خمر وغدا (.....) ! *

القوانين الوضعية التي تحكم أمر الأمة - لبشرية مشرعيها والمصوتين عليها- تسقط في جب التناقض والتشاكس في كثير من الأحيان...فإخواننا القابعون تحت قبة البرلمان -وكثير منهم من الحجاج والمعتمرين- صوتوا لصالح استوراد الخمور من الخارج رغم أنف الدستور الذي ينص بوضوح أن الإسلام دين الدولة، وهو -كما يعرف حتى الأطفال في دور الحضانة - يُحرم صناعة الخمور وتوزيعها وبيعها وشربها...ففي القرآن قال الله تعالى بصريح العبارة: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ، إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنْ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنتَهُونَ**﴾ **سورة المائدة الآية:91-92**، وفي الحديث الذي رواه الإمام أحمد عن ابن عمر- رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم-:" لُعنت الخمر على عشرة أوجه: لُعِنت الخمر بعينها، وشاربها، وساقيها، وبائعها، ومبتاعها، وعاصرها، ومعتصرها، وحاملها، والمحمولة إليه، وآكل ثمنها".

---

* **جريدة البصائر العدد 263 .**

من مقاصد الشريعة المشهورة حفظ العقل الذي هو نعمة جليلة أنعم الله بها على الإنسان، وعوض أن يصوِّت أعضاء المجلس الشعبي الوطني على القوانين والقرارات التي تزيد عقول أفراد شعبنا صحوا وفطنة وانتباها وتركيزا على قضايا مصيرية آنية ومستقبلية تهمهم، هاهم يعكسون المسألة – وهم ممثلو الشعب والمؤتمنون على مصالحه – فيُصوِّتون على قانون يشيع الخبائث، وينشر الآفات، ويزيد الجرائم المختلفة قوة إلى قوتها في أوساطهم، وذلك باسم الحفاظ على اقتصاد البلد ونموه واحترام شروط المنظمة العالمية للتجارة على حساب مصالح وأخلاق ومقدسات ابن البلد..!

لقد كتب بعض المحللين عندنا معتبرين أن المعركة التي خاضها بعض الشرفاء في قبة البرلمان لصدّ هذا القانون المخزي معركة هامشية أوجدتها حكومة أويحي عن عمد لصرف الانتباه عن قضايا ومسائل أخطر تَهُمُّ المواطن والوطن، وكأن هؤلاء المحللين بهكذا تخمين لم يقرؤوا عن الجرائم والحوادث الخطيرة الناتجة عن " أم الخبائث" التي عادت تهدد المجتمع في أمنه وشرفه وأمواله وحياة أبنائه..و..و..بعد أن أصبح الخمر باسم القانون وتحت حمايته ورعايته يُباع نهارا جهارا كما يُباع " القازوز " في أحياء المدن و "الدشرات"...!

قديما روي أن رجلا صالحا كان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويصدع بالحق لا يخشى إلا الله ، فغضب عليه حاكم البلاد الجائر المتجبر، فأمر جنده بإحضاره بين يديه، وحينما لم ينفع معه الترغيب

جاء دور الترهيب فخيَّره مرغما بين أمور أربعة: إما أن يقتل نفسا، أو يزني بامرأة، أو يأكل لحم الخنزير، أو يشرب الخمر، وبعد تفكير وتقدير رأى الرجل أن أخف الضرر أن يشرب الخمر هروبا من الاختيارات الأخرى الصعبة...فشرب الخمر، وضاع عقل الرجل حتى أصبح لا يفرق بين الحمار والديك، فقتل النفس، وزنا بالمرأة ، وأكل لحم الخنزير...فصدق الذي لا ينطق عن الهوى عندما سمَّى الخمر "أم الخبائث".﴿ **قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾ **سورة المائدة الآية: 100.**

كابوس المنظومة التربوية! *

الكثير من الآباء والأمهات والمعلمين يتضمرون من المناهج الدراسية الخاصة بالصفوف الابتدائية التي أصبحت كابوسا لهم ولأطفالهم الصغار الذين ضاعوا في زحمة كثرة المواد التعليمية المتنوعة التي يصعب عليهم استيعابها في هذا السن المبكر...

فمثلا تلاميذ السنة الأولى والثانية ابتدائي الذين يضعون على أكتافهم، وهم متوجهون كل صباح إلى مدارسهم، حقائب مملوءة بالكتب التي يصعب عليهم حملها، محشوة بالمصطلحات والمعلومات التي لا يفقهها حتى طلبة السنوات الأخيرة من التعليم الابتدائي كالسنة الخامسة والسادسة، وهذا خلافا لما ينصح به المختصون في ميادين التربية والتعليم الذين يرون أن السنوات الأولى هي أرضية لتعليم الأولويات والمبادئ كالقراءة والكتابة، وتقريب بعض العلوم بشكل سهل كي يتعودوا عليها، ويكسبوا شيئا من معارفها كمقدمة للتوسع فيها في السنوات القادمة بعد ذلك...

كما أن إدراج تعليم اللغة الفرنسية في السنة الثانية ابتدائي أثبت بوضوح أنه عبء زائد على التلاميذ الذين وجدوا أنفسهم عاجزين – في هذا السن المبكر – على تعلم لغة ثانية بمنهجية تُعاملهم كالتلاميذ فرنسيين الذين ولدوا في محيط فرنسي، فضاعت بذلك ساعات تعليمية

* جريدة البصائر العدد 264 .

كان يمكن أن تُستغل في تمكينهم من تعلم الكتابة والقراءة باللغة الوطنية بشكل جيد، ومعرفة أشياء أخرى يستطيعون استيعابها والاستفادة منها.

لقد ظهر جليا أن قرار إصلاح المنظومة التربوية الذي قاده بعض المستلبين فكريا عندنا لم يكن قرارا مدروسا بعمق من طرف المتخصصين الأكفاء بقدر ما كان قرارا سياسيا أراد أصحابه تمرير مشاريع "سياسوية" دفع ثمنها اليوم فلذات أكبادنا الذين تحولوا – للأسف– إلى حقول تجارب لمناهج ومفاهيم وأفكار نابعة من غير مواريثنا الحضارية العريقة، حيث أرادوا أن يجعلوا منهم مَخَازِنَ حِفْظٍ للغة المستعمر وفكره وأخلاقه، فكانوا ملكيين أكثر من الملك...

العلماء الثائرون*

لقد جاهدت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين حق جهادها في سبيل تحرير الجزائر من ربقة الاستعمار الفرنسي الحاقد، و لم تدخر وسعا، و لم تبخل بفلذات أكبادها، من أجل نصرة الثورة، وتقوية نارها الموقدة التي أَصلت بها فلول المستعمر وأذنابه الذين كانوا في كل واد يهيمون، ويصنعون بخيانتهم أقراح وأتراح الجزائريين، وما زالوا..!

لقد رفعت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين يوم أسسها المجاهد الأكرم، والثوري الأعظم، الإمام الرئيس عبد الحميد بن باديس-رحمه الله- لواء التنوير والتحرير، فبدأ الثورة مع أصحابه المخلصين، وتلامذته النجيبين، على مخلّفات الاستعمار الفرنسي، من جهل وأمية وتفرقة وبدع وانحرافات في الدين والدنيا، استعدادا وإعدادا ليوم الكريهة، يوم يرمي فرنسا بفلذات أكباد الجزائر العاشقين للموت، والمؤثرين لما عند الله من جنة ونعيم مقيم على حياة الدنيا وزينتها الفانية، ليصيبوها في مقتل فتندحر من بلدنا الطاهر، وتعود من حيث أتت ذليلة مهينة متجرعة كأس الخيبة والندامة...لكن الموت لم يمهله ليحقق هذا الرجاء الذي تغنى به في قصيدته المشهورة "شعب الجزائر مسلم" التي دعا فيها إلى الثورة والجهاد بأسلوب ذكي عبقري حيث قال مناجيا شباب الجزائر في ذلك الوقت:

* جريدة البصائر العدد 265 .

يا نشء أنت رجاؤنا

وبك الصباح قد اقتربْ

خذ للحياة سلاحها

وخض الخطوب ولا تهبْ

ويقول:

وأذق نفوس الظالميـــــــــن السم يمزج بالرَّهبْ

واقلع جذور الخائنيـــــــــن فمنهم كل العطبْ

واهزز نفوس الجامديـــــــن فربما حيي الخشبْ

لقد دعت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين إلى الثورة والجهاد في وقت مبكر جدا، وتُستشف هذه الحقيقة الخالدة بوضوح من خلال مقالات وخطب وأعمال رجالاتها الأفذاذ الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فمنهم من قضى نحبه، ومنهم من ينتظر، وما بدلوا تبديلا، ومن خلال العديد من الوثائق التاريخية المنشورة التي لا يمكن لعاقل نكرانها أو غض الطرف عنها، ومَنْ جحدها يكون كمَنْ أنكر وجود الشمس في رابعة النهار..!

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد

وينكر الفم طعم الماء من سقم

كما كانت الجمعية سباقه كل السبق إلى تبني الثورة في أيامها الأولى من خلال بيانها المشهور الذي يحمل عنوان:(نعيذكم بالله أن تتراجعوا) ووقعه الإمام الشيخ محمد البشير الإبراهيمي- رحمه الله - رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، إذ جاء فيه بلغة ثورية لا تقل عن ثورة وحماس مفجريها أنفسهم حيث قال:

" إن التراجع معناه الفناء: إن فرنسا لم تبق لكم دينا ولا دنيا، وكل إنسان في هذا الوجود البشري إنما يعيش لدين ويحيى بدنيا، فإذا فقدهما فبطن الأرض خير له من ظهرها"، ثم يقول:" إن أقل القليل مما وقع على رؤوسكم من بلاء الاستعمار الفرنسي يوجب عليكم الثورة عليه، من زمان بعيد، ولكنكم صبرتم، ورجوتم من الصخرة أن تلين، فطمعتم من المحال، وقد قمتم الآن قومة المسلم الحر الأبي، فنعيذكم بالله وبالإسلام أن تتراجعوا أو تنكصوا على أعقابكم، إن التراجع معناه الفناء الأبدي والذل السرمدي...".

إن دماء آلاف الشهداء من قادة وأبناء جمعية العلماء الذين ضحوا بأنفسهم التي بين جوانبهم في سبيل الله والجزائر لخير ردّ على الذين يضيقون ذرعا بوجود رائحة الإسلام في ثورتنا المجيدة، ويحاولون تحريف الحقائق، وتزوير المواقف، وحذف ما لا يمكن حذفه من سطور سرمدية خطتها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في سجل التاريخ الجزائري المعاصر.

رَجُل الربّ الرحيم وذَكَرُ إبليس الرجيم*

كثيرا ما تُبتلى الدعوات والإيديولوجيات، في كل زمان ومكان، بمن يُجادل في كل شيء، صغيرا كان أم كبيرا، ويتّبع هواه ليضل عن سبيل الحق، فتجده صاحب عمل قليل، ولسان طويل، يمضغ الأقوال، لا بطل أفعال، يصرع الفكرة قبل الولادة، وإن وُلدت يئدها بعد الولادة...جلف متفيهق، عنيف في الباطل، هين في الحق، وقديما قال أجدادنا الحكماء العالمون الأذكياء:" إذا تمّ العقل نقص الكلام" وبالطبع يكثر العمل، ويُغوَّر الخلل..

ومن طلب العُلا من غير كدٍّ

سيدركها إذا شاب الغراب

لقد بيّنت ميادين الجُهد والتعب، ومواقع العمل والنصب، في مساحات المدافعة والمنافحة، أن الناس رجل وذكر، الأول يُضاف إلى الرب الرحيم، والثاني يُنسب إلى الشيطان الرجيم.

فرجل الرب الرحيم يبني ويشيد، بغير حساب، وذكر إبليس الرجيم يهدم ويبدد، ليزيد العذاب...رجل الرب الرحيم دائما للخير يسعى, وذكر إبليس الرجيم يلبس الشر كالأفعى..رجل الرب الرحيم إن هدمت العواصف والقواصف خيمةً بنى مكانها قصرا، وذكر إبليس

---

* جريدة البصائر العدد 268 .

الرجيم يُخرّب قصرا، ليحفر في موضعه للآمنين قبرا...رجل الرب الرحيم يَعفّ عند الـــمغنم، ويُقبل غير هياب في ساعة الـــمغرم، وذكر إبليس الرجيم يُدْبِر في لـــمح البصر حين الـــمغرم، ويُزاحم بذلة وهوان على الفتات في الـــمغنم..رجل الرب الرحيم كالجبل الثابت يوم البلاء، صابر في المحن والإحن، وذكر إبليس الرجيم كالفتخاء تنفر من صفير الصافر...رجل الرب الرحيم لا يقطع يدا امتدت إليه بالإخاء والوفاء، وذكر إبليس الرجيم يُناجي الأعداء، ويُداهن الأكفاء، ويقابل الإحسان بالإساءة والخير بالشر كأم عامر، وما أدراك ما أم عامر؟ سأتلو عليكم من خبرها ذكرا!

لقد زعموا أن قوما خرجوا إلى الصيد فعرضت لهم أم عامر – أي الضبع- فطاردوها حتى ألجأوها إلى خباء أعرابي فدخلته، فخرج إليهم الأعرابي وقال: ما شأنكم؟ قالوا: صيدنا وطريدتنا! فقال:كلا، والذي نفسي بيده، لا تصلون إليها ما ثبت قائمُ سيفي بيدي.

فرجعوا وتركوه، وقام الأعرابي فقدم للضبع حليبا، ثم سقاها ماءً حتى عاشت واستراحت، فبينما هو نائم إذ وثبت عليه فبقرت بطنه، وشربت دمه، وفرت، فجاء ابن عم له يطلبه فإذا هو بقيرٌ في خيمته، فالتفت إلى موضع الضبع فلم يره، فاتَّبعها و لم يزل حتى أدركها فقتلها وأنشأ يقول:

ومن يصنع المعروف مع غير أهله يلاقي الذي لاقى مجير أم عامر

المغلوب مولع بتقليد الغالب..! *

كعادتها تخرج علينا تلفزتنا الوطنية بخرجة غير وطنية ، هذه الخرجة الجديدة غير المفيدة، تدخل في إطار القانون الخلدوني كما جاء في المقدمة المشهورة :" المغلوب مولع بتقليد الغالب"..!

"ستار أكاديمي3 " هذا البرنامج الذي قامت تلفزتنا بشراء حقوق بثه على مشاهديها الذين هجروها إلى قنوات أخرى، بآلاف الدولارات التي جنيت من عائدات البترول ، تكون بفعلها هذا قد أكدت عمليا أن الاستعمار الغربي كامن في داخلنا، ولم يخرج بعد كما خرج من أرضنا، فالاستعمار الثقافي وغزوه الزاحف المدمر ما يزال يؤدي وظيفته بشكل أكثر نجاحا من الاستعمار العسكري الذي جاس خلال الديار سنين عددا، فأفسد فيها، وجعل أعزة أهلها أذلة، وما يزال –للأسف– في العراق المسلوب، وفلسطين الجريحة..!

كان من الممكن لتلفزتنا التي أرادت أن تسير خلف قنوات " صفراء " بشرائها حقوق بث البرنامج الغربي ذي الطبعة العربية " أكاديمي ستار3 " أن تنتج أفضل البرامج جودة ونوعية، بفضل طاقات جزائرية موجودة، ولكنها مهمشة، وبأقل القليل من الأموال التي اشترت بها الحقوق، بيد أن عقلية الاستيراد التي أصبحت ظاهرة محببة لدى مسؤولينا جعلت من الجزائري مجرد مستهلك همه

---

* جريدة البصائر العدد 269 .

" الماركة " أو " MADE IN" أكثر من أي اعتبار آخر ..!

نحن العرب دَفَعَنا تخلفنا الواضح، وجهلنا الفاضح، واتكالنا على غيرنا، وهَوَسِنا بكل ما يفعله هذا " الغير " من أعمال صالحة وطالحة، إلى ضياعنا وتيهنا، ودوراننا في حلقة مفرغة تبدأ من الصفر وتنتهي إلى الصفر، حتى صدق فينا قول رسولنا- صلى الله عليه وسلم- حينما أطلق صيحة تحذير مبكرة لهذه الأمة فقال:" لتتبعنَّ سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى ولو دخلوا جحر ضب تبعتموهم. قلنا : يا رسول الله اليهود والنصارى. قال: فمن " رواه البخاري.

لقد أدى أجدادنا وآباؤنا واجبهم المقدس في مواجهة الغزو العسكري الذي لم يترك بيت حجر أو وبر إلا دخله في هذه الأمة المنهكة، وعلى الأحفاد اليوم تقع مسؤولية الوقوف في وجه خطر الغزو الثقافي في عصر العولمة الكاسحة التي اتخذت أشكالا مختلفة، فالواجب في هذه الحالة أقدس، والجهاد أَوْكَد، فالمسألة إما أن نكون أو لا نكون..!

كَيَانٌ لا يَزولُ بِزَوال الرِّجالِ..!*

لا يضر إسرائيل وهي دولة المؤسسات – للأسف – موت "شارون" أو حياته، كما لا يضرها بقاؤه في السلطة أو تقاعده في حياته قبل مماته، لأن هذه الدولة المزروعة – رغم أنف العرب والمسلمين – في أرض فلسطين المغتصبة نمت على أسس متينة تحفها وتحميها عقيدة دينية يولد معها الطفل الإسرائيلي ويترعرع بها، ويُعزز استمراريتها نظام مؤسساتي لا يعترف بالزعيم الأوحد الذي تحيا الدولة بحياته وتموت بموته أو ترتبك وتهتز أركانها بمجرد مرضه ولو كان هذا المرض "رشحا" عاديا...!

لا أحد من المخلصين في العالم العربي والإسلامي يحزن لموت "شاورن" فَكُرْهُ هذا السفاح المجرم - الذي سعى في أرض فلسطين ولبنان وسيناء المصرية فأفسد فيها وأهلك الحرث والنسل- حسنة يتقرب بها العبد إلى ربه، ولكن يجب توفير الفرح بمرضه وموته ليوم آخر، لأن "إسرائيل" ليست دولة عربية يعلو صوت "زعيمها" فوق صوت الدستور والقانون والشعب، ويكون هو الدولة، والدولة هو، كروحين حللنا بدنا واحدا، كما أن "إسرائيل" ليست ملكا خالصا "للرئيس" من دون الناس، ينتقل بعد عمر طويل إلى أحد أفراد عائلته بل العكس من ذلك، فسلاسة تحوّل السلطة فيها من شخص إلى آخر حسب القوانين

* جريدة البصائر 270 . تعمدت وضع هذا العنوان تقريعا للذات، لا مدحا للعدو.

تُربي ثقة الآخرين بهذا الكيان الصهيوني الذي دوّخ العرب سنين عددا، وجعلهم يمدون أيديهم إليه وهم كارهون أو راغبون، وهو يدير لهم ظهره غير عابئ بهم وبكثرتهم التي لم تغن عنهم من الله شيئا...!

إن تعويض "شارون" في حالة موته لن يكون شيئا صعبا في "إسرائيل"، ذلك أن أَلـــفَ "شارون" موجود في الاحتياط، وموته أيضا لن يغيّر شيئا في سياسة الكيان العبري الجاثم في أرض فلسطين، لأن الاستراتيجيات السياسية والعسكرية تُخَطِّطُ لها مؤسسات لا تزول بزوال الرجال، فالأمور محسوبة بدقة، ولهذا استطاع بنو إسرائيل البقاء مدة طويلة في أرض غير أرضهم، وبأعراق متنوعة ، وفي جغرافية لا تخدم مصالحهم، إذ تتوزّع فيها دول – في الأصل – معادية لهم، بل واستطاعوا أن يجعلوا من كيانهم الرقم الصعب الذي يُحسب له ألف حساب!

إنني من المؤمنين إيمانا لا ريب فيه، ولا شك يعتريه، أن إسرائيل ستزول حتما، ولكن الشيء الذي أؤمن به أيضا أنها لن تزول في الزمن العربي الحالي الرديء الغني عن كل وصف، لأن الله لا يغيّر ما بقوم حتى يغيّروا ما بأنفسهم..!

ذكرى العقاد...عبقريّ العبقريات*

رجل لا يكرره التاريخ إلا نادرا، كان من آيات الله الباهرة إذ زاده بسطة في العلم والجسم، وعبقريُّ العبقريات الذي وُلد ذات يوم ليعيش خالدا في كل العصور بعد موتته الأولى بما خلّفه من علم نافع، وفكر راقٍ، وأدب رصين، وسيرة محمودة، ومسيرة ممدودة، تتصل بها معاني العزة والكرامة، وتحفها من كل جانب الشجاعة الأدبية بعنفوانها حتى استوى وتساوى أمامه الحاكم والمحكوم، فاحتاج الناس أجمعين إلى كرائم إبداعه العقلي والعاطفي، ولم يكن محتاجا إلى أحد سوى خالقه...

إنه إمام اللغة الذي ملك ناصيتها، فرفع سمكها فسواها، وذاد عن قواعدها وأرساها..وعملاق الأدب الذي جدد في فنونه فأبدع وأخضع، وما خاض مع الخائضين، وما توقف حيث توقف الأولون، فسبق الآخرين والأولين، وفي ذلك تنافس المتنافسون..وفيلسوف الفكر الذي استنبط بتحليله الواعي أسمى المفاهيم، وأرقى التعاليم، واستخرج من بحر المعرفة اللجي نكات علمية كأنهن اللؤلؤ والمرجان، لم يتوصل إليها إنس قبله ولا جان...إنه عباس محمود العقاد...ويكفي أن يُذكر هذا الاسم وحده، فتخر له جبابرُ العلم والمعرفة ساجدين، سجود تحية وتقدير، لا سجود عبادة وتقديس...!

* جريدة البصائر العدد 271 .

قد تكون لهذا العملاق في حياته زلات وكبوات، فلكل عالم هفوة ، ولكل جواد كبوة، ولكل إنسان مهما يكن غفوة، ولكن تبقى أخطاؤه وسقطاته مغمورة في بحار فضائله وحسناته خاصة في أواخر حياته – ونعم الخاتمة – حينما ألف أروع كتبه عن الإسلام وتعاليمه وأعلامه، ورد عن دين الله أباطيل خصومه الذين كانوا يلحدون في آياته ، وبيَّن حقائقه حتى أشرقت بنور قلمه الجبار، وفعل ما لم يفعله كثير من ذوي العمائم الكبيرة الذين أكلوا بآيات الله ثمنا كثيرا...!

أربعون حِجَّة – إذن - تمر سراعا على وفاة عملاق الأدب والفكر عباس العقاد – رحمه الله – جسديا لا روحيا، فما غاب لِيُنسى، وما رحل لِيُفتقد، وهو الذي ما يزال رغم طول السنين يشغل الناس بميراثه الفكري العظيم الذي خلفه وراءه، فرُبَّ أموات كأن لم يموتوا أبدا، ورُبَّ أحياء تحسبهم أيقاظا وهم رقود، أو كأنهم – لَعُمُر الحق – على ظهر الأرض نسيا منسيا، أو كأنهم أعجاز نخل خاوية، فهل ترى لهم من باقية...؟!

أربعون حجَّة لسان حالها يقول:

أبني إن من الرجال بهيمة

في صورة الرجل السميع المبصر

فطن بكل مصيبة في ماله

فإذا أصيب بدينه لم يشعر

وتقول أيضا كما جاء الأثر:" **إنّ مِداد العلماء يُوزن يوم القيامة بدم الشهداء**".

فإن لم تكن للعقاد – رحمه الله – مزية في حياته إلا دفاعه عن دينه بقلمه البليغ، وفكره الموسوعي العظيم، لكفاه ذلك فخرا وزيادة، ومقربة يتزلف بها إلى ربّه غافر الذنب، وقابل التوب، فكل امرئ بما كسب رهين ﴿ **وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ** ﴾ **سورة البقرة الآية:283.**

فنجدد الدعاء بالرحمة والمغفرة لعملاق الأدب والفكر الأستاذ الكبير عباس محمود العقاد في ذكراه الأربعين لوفاته، سائلين المولى الكريم أن يرفع قدره في الآخرة، كما رفع قدره في الأولى، وأن يجزيه بما نفعنا من علمه الذي لم ينقطع خير الجزاء، ومن يُكرم الله فما له من مهين، والله عز وجل يفعل ما يشاء...

وبعد؛ فهذه الكلمات كتبتها على عجل فجاءت كما يهوى العاتب، لم تف بحق العقاد الأديب الكاتب، فهو غنِيٌّ عن شهادة كل قلمٍ كاتب...

تنمية الإنسان...من هنا يبدأ التغيير*

كثيرة هي الدول – ومنها الجزائر – التي تُنفق من الأموال والكنوز ما إن مفاتحها لتنوء بالعصبة أولي القوة، وذلك في سبيل التنمية الاقتصادية، والخروج من دائرة الانحطاط العام، ولكنها لا تهتدي إلى التطور والرقي، ولا يغنيها هذا التوجه من دفع نار التخلف التي ترمي بشرر كالقَصْر، كأنه جِمَالاتٌ صُفْر...!

ولو أنفقت هذه الدول – التي قيل إنها سائرة نحو النمو – النزر القليل من مواردها بشكل مخلص ومدروس في تهيئة ظروف تنمية الإنسان صانع النهضات، وباني الحضارات، لعجَّل الله لها بما كسبت انتقالا ارتقائيا نوعيا في مجالات مختلفة، ذلك أفيد لها مما تصنع، وتُضيع طاقات فيما لا ينفع!

إن فَقْدَ الرجال الأَكْفَاءِ لاَ الأَكِفَّاء، الأنقياء لا الأشقياء، الأذكياء لا الأغبياء، الذين هم من خشية ربهم مشفقون، ولخير الأمة يسعون ويعملون، أمر يعرقل كل تقدّم نحو الأفضل، ويُخَلِّف كل مسيرة إلى الأمثل، ولهذا فإن تنمية الإنسان عقليا ونفسيا منطلق هام للتنمية العامة التي تشرئب لها الأعناق، وتحاول أن تخطو نحوها كل ساق ، فمن هنا يبدأ التغيير الحقيقي المؤسس على قاعدة صلبة يمكن للبناء الحضاري أن

* جريدة البصائر العدد 272 .

يستقر عليها، وبالمقابل كل بناء استقر على جرف هار، انهار به في نار جهنم البؤس والفقر والتخلف وبئس القرار..!

وهذا الفقه الواعي هو الذي دفع أحد المفكرين للقول وهو في حالة حزن على ما فرطت هذه الأمة في جنب الله ورسالته الخالدة الإسلام " يا له من دين... لو كان له رجال"، فالإنسان – سواء كان ذكرا أم أنثى – هو عمدة كل تغيير يحدث في أي مجتمع يسعى للوصول إلى القمة، وقد أعجبني اعتراف وزير المساهمة وترقية الاستثمار، السيد عبد الحميد تمار، عندما أشار – على حسب تصريحه الذي أوردته "الشروق اليومي" في ندوة التلفزيون – إلى أن برنامج الرئيس جيد، ولكن يفتقد إلى الرجال المؤطرين والحرصين على تطبيقه، والسهر على تنفيذه...أو بالمعنى القرآني، نحن في الجزائر بحاجة إلى الإنسان القوي الأمين، والحفيظ العليم،﴿ **قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ سورة القصص الآية:26**،﴿**قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ** ﴾ **سورة يوسف الآية: 55.**

إن بناء بكلِّ رِيعٍ المصانع والمنشآت وغيرها يجب أن يوازي تنمية وإعداد الإنسان الجزائري القوي الأمين والحفيظ العليم، فإن المؤسسات الثقيلة والخفيفة لا تسيِّر نفسها بنفسها، فهي لا تملك لذاتها ضرا ولا نفعا، وإنما يُسيِّرها ذووا الأيد والأبصار من الأناسي النامين فكريا

وروحيا كما أُمروا، والمالكين للضمير المحصن الذي يهديهم إلى سواء السبيل...ولا يُرجى البناء أبدا ممن اتخذ إلهه هواه، ومذهبه الهدم..!
وصدق الشاعر الحكيم عندما قال:

متى يبلغ البنيان تمامــــــــــه

إن كنت تبنـــي وغيرك يهدم

إننا بحاجة ماسة إلى أن نُرجع البصر كرتين في هذه المسألة الخطيرة– وهي مسألة تنمية الإنسان – لأن الجهود – للأسف – كلها توجهت إلى تنمية عنصر "المادة" واكتفت بذلك، وبُنيت على هذه الفكرة الآمال، وكأن الإنسان مادة فقط لا روح...والحق أن الحياة الإنسانية لا تطير إلا بالجانحين معا...جناح المادة ...وجناح الروح...ولهذا جميل أن نخصص ما لا بد منه من الأموال وأن نستثمرها في تنمية الإنسان الذي يصنع الحياة الناجحة...ولله الأمر من قبل ومن بعد.

أعوذ بالله من العلمانية المتطرفة..! *

بين الحين والآخر يخرج علينا بعض العلمانيين التغريبيين - الذين هم من أبناء جلدتنا، ويتكلمون بغير ألسنتنا- في صحافتهم الفرانكفونية بـــخرجات تستفز في الجزائريين المخلصين شعورهم الوطني الإسلامي، ولن أناقش "خزعبلاتهم" التي رموا بها الأبصار والأسماع الأسبوع الماضي، ولكنني سأتحدث عن ماهية هؤلاء العلمانيين المتطرفين عندنا..!

هل العلمانيون المتنطعون في الجزائر حقًّا هم "علمانيون" بما يحمله هذا المصطلح التعريفي من معنى كما يزعمون هم...أم هم مجرد شرذمة قليلة من العرابيد يضيق صدرها بالتوجهات الإسلامية والتكاليف الربانية التي فرضها خالقنا وخالقهم على عباده الذين أسلموا قولا وعملا، فتحاول- هذه الشرذمة القليلة— تبرير انحرافها الفكري والنفسي بلبس مسوح العلمانية؟!

مشكلة العلمانيين المتطرفين في الجزائر أنهم من أكثر خلق الله مزايدة في ادعائهم ربوبية الحرية والديمقراطية، وكثيرا ما "يُصدعون" رؤوسنا بمقولة إمامهم "فولتير":" إنني لا أوافق على أي كلمة تقولها لكنني سأدافع حتى آخر قطرة من دمي عن حقك في أن تقولها".

* جريدة البصائر العدد 273 .

بيد أنهم في الواقع يقولون ما لا يفعلون، وفي واد التعسف والتسلط وفرض "الوصاية الآبائية "على كل الشعب يهيمون، ويحملون وصف "الديمقراطية" إلا أنهم بكل اختيار شعبي حر لا يكون في صالحهم ولا يتماشى مع أفكارهم وتوجهاتهم يضيقون ويرفضون..!

وميزة أخرى تُضاف إليهم ويُعرفون بها من دون الناس هي جهلهم المركب الواسع بالإسلام، وشريعته السمحة، وأفكاره الراقية التي ستبقى صالحة لكل زمان ومكان...والقليل الذي يعرفونه عن هذا الدين العظيم، وتاريخه المجيد، إنما استوردوه من جماعة المستشرقين، وأكثرهم باع ضميره العلمي للشيطان، وسيطر عليه حقده الدفين على الإسلام ومشروعه الحضاري، وعلى أتباعه المقتنعين به، واشتغل "عميلا للاستعمار" كما أوضح ذلك المفكر المسيحي الراحل "إدوارد سعيد" في كتابه الرائع " الاستشراق "...واقرأ – عزيزي القارئ – لـــ "محمد أركون" – شفاه الله من علله الفكرية – تعرف كيف يفعل الاستشراق بتلامذته...

وهناك صفة يشترك فيها العلمانيون المتطرفون جميعا، وهي محاولتهم الدؤوبة لتعريف "الإسلام" وتصويره من خلال التصرفات الخاطئة لبعض المحسوبين عليه، في حين يديرون ظهورهم عن عمد ومكر وخداع للحقائق الواضحة الموجودة في مصادره الموثقة خلافا للمنهج العلمي بدافع عاطفتهم المخاصمة لكل ما هو "سماوي"، وليتهم عملوا بنصيحة "مكسيم رودنسون" كما نقل عنه العلماني الإيراني "فريدون

هويدا" في كتابه المتهافت "الإسلام المعطل" حيث قال ناصحا:"على المرء ألا ينسى عقلانيته في خزانة الثياب عندما يخرج للحديث عن الإسلام "!.

خطايا العلمانية وأهلها أصحاب "الهلوكوست الفكري والسياسي" في الجزائر تعيق هذا البلد عن التقدم والرقي والتطور والتحضر في حضن المحبة والأخوة و"المصالحة" و"الديمقراطية الحقيقية" و"الثوابت" التي ضحى من أجلها الأجداد والآباء، إذ جعلت مستقبل أجيال متلاحقة من الجزائريين سوداوي اللون، ومرّ المذاق كالعلقم..!

لهذا لا بد من القول أن الوقت قد حان لينحاز الجميع على اختلاف التوجهات والإيديولوجيات في الجزائر إلى خيار الشعب السيّد مهما يكن، ويتقبلوا هذا "الحق" ولو كان مرا، وصدق القديس "جيروم " عندما قال:

" لو كان في الحق ما يصدم مشاعر الناس، فخير للمشاعر أن تصدم من أن نخفي الحق عن أعين الناس"! ...والله من وراء القصد.

ديمقراطية غربية كاذبة خاطئة ! *

تـــخيّلْ معي أخي القارئ لو أن أحدا نشر بحثا أو مقالا أو كاريكاتورا يشكك في مسألة ما تُسمى بـــ " المحرقة اليهودية " في أرض الديمقراطية وحرية التعبير "أوربا" ماذا كان سيحدث؟!

بكل تأكيد ستقوم الدنيا ولا تقعد، وسيُوصف صاحب البحث أو المقال أو الكاريكاتور بأنه "نازي" أو "معادي للسامية " أو "من دعاة العنصرية "...وستُرفع ضده العشرات من القضايا في المحاكم، وسيُحاصر إعلاميا، ويُطرد من وظيفته، ويُهدد بالقتل؛ وما حدث للمفكر الفرنسي المسلم "روجيه غارودي" بعد نشره لكتابه القيّم (الخرافات المؤسسة للسياسة الإسرائيلية) شاهد واضح أن الغرب يتعامل مع كثير من القضايا بوجهين اثنين:

- وجه مساند للصهيونية العالمية التي تتحكم في رقاب الساسة الغربيين كما قال "بول فيندلي" في كتابه (الذين تجرأوا على الكلام):" يملك رئيس وزراء إسرائيل من التأثير في السياسة الخارجية للولايات المتحدة الأمريكية في الشرق الأوسط أكثر مما يملكه في بلاده نفسها "..!

- ووجه يُخاصم الإسلام ومقدساته بحقد أكثره باطني وقليله ظاهري، والإساءة الغربية بالرسم الكاريكاتوري للنبي الكريم محمد - صلى الله عليه وسلم – باسم حرية التعبير والديمقراطية، ومن قبل هذا محاربة

---

* جريدة البصائر العدد 274 .

"الحجاب" وسن القوانين للتضييق على المحجبات، وعلى المسلمين بشكل عام في نشاطاتهم وأعمالهم، والقائمة طويلة جدا...لخير دليل على الروح الصليبية الحاقدة المتجذرة في أعماق الكثير من الغربيين "المتصهينين"، والصهيونية السياسية بما تحمل من أفكار معروفة...مذهب عدواني لا بد من مواجهته كما قال روجيه غارودي ...

أيُّ ديمقراطية التي يدعو إليها هذا الغرب المتغطرس، وأيُّ "حرية " تلك التي يتبجح بها، ويَعِدُ بها الشعوب العربية والإسلامية، وهو يوجِّه هاتين المسألتين توجيها منحرفا كما حدث مع الانتخابات الفلسطينية الحرة والنزيهة التي فازت فيها حركة المقاومة الإسلامية "حماس" عن جدارة واستحقاق، ولكن الغرب رفع عقيرته متوعدا بقطع المساعدات إن شكلت "حماس" الحكومة، واشترط عليها أن تعترف بدولة إسرائيل وتواصل مسار المفاوضات والسلام مقابل تشكيل الحكومة والحصول على الدعم المالي والسياسي...!

إن "ديمقراطية " حلال علينا، حرام عليكم، التي يطبقها "الغرب" مع العرب والمسلمين لتؤكد للمرّة الألف أن الحرية لا تُمنح، وإنما تُؤخذ غلابا عن طريق النضال الحكيم الشخصي، لا النضال المشبوه، وأن هذا الغرب الحاقد لن يسمح أبدا بأن يظهر في الأمة الإسلامية من يمكنه أن يرتقي إلى مصاف الأقوياء، كما حدث للعراق الجريح الذي دُمّر وأعيد إلى مرحلة القرون الوسطى، ويُحاول الآن تحطيم المشروع

النووي الإيراني، وبالمقابل يسكت عن الترسانة النووية الإسرائيلية، ويضغط بشكل متزايد على سوريا لتتنازل عن مبادئها القومية، وعلى رأسها مساندة المقاومة في لبنان وفلسطين..!

إنه عصر تداعت فيه الأمم الغربية على الأمة الإسلامية كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها، ولن تُعزّ هذه الأمة إلا بالعودة إلى دينها، فقد كانت ذليلة فأعزها الله بالإسلام ومهما تبتغي العزة في غيره أذلها الله.

أُكلتُ يوم أُكل الثور الأبيض! *

" لقد انحدرنا بسبب استعمالنا للقنبلة الذرية إلى مستوى البربر في العصور الوسطى، وليس هذا السلاح الرهيب الذي يخدم حربا غير حضارية إلا بربرية حديثة لا تليق بالمسيحيين"

"الأميرال فليتر"

نقلا عن:" الخرافات المؤسسة للسياسة الإسرائيلية.

ص150 للمفكر روجي جارودي".

الهجمة العدوانية الغربية الحاقدة والشرسة على الجمهورية الإسلامية الإيرانية التي تولت كبرها الولايات المتحدة الأمريكية بحجة أن إيران تسعى لتخصيب "اليورانيوم" تمهيدا لصناعة القنبلة النووية، لا يمكن عزلها عن سلسلة الهجمات المتتالية على الأمة الإسلامية باعتبارها الخصم رقم واحد بعد سقوط الاتحاد السوفياتي، ومجيء مرحلة ما بعد11 سبتمبر "**حادثة المروحة الجديدة** " التي استغلتها أمريكا لإعلان الحرب على "الهلال" واحتلال أراضيه، وإذلال المنتمين إليه..!

ولا شك أن أهم سببين- من بين جملة مِنَ الأسباب - دفعا أمريكا وأخواتها من الغربيين للوقوف موقفا معاديا لإيران يتمثلان فيما يلي:

*** جريدة البصائر العدد 276 .**

أولا: إيران دولة إسلامية كبيرة مساحة وشعبا وإمكانات بعد سقوط العراق، تتبنى النهج الإسلامي الشيعي الثوري في الحكم، وتملك امتدادات مؤثرة في مناطق مجاورة يُحسب لها ألف حساب محليا ودوليا.

ثانيا: وإيران معادية بشكل واضح ودون تورية للأمريكان وللكيان المزروع في الشرق الأوسط المسمى بـــ "إسرائيل"، وامتلاكها للبترول والتكنولوجيا النووية يعني امتلاكها لأهم الأسلحة الرادعة لغرور الغرب المستعلي في الأرض ولــ"الكيان الإسرائيلي" الذي يملك في مخزونه العسكري المئات من الرؤوس النووية في المنطقة العربية رغم أنف "الأمم المتحدة"... و"الوكالة الدولية للطاقة"...، وبطبيعة الحال بحماية "ماما" أمريكا التي استخدمت منذ عام 1972م حق النقض في مجلس الأمن الدولي أكثر من ثلاثين مرة ضد مشاريع قرارات تدين "إسرائيل"...!

وليس بمستغرب أن تقف الولايات المتحدة الأمريكية - بحزبيها الجمهوري والديمقراطي- إلى جانب "إسرائيل" هذا الكيان الذي يرى نفسه دولة فوق العادة وشعبه شعب الله المختار على حسب قول اليهودي "رابين كوهين" في كتابه "التلمود":" يمكن تقسيم سكان العالم إلى قسمين: شعب إسرائيل من جهة، وكل شعوب العالم

الأخرى مجتمعة من جهة أخرى...إسرائيل هي الشعب المختار مبدأ أساسي".

ولكن الغريب أن تواجه "إيران" ضغوطات أمريكية وغربية، والعالم العربي والإسلامي يدير ظهره لها رغبة في مغنم مسموم مرة، ورهبة من مغرم معلوم مرة أخرى، والواقع المعيش يرفع عقيرته قائلا للدول العربية والإسلامية بعد حروب الخليج :" **أُكلتُ يوم أكل الثور الأبيض**"...!

إن الولايات المتحدة الأمريكية – بزعامة المحافظين الجدد اليوم أو غيرهم – التي ألقت على "هيروشيما" و "ناغازاكي" قنبلتين ذريتين أبادت أكثر من 200 ألف إنسان وخلفتا 150 ألف جريح إصابتهم دائمة و. و.و. لن تتورع عن حصد أرواح الآلاف من العرب والمسلمين في أي منطقة وُجدوا، وتحطيم مئات المدن من أجل ضمان بقاء مصالحها – على الأقل ثابتة – و من أجل عيون " الصهيونية العالمية" وكيانها المزروع في أرض فلسطين المغتصبة..!

فهل العرب والمسلمون واعون بهذا..؟

الفنك الذي لم يكن ذهبيا*

للمرة الألف وزيادة يبدو واضحا لكل من أوتي عقلا سليما وبصـــرا حديدا، أن تلفزتنا الوطنية تخبط خبط عشواء في إعداد برامجها، وتنظيم حفلاتها، ومعاملة جمهورها إن كان لها جمهور يخصص شيئا من وقتـــه لمتابعتها..!

هذه التلفزة "المسكينة" المغلوب على أمرها من طرف مسؤولين ليسوا رساليين، وما هم حتى بمهنيين كغيرهم من مسؤولي القنوات الفضائية والأرضية الأخرى، بقدر ما هم أناس يهمهم الجلوس على كراســـي المسؤولية، ومسايرة الأهواء التي لا تتماشى مع قيمنا الغالية، ومبادئنـــا السامية، وثوابتنا المقدسة..!

يبدو هذا ظاهرا في فعاليات الفنك الذهبي – الذي لم يكن ذهبيـــا – التي احتضنته القاعة البيضوية بالجزائر فكانت حلقة جديدة تُضاف إلى حلقات إخفاقات مؤسسة التلفزة "الوطنية" التي ترتقي دائمـــا نحـــو الأسفل..!

لن أجادل في مسألة لجنة التحكيم التي لم تكـــن موفقـــة في اختيـــار الفائزين بأوسمة الفنك الذهبي على مستوى مختلف أصـــناف العمـــل التلفزيوني..ولن أجادل فيما قيل إن تعليمات صارمة أعطيت لأعضاء لجنة التحكيم حتى تُغلِّب جملة من التوجهات الفكرية والسياسية لبعض

* جريدة البصائر العدد 277 .

الأعمال المشاركة في مسابقة الفنك الذهبي التي تعاكس الطرح العربي الإسلامي.. ولن أجادل في الفوضى التنظيمية التي رافقت فعاليات هذا "المهرجان" الذي حدث له مثل ما حدث للغراب الذي أراد أن يُقلد مشية "الحجلة" فلم يُوفق لـذلك، والمشـكلة أنـه نسـي مشـيته الأصلية..ولن أجادل في المشكلة الأخلاقية القانونية القديمة الجديدة في التلفزة الجزائرية التي أصبحت ظاهرة تستفز مشاعر الوطنيين الغيورين مرات ومرات وهي هتك حرمة اللغة العربية المحمية من طرف سـلطة الدستور والقانون، بل وقبل هذا تحميها دماء مليون ونصف مليون من الشهداء الأحرار الأبرار، فلماذا التنشيط في حفـل الفنـك الـذهبي بالفرنسية، وكأننا نشاهد حفلا منقولا من إحدى قاعـات فرنسـا العجوز، والحمد لله أن الفنان المصري يحي الفخراني قد أنقذ الموقف في الدقيقة الأخيرة بكلمته العربية المعبّرة التي كانت في المستوى..!

ولكن سأسمح لنفسي بالمجادلة على شكل سؤال في سطر فأقول: أيها المسؤولون في السلطة التنفيذية إلى متى يبقى الرجل غير المناسـب في المكان المناسب؟!

وحدة المسلمين الغائبة..! *

من قرون قرر إمام علم الاجتماع ابن خلدون أن العرب لا يقوم لهم ملك إلا على أساس الدين، وتظهر صحة هذه القاعدة من قراءتنا للتاريخ الإسلامي الذي صنعه رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه...

يقول العلامة المرحوم الشيخ محمد الغزالي في كتابه "الحق المر":

" إن الصحابة والتابعين – وهم مثلنا الأعلى – وثبوا على بحر الروم فغيّروا اسمه ، سموه البحر الأبيض، كانوا قبل الإسلام لا يحسنون إلا قيادة القوافل أما بعدما أسلموا وارتفع بالإسلام مستواهم العقلي فقد قادوا السفن والدول والحضارات ، فهل نعود إلى كتابنا لنداوي به عللنا، ونسترد به صحتنا ووحدتنا، ونقدمه إلى العالم كتاب حقائق تشفي وتكفي".

فالدين الإسلامي الحنيف استطاع أن يوحد كلمة المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها رغم اختلاف ألوانهم وألسنتهم وعاداتهم وتقاليدهم، وجعل منهم كتلة واحدة يشترك أفرادها معا في الأفراح والأتراح، والإحن والمنح كأنهم بنيان مرصوص يشد بعضه بعضا..

لكن عندما انتشر التدين المغشوش، واختلت المفاهيم، واعتلت النيات، انقسم المسلمون إلى أحزاب وشيع ينكر بعضها بعضا، ويضرب بعض

---

* جريدة البصائر العدد 278 .

أفرادها رقاب بعضهم باسم الطائفية والمذهب والانتماء القطري والتحزب للشرق تارة والتحزب للغرب تارة أخرى..!

لقد عرف خصوم الإسلام والمسلمين أن الأمة الإسلامية لن تقوم لها قائمة إلا إذا توحدت واجتمعت كلمتها تحت ظلال الإسلام كسابق عهدها الزاهر، ولهذا أُشبعت مخططاتهم – كما تدل العديد من الوثائق القديمة والحديثة – بمؤامرات التشتيت والتقسيم، ونشر بذور الخلاف والشقاق والنفاق وسوء الأخلاق في أقطارنا الإسلامية فكانت النتيجة أن ضعفنا فانهزمنا، وهم ازدادوا قوة إلى قوتهم فانتصروا...

أذكر أنني قرأت تصريحا لأحد كبار القادة العسكريين سُئل عن سبب انهزام العرب في كثير من معاركهم مع إسرائيل رغم أنهم 22 دولة وهي دولة صغيرة واحدة.فأجاب قائلا:" لهذا انهزم العرب وانتصرت إسرائيل لأنها دولة واحدة، وهم 22 دولة "...!

لقد فُتحت الأندلس قلعة الإسلام في أرض أوروبا بعد تضحيات جسام قدمها المسلمون الأوائل، وما تم لهم ذلك إلا عندما اشتبكت يد العربي بيد البربري باسم الله، وتحت راية الإسلام، وتوحدت القلوب والأجساد على الحب الرباني السرمدي، إيمانا بقوله تعالى: ﴿ **وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُسْلِمُونَ** ﴾، وكأن لسان حالهم يقول ما قاله الشاعر المعاصر:

يا أخي في السند أو في المغرب

أنت مني أنا منـــك أنـــت بي

لا تسأل عن عنصري عن نسبي

إنـــه الإســـلام أمـــي وأبـــي

إخـــوة نـــحن به مؤتلفـــون

بيد أنه خلف من بعدهم خلوف أضاعوا هذه الحقيقة الخالدة فتفرق شملهم وساروا في الأرض طرائق قددا، وطوائف مختلفة متحاربة على مصالح ذاتية أهكتهم وجعلتهم لقمة سائغة في فم الصليبية الحاقدة - راعية الصهيونية العالمية فيما بعد - التي ضربت بعضهم ببعض، حتى أضعفتهم، ثم أجهزت عليهم جميعا، ورحم الله الشاعر الباكي الذي قال يرثي بمرارة حال أندلس الحضارة التي انهارت بعد عمارة:

مما يزهدني في أرض أندلـــس

ألـــقاب مـــعتمد فيها ومعتضد

ألقاب مملكة في غير موضعها

كالهر يحكي انتفاخا صولة الأسد

مشكلتنا نحن المسلمين هي أننا لا نقرأ التاريخ، وإذا قرأناه نسرد أحداثه ووقائعه بألسنة هجاءة أو مداحة، وبأعين موتى، ولهذا فهو يُعيد نفسه في أكثر من أرض إسلامية ..!

ذكرى الإمام محمد الغزالي ...سيرة ومسيرة*

الإمام المجدد محمد الغزالي – رحمه الله – قمة من قمم الفكر الإسلامي المعاصر، وواحد من عمالقة الدعوة الإسلامية قيادة وتوجيها وتنظيرا ..يُعد من العلماء الدعاة العاملين البارزين الذين كانوا قلاعا صامدة في وجه شتى التحديات التي واجهت الإسلام والمسلمين في القرن الماضي ..

وقد وُلد الشيخ الإمام المجدد محمد الغزالي السقا في قرية نكلا العنب بمحافظة البحيرة سنة 1917م... هذه القرية التي أنجبت العديد من الرجال العظماء أمثال الشاعر الكبير محمود سامي البارودي, كما أنجبت – محافظة البحيرة – رجالا مخلصين تركوا بصماتهم في تاريخ مصر كالشيخ سليم البشري، والشيخ إبراهيم حمروش، والشيخ محمد عبده، والشيخ حسن البنا، والشيخ محمود شلتوت، والدكتور محمد البهي، والشيخ المدني، والشيخ عبد العزيز عيسى، والشيخ عبد الله المشد وغيرهم..

وفي صباه المبكر التحق الشيخ الغزالي – رحمه الله – بكتّاب القرية حيث حفظ القرآن الكريم وتعلم مبادئ القراءة والكتابة، ثم التحق بمعهد الإسكندرية الديني، فالأزهر الشريف، أبرز القلاع العلمية الإسلامية في العالم الإسلامي كله، وقد تخرج منه سنة 1941م

---
* جريدة البصائر العدد 279 .

حاصلا على شهادة العالمية، وعلى درجة التخصص في التدريس سـنة 1943م.

ومنذ عام 1942م والشيخ الغزالي- رحمة الله عليه- يعمل في وزارة الأوقاف المصرية، وقد تدرج في وظائفها من إمام خطيب حتى وصل إلى درجة وكيل الوزارة،كما زاول التدريس – بعد ذلك – في كليات الشريعة وأصول الدين، والدراسـات العربيـة، والتربيـة، بـالأزهر الشريف، و عمل أستاذا بجامعة أم القرى في المملكة السعودية، وبكلية الشريعة في قطر، ورَأسَ المجلس العلمي بجامعة الأمير عبـد القـادر- قسنطينة – في الجزائر التي أعطاها من جهده وجهاده الكثير مدة خمس سنوات عاد بعدها إلى وطنه منهوك القوة بسبب ما بذله مـن عمـل متواصل و نشاط دعوي دؤوب في سبيل نشر تعاليم الإسلام، وإحياء الوازع الديني في نفوس الجزائريين ..وأيضا بسبب ما واجهه من ضيم و مكايد و مؤامرات كان وراءها خصوم أذكياء أصـحاب لـؤم في أحيان كثيرة، و في أحيان أخرى كان وراءها بعض الجهلة المحسـوبين على الإسلام – للأسف – من ذوي النفوس المريضة و العقول المظلمة والنظرة السطحية..ولله في خلقه شؤون..!

لقد تعددت جهود ونشاطات الإمام محمد الغزالي – رحمـه الله – إذ مارس الكتابة فأنتج أهم الكتب في مجالات الفكر والدعوة و التربية و علوم الدين، حيث صحح مفاهيم مغلوطة، ورسم الطريقة الصـحيحة لفقه الإسلام بتوازن وشمولية وعقل ووجدان، فكوّن بكتاباته ودروسه

وخطبه مدرسة فكرية لها جماهير غفيرة من الأتباع والمريدين في كـــل مناطق العالم الإسلامي الفسيح، ورغم ذلك فهو لا ينسى أبدا فضـــل الإمام حسن البنا عليه – بعد الله – وفضل مدرسته الكبرى جماعـــة الإخوان المسلمين التي التحق بصفوفها شابا.

ولكن انتماءه للإسلام كان أعظم عنوان يحبه ويرتاح إليه، ولهذا كان يُردد دائما:" أنا لا تهمني العناوين ".

وقد ابتلي الإمام الغزالي –رحمه الله– بالسجن فلبث فيه بضع ســـنين أيام الاستبداد السياسي الملكي في مصر– وضُيّق الخناق عليه في العهود الأخرى بعد ذلك– بسبب صدعه بالحق، ودفاعه الواضح عن العدالة الاجتماعية وحقوق الإنسان، ودعوته إلى تبني الإسلام كمشروع يُطبق في جميع مجالات الحياة حتى تعود للأمة عزتها، وتمتطي قمة المجد والقيادة كما كانت في العصور الذهبية الأولى...

لقد ساهم الشيخ في مجال الصحافة مساهمة معتبرة – إلى جانب تأليفه الكتب و إلقائه الخطب و الدروس و المحاضـــرات – حيـــث كـــان سكرتيرا للتحرير بمجلة "الدعوة"، كما كتب في مجلـــة "المســـلمون", و"النذير" و"المباحث " وشارك قلمه البليغ بكتابة مقالات عديـــدة في صحف إسلامية مصرية مثل "لواء الإسلام" و "منبر الإسلام" وغيرها..

هذا ومن الصعب حصر الصحف والمجلات التي تعاون معهـــا الإمـــام الراحل محمد الغزالي في أنحاء العالم الإسلامي كله، كتابـــة وتحريـــرا وتوجيها،كما أمد الصحافة المصرية والعالميـــة بأحاديـــث كـــثيرة لا

تُحصى... وإلى جانب نشاطه الإعلامي هذا، كان الشيخ محمد الغزالي - رحمه الله – كثير الحركة والأسفار إلى جميع بقاع العالم ليبلغ كلمة الله، ويشارك في المؤتمرات والندوات شارحا حقائق الإسلام، وموضحا تعاليمه بفكره الوسطي المعتدل، ومدافعا عن دين الله الــذي حــاول خصومه أن يشوهوا صورته البيضاء النقية في أعــين النــاس عربــا وعجما..!وكان آخر مؤتمر شارك فيه الإمام الغزالي – رغم مرضــه وكبر سنه – هو ملتقى "الجنادرية" حيث داهمت الشيخ "الغــزالي" – رحمه الله – أزمة قلبية أثناء حضوره إحدى جلسات ندوة "الإســلام والغرب" في الساعة التاسعة والدقيقة الأربعين، وذلك يــوم الســبت التاسع من مارس عام 1996م، توفي على إثرها رغم إسعافات الأطباء الذين كانوا حاضرين في القاعة، وكان آخر كتاب بين يدي الشيخ هو "أمريكا والإسلام تعايش أم تصادم" تأليف الأستاذ عبد القادر طــاش رئيس تحرير جريدة "المسلمون"...وهكذا انتقلت نفس شيخنا المطمئنة إلى ربّها راضية مرضية لتدخل في عباده و تدخل جنّته إن شاء الله .. رحم الله الإمام الشيخ محمد الغزالي, وجزاه عنا وعن الإســلام خــير الجزاء.

مُلوك الطوائف الجدد ..! *

يجتمع حكام العرب في قمتهم – كالعادة – كل سنة، والنتائج التي تخرج بها القمة، في أي أرض عربية تحتضنها، معروفة قياسا بالقمم الغابرة التي جمعت قادة العرب ليتشتتوا أكثر، وتزداد رقعة الخلاف شرخا بينهم، ولعل نقطة الاتفاق الوحيدة التي يُجمعون عليها هي"الاتفاق على عدم الاتفاق"!

مشكلة العرب أنهم – للأسف – لا يستفيدون من دروس الهزيمة التي تكررت على مدى سنوات عديدة، فهم "تلميذ فاشل" لا يستفيد من نفس زلاته وأخطائه، وإن كان المثل الألماني الشهير يقول:" ليس العيب في السقوط، ولكن العيب أن يسقط المرء، ويبقى ساقطا"، فإن العرب استلذوا " السقوط" واعتادوه حتى أضحى طبيعة مستحكمة فيهم، فهم لا يريدون أن يغيروا ما بأنفسهم، ويعرقلون كل من يريد أن يغيرهم ويرتقي بهم، ولا يَسُرهم الخروج من مرحلة " التيه" التي ابتلوا بها بعد أن اثَّاقلوا إلى الأرض، ورضوا بمناهجها الكالحة الميتة، وأعرضوا عن منهاج السماء الحي الذي أحيا أمة بعد مواتها، وما ألطف عبارة أبي يزيد البسطامي عندما قال:" أخذتم علمكم ميتا عن ميت، وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت"...وصدق شوقي عندما أنشد قائلا:

---

* جريدة البصائر العدد 281 .

بك يا بن عبد الله قامت سمحة

باالحـــق في ملل الهـــدى غراءُ

فرسمت بعدك للعباد حكومـــة

لا ســـوقة فيها ، ولا أُمـــراءُ

الله فوق الخـــلق فيها وحـــده

والناس تـــحت لوائها أكفاءُ

حين أشاهد حكام العرب الحاليين ، مجتمعين متفرقين، لستُ أدري لماذا تظهر أمامي صورة " **أندلس ملوك الطوائف**"، وأحداثها الكئيبة، ووقائعها العجيبة، التي يجب أن لا تغيب عن مخيلة كل عربي مسلم..!

لقد اشتد صراع هؤلاء الملوك فيما بينهم باسم العنصرية والجنس، وتركوا خصومهم الحقيقيين من الصليبيين يكتسحون أرض الأندلس شبرا شبرا، وقطعة قطعة، وارتفعت رايات متعددة هنا وهناك بألوان مختلفة، وأنزلت راية الإسلام الواحدة الـــمُوَحدة...وجريا وراء المصالح الذاتية، وحرصا على الكراسي الزائلة، تحالف ملوك الطوائف مع أعدائهم الصليبيين الحاقدين ضد بعضهم البعض..وماذا كانت النتيجة؟!

لقد ضاعت الأندلس، وسُلبت الممالك، وطُرد سكانها شر طردة، وعُذب من بقي من المسلمين في محاكم التفتيش حتى غيروا دينهم خوفا وتسترا، وما تزال إلى يوم الناس هذا صدى كلمات أمّ أبي عبد الله،

آخر ملوك الطوائف، تهز النفوس الحية هزا، وتنكأ الجراح الكثيرة، عندما قالت لولدها الملك الباكي المنهزم المفرط في إرث الآباء والأجداد، بل في أرض الإسلام والمسلمين:" ابكِ مثل النساء ملكا لم تحافظ عليه مثل الرجال".

الأمة العربية الإسلامية بحاجة اليوم إلى قادة رساليين عباد لله وحده، يهمهم أمر الإسلام والمسلمين، ويسعون لجمع الكلمة تحت راية واحدة تقودهم إلى النصر والعزة...فالشعوب في العالم العربي والإسلامي ملّت الانبطاح، والانهزام، والفُرقة، والصراعات الشخصية، والعلاقات المكهربة، بين الحاكم الفلاني والحاكم العلاني.. أفلا يكفي درس سقوط فلسطين وأفغانستان والعراق ...

أخشى ما أخشاه أن تبقى مقولة أم عبد الله تتكرر مرات ومرات في عصر ملوك الطوائف الجدد!!

أبطال أفعال لا ماضغو أقوال..! *

شارك العلامة الإمام المرحوم الشيخ محمد البشير الإبراهيمي الرئيس الثاني لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين في احتفال خطابي أقامته جمعية الأخوة الإسلامية بالعراق على شرفه وشرف الأستاذ المجاهد الكبير الفضيل الورتلاني – رحمه الله – وفضيلة السيد مجتبى نواب صفوي، ألقى فيه الإمام الإبراهيمي كلمة بليغة عبّر فيها عن مشاعر المسلمين الذين يتحرقون أسًى على ما وصلت إليه حالة العالم الإسلامي وخاصة فلسطين جاء فيها ما يلي:

" إن معرفة كارثة فلسطين لا تعدو أن تكون أسئلة وأجوبة، فإن استطعنا أن نعرف الأجوبة استطعنا أن نعرف الداء ثم نعالجه...

أما **السؤال الأول** فهو: هل أضعنا فلسطين؟

الجواب: نعم.

السؤال الثاني: هل أعطيناها أم أخذوها منا؟

الجواب: أعطيناها نحن...

السؤال الثالث: هل يمكن استرجاعها؟

الجواب: يمكن استرجاعها...

ثم قال: بماذا أضعنا فلسطين؟

---

* **جريدة البصائر العدد 285 .**

الجواب: أضعناها بالكلام.

فقد كان الشعراء ينظمون القصائد الطويلة العريضة في مديح العرب وتسفيل اليهود، والكتاب يكتبون، والساسة يصرحون، فبين النظم والتصريح والكتابة والخطابة ضاعت فلسطين...

ثم قال: الرجل البطل يعمل كثيرا ولا يقول شيئا..." (آثار الإمام الإبراهيمي الجزء 4/ص 282).

والعبد لله يقول: إننا بحاجة إلى رجال أبطال أفعال لا ماضغي أقوال..فالحصار الاقتصادي والسياسي المضروب على الشعب الفلسطيني لا يُفك إلا بوحدة الجهود الفعلية العملية الواقعية لا بصناعة المهرجانات الخطابية والفنية التي لا تُسمن ولا تُغني من جوع ، فقد حان وقت الفعل والحركة...وهنا أضع القلم!

من وحي التغريبة الفلسطينية! *

مأساة الشعب الفلسطيني التي تزداد تفاقما كل يوم، دليل على موت الإنسان في أنفس البشر في عصر اختراق الفضاء..فالعالم كله يشارك في هذه المأساة، ولهذا فهو المتهم الأول على حدوث جريمة إبادة شعب بأكمله من أجل إرضاء غرور شرذمة قليلة من الصهاينة المحتلين الموجودين في قلب فلسطين، والصهاينة المتغلغلين في جسم أمريكا، وبالضبط في مكاتب البيت الأبيض الذي أصبح بيتا أسود من كثرة المآسي التي جناها على المسلمين في كل مكان خاصة، وعلى المستضعفين من بني البشر عامة..!

دولة إرهابية كاملة العدة والعتاد، من مختلف الأسلحة المتطورة، وتحميها دولة عظمى، تقصف الأحياء الشعبية فتقتل الأنفس البريئة، وتدمر المنشآت، وتحاصر شعبا أعزل ليموت ببطء، فلا يتحرك العالم، ولا تندد دولة من الدول التي تزعم أنها متحضرة، وديمقراطية، وراعية حقوق الإنسان، وإذا دافع الشعب الفلسطيني الضعيف - الذي لا يملك إلا ثقته بربه وقضيته وشجاعته- عن نفسه قامت الدنيا ولم تقعد، وتساقطت وتطايرت التنديدات والاتهامات من كل مكان..إنه النفاق العالمي الذي أصبح ظاهرة معاصرة، تنشره للأسف أكبر منظمة عالمية هي منظمة الأمم المتحدة التي تستعملها الولايات المتحدة

* جريدة البصائر العدد 287 .

الأمريكية وأخواتها من حلفائها ورقة ضغط على كل بلد لا يسير في نهج الانبطاح كما يحدث هذه الأيام للجمهورية الإيرانية الإسلامية، وكما حدث للعراق المدمر والمستترف، ولسوريا المحاصرة و...و...و..!

إن ما يُسمى "الإرهاب العالمي" اليوم هو رد فعل طبيعي "للديكتاتورية العالمية" التي تقودها أمريكا المتربعة على كرسي الظلم الذي مس أجزاء كثيرة من العالم، فالضغط إذا لم يجد متنفسا يُولد الانفجار، ويُنتج بعدها الدمار..وهل تنتظر أمريكا أن تجني من أشواكها الثمار؟!

وما أعقل عبارات الإمام الرائد المرحوم الشيخ عبد الحميد بن باديس عندما قال في جريدة البصائر العدد 165 – 22 ربيع الأول 1358:"...للحقيقة علي أن أقول : إن الجانب الذي يظلم ويجد المظلوم معه متنفسا لشكواه، خير وأشرف من الجانب الذي يظلم ويخنق ويكم الأفواه ويكسر الأقلام ولا يعرف ظلمه إلا بما يتسرب – غصبا عليه – من أفواه الباكين والمتشردين والاستعمار كله شر، ولكن في الشر ما يختار".

إن الديكتاتورية سواء كانت على مستوى الأشخاص (الفرد) أو على مستوى المجتمعات (الدولة) حياتها قصيرة، وإن طالت، فإن مصيرها معروف، إنه السقوط من أوسع معانيه..وفي التاريخ الإنساني ذكرى وعبرة، ولكن أكثر الناس لا يعلمون..وإذا علموا..سرعان ما ينسون..ولله في خلقه شؤون..!

إن الأمة الإسلامية لن تتخلص من أوضاعها المأساوية، وضعفها وهزالها إلا بعودة وحدتها المفقودة التي كانت من أهم عناصر قوتها..ونهوضها بكتاب الله وسنة رسولها من جديد، لتؤدي رسالتها كما كانت، لتكون شاهدة على الناس، وقائدتهم إلى الخير، ورحم الله إمام دار الهجرة مالك بن أنس – رضي الله عنه – الذي قال:" لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها". فهل نعود إلى ربنا ونهجه حتى لا نخسر أنفسنا وأراضينا وأعراضنا وعزتنا.﴿ **وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾ **سورة المنافقون الآية: 8.**

العلامة الشيخ محمد الصالح الصديق:
البقية الصالحة من جيل الروَّاد والعمالقة.. *

"حياة كلها جدّ وعمل، وحي كله فكر وعلم، وعمر كله درس وتحصيل، وشباب كله تلقّ واستفادة، وكهولة كلها إنتاج وإفادة، ونفس كلها ضمير وواجب، وروح كلها ذكاء وعقل، وعقل كله رأي وبصيرة، وبصيرة كلها نور وإشراق، ومجموعة خلال سديدة، وأعمال مفيدة، قلّ أن اجتمعت في رجل من رجال النهضات، فإذا اجتمعت هيّأت لصاحبها مكانه من قيادة الجيل، ومهدّت له مقعده من زعامة النهضة ...".

هذه كلمات خطها إمامنا "البشير" في حق إمامنا "المبارك"، لتصدق في علامتنا الأستاذ الشيخ محمد الصالح الصديق الذي نال الفضائل والأمجاد من أوسع الأبواب -نحسبه كذلك ولا نزكيه على الله- وكأني به قد رفع في حياته المباركة هذا الشعار الذي صاغه ابن دريد شعرا فقال:

وإنما المرء حديث بعده

فكن حديثا حسنا لمن وعى

---

* جريدة البصائر العدد 289 .

والحق أن الكتابة عن هذا العلامة الجليل، الكاتب الإسلامي الكبير، صعبة للغاية بالنسبة لي لسببين:

السبب الأول أن الأستاذ محمد الصالح الصديق- حفظه الله- أحد عمالقة جيل النهضة الجزائرية الحديثة، عاشها وعايشها، فتأثر وأثّر، وفي غمار الإصلاح، بلسان صادق فصيح، وقلم ناقد صريح، أقبل و لم يُدبر، وتجشم مسؤولية التبليغ و لم يُقصر، فنشر في مختلف العلوم النافعة أروع الكتب والمقالات، وشنف الأسماع بأفضل الخطب والمحاضرات، التي ستبقى سنين عددا عَلَامَة على هذا العلَّامة...فمهما يكتب الكاتبون عن الأستاذ محمد الصالح الصديق-رعاه الله- لم يوفوا حقه، ولن يفلحوا في ذلك أبدا...

أما السبب الثاني فإن قلمي يقصر عن أداء الشهادة، ورفع الإشادة، بحق علامتنا الشيخ محمد الصالح الصديق- جعل الله الجنة مثواه-، وهو من هو في علمه وعلو قدره، وحسن عمله وبلائه، وحياته الممتدة — زاده الله بسطة في الصحة والعُمر — التي قضاها طالبا متعلما، وعالما مُعلِّما، وكاتبا مَعْلَما...

ولكن يشفع لقلمي المتواضع أن صاحبه -رغم بضاعته المزجاة- أحب الشيخ مخلصا فأراد أن يتشرف بخط هذه الحروف عنه، معتذرا عن التقصير في التحبير، وقد عرفنا من أخلاق شيخنا أنه يغفر الذنب، ويقبل التوب، ويشجع الأصاغر ليصبحوا من الأكابر...

إن الحديث عن الشيخ محمد الصالح الصديق- أعزه الله وأكرمه – أمر لا يحتويه مقال، ويشق أن يحتويه سفر من الأسفار ، ولكني سأحاول جُهدي، ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها، أن أكتفي بالحديث عن ميزات ثلاث- من بين العديد من مميزاته- تبهرك في شخصيته الفذة وهي:

– معرفته الموسوعية:

فالشيخ محمد الصالح الصديق- متعنا الله بوجوده- بقية صالحة من جيل الرواد والعمالقة الموسوعيين الذين ملكوا ناصية معارف جمة، وثقافة عامة، فلا يكاد يُحدَّثُ في شيء إلا وكان يملك منه خبرا، وينبئك بنكات علمية تشهد على علمه الواسع واطلاعه الكبير الذي كسبه من مجالسته الطويلة للعلماء، وللمجلدات والكتب القديمة والحديثة...

فمن جالس الشيخ محمد الصالح الصديق أو قرأ له سيكتشف أنه لغوي قدير يشق لُجج بحار اللغة العربية سابحا وغائصا فيخرج منها سالما غانما..وأديب لامع صاحب أسلوب يجمع بين جمال العبارة ورقتها، وعمق الفكرة وقوهّا، لا يحيد فيما يكتب عن ذلك قيد أنملة.. وفقيه متحرر وسطي معتدل لا يتشدد ولا يتسيب.. ومفسر جليل، يكتب في علوم التتريل، فيأتي بما يشفي العليل، ويطفئ الغليل.. ومصلح اجتماعي خبير بمكامن الداء في المجتمع فيصف الدواء، ولا يُهادن

الآفات والأهواء، وكاتب ذو قلم سيال غزير الإنتاج مشارك في فنون شتى، صدق فيه قول أحد العلماء:"لو جاءنا المشارقة بكُتابهم جميعا فإننا نأتيهم بالشيخ محمد الصالح الصديق "...

وليس على الله بمستنكر

أن يجمع العالم في عالم

- تواضعه الجم:

قلة هم الذين ملكوا حظا وافرا من العلم والمعرفة، وارتقوا قمة المجد والشهرة، ومع ذلك لبسوا ثياب التواضع، ونكران الذات، والابتعاد عن احتقار من هم دونهم في العلم والمترلة حتى ليصدق فيهم وصف المتنبي في الشطر الأول من شعره عندما قال:

ملأى السنابل تنحني تواضعا

والفارغات رؤوسهن شوامخ

ومن هذه القلة القليلة العلامة الشيخ محمد الصالح الصديق- زاده الله رفعة في الدنيا وفي الآخرة- الذي إذا لقيته أخجلك بتواضعه الجم، وآنسك برقته التي تبعث في النفوس الطمأنينة والألفة، حتى ليحسب الذي يلقاه أول مرة وكأنه يعرفه من زمن بعيد، فكان تواضعه زيادة رفعة لشأنه، ومدعاة لحبه، واحترامه، وصدق النبي -صلى الله عليه وسلم- عندما قال:" من تواضع لله رفعه".

- حرصه على الوقت:

قديما قالوا:" الوقت هو الحياة "... وكم مِن الناس مَن يضيع أوقاته بغير حساب دون أن يأبه لذلك. وقد قال شوقي:

دقات قلب المرء قائلة له:

إن الحياة دقائق وثوان.

ومن مميزات شيخنا محمد الصالح الصديق أنه يقدس الوقت تقديسا ملفتا للانتباه، ويسعى لاغتنام ساعاته ودقائقه وثوانيه في أعمال نافعة، خاصة في تأليف الكتب ومجالستها، وكثيرا ما سمعته يتعجب من تساهل الناس في تضييع أوقاتهم الثمينة، في أعمال هينة مهينة...ورحم الله الشيخ جمال الدين القاسمي الدمشقي الذي مرّ يوما على مقهى فوجد الناس فيه جالسين منشغلين بأشياء تافهة فقال:" لو يبيع هؤلاء أوقاتهم لاشتريتها منهم".

ومن بركة الحفاظ على الوقت استطاع الشيخ محمد الصالح الصديق أن يؤلف كتبه القيمة التي فاقت الستين في مختلف مجالات العلوم والمعارف.

وبعد؛ فهذه كلمات متواضعة كتبتها في حق العلامة الشيخ محمد الصالح الصديق- أجزل الله له الثواب- ، معترفا بالتقصير، ولكن هي كلمات مُحبٍّ صادق مخلص أرجو أن تشفع حسن نيته في استدراك تقصيره.

المكروبات الثقافية*

من الطرائف المروية عن حياة راهب الفكر الأديب الكاتب المصري توفيق الحكيم – وهو في خريف العمر – أن حفيدته المدللة طلبت بإلحاح منه أن يكتب لها موضوع إنشاء حول أضرار المخدرات، فما كان من الشيخ الأديب إلا الإذعان لتوسلاتها المتكررة... وقام بكتابة الموضوع نيابة عنها... فظنت الطفلة البريئة أنها ستتحصل بسهولة على أعلى علامة في قسمها، بل وفي المدرسة كلها...كيف لا، وكاتب الموضوع الإنشائي جدها الأديب الكبير، وصاحب القلم الذي يُشهد له بالعظمة في المشرق والمغرب...

بيد أن ظن الحفيدة خاب بمجرد أن أعادت المعلمة ورقة الموضوع الإنشائي إليها، إذ تحصلت على أربع نقاط من عشرين...أو بالأحرى تحصل توفيق الحكيم على أربع نقاط من عشرين...

والطريف في الأمر أنه مات دون أن يعلم بالقصة، ولو علم بها لكسّر القلم، وطلق الكتابة إلى الأبد...!!

بعض النقاد في بلادنا يشبهون إلى حد كبير هذه المعلمة "المغبونة " بل ويفوقونها في هُزال أحكامهم النقدية الغريبة البعيدة كل البعد عن قواعد وأصول النقد الأدبي الموضوعي العلمي الذي يقول للمحسن أحسنت، وللمسيء أسأت دون مداهنة أو مهادنة...!

* جريدة البصائر العدد 290 .

والغريب أن كثيرا من نقادنا – مجازا – قد حوّلوا النقد إلى تجارة مربحة لهم، الخاسر الوحيد في هذه العملية هو الكاتب والمبدع الحقيقي صاحب الأعمال الجادة والجيدة، فهؤلاء "النقاد" يروجون للأعمال الضعيفة والساقطة على حساب الأعمال القوية والهادفة، ولا يهمهم إن كانوا سببا في رفع ما لا يجوز في حقه الرفع، وخفض ما لا يجوز في حقه الخفض...!

إن الطمع داء عضال إذا أصاب النفوس نزع عنها لباس الكرامة والعزة والصدق، وكساها –بدلا عن ذلك– لباس الذل والمهانة والنفاق، ولا عجب بعد ذلك إذا أصبح أصحابها باعة في سوق النخاسة يعرضون للبيع كل شيء، حتى كرامتهم و...ولله في خلقه شؤون!

إن هؤلاء النقاد المأجورين من أخطر الأدواء التي تنخر جسم الثقافة المريضة عندنا..فمتى يتم القضاء على المكروبات الثقافية؟!

إن لم يعرفهم عمر فحَسْبهم أن يعرفهم ربُّ عمر *

دُعيتُ لإلقاء محاضرة – وقد أحسن الداعون الظن بالعبد الضعيف– في جامع عمر بن عبد العزيز–رضي الله عنه– ببلدية خليل أثناء مشاركتي في الملتقى الوطني الثاني عن العلامة الإمام المرحوم الشيخ محمد البشير الإبراهيمي الذي احتضنته مدينة برج بوعريريج يومي 23- 24 ربيع الثاني 1427هـــ الموافق لــ 22-23 ماي 2006م ، وقد قدمني منشط الندوة خطأ بغير اسمي، سماني باسم آخر، وهممتُ بتصحيح هذا الخطأ، ولكنني تذكرتُ هذه القصة التي سأرويها لكم، فسكت راضيا، و لم أعر المسألة أدنى اهتمام، ودعوتُ الله أن يلهمني الإخلاص، ويتقبل عملي كاملا غير منقوص، لألقاه به يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم...

ومضمون القصة كما يلي : يُروى أن جيش المسلمين ابتلي بلاء عظيما في معركة "القادسية" حينما واجه جيش الفرس الذي استعمل الفيلة الحربية في هذه المعركة الفاصلة التي سقط فيها شهداء من خيرة قادة الإسلام من صحابة الرسول– صلى الله عليه وسلم – المعروفين عند الناس، ولكن من كان معه الله فمن عليه، لقد أنعم الرحمن عليهم بالفتح المبين، وأعزهم بالنصر الثمين، وحطموا أسطورة " كسرى" إلى الأبد، فلا كسرى بعده...فلما أن جاء البشير أمير المؤمنين عمر–

---

* جريدة البصائر العدد 291 .

رضي الله عنه – ألقى عليه البُشرى بانتصار المسلمين، وانهزام الفرس أعداء الدين، فكـــبَّر عمر الفاروق، وكـــبَّر معه الحاضرون في مجلسه..

قال عمر- رضي الله عنه- للرسول الذي جاءه بالبُشرى:

- مَنْ مات مِنَ المسلمين في المعركة؟

فذكر له الرسول أسماء كبار قادة المسلمين المشهورين الذين اصطفاهم الله شهداء واحدا واحدا...

سأله عمر الفاروق- رضي الله عنه -:

- ومن مات أيضا؟

فأجابه الرسول قائلا:

- ورجال من المسلمين لا تعرفهم يا أمير المؤمنين..!

فبكى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بكاء شديدا حتى تبللت لحيته، وأعلنها للعاملين في ميادين الجهاد والدعوة إلى الله، في كل عصر ومصر، قائلا:

- إن لم يعرفهم عمر فحَسْبهم أن يعرفهم ربُّ عمر.

كثيرا ما أردد خاليا قول الله تعالى :﴿ **وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا** ﴾ فترتعد فرائسي، وأعود بتفكيري إلى ما عملتُ أو تكلمتُ أو كتبتُ ، فأسأل نفسي :"هل كانت لله خالصة أم خالطها حظ من حظوظ النفس، هذا العدو الخفي الذي بين جوانبنا ".

أجل، يا له من موقف عظيم حين يَقْدِم الرجل العامل الناصب على الله تعالى يوم الحساب، وهو يظن أنه يملك من الحسنات كأمثال الجبال، فيجعلها الله هباء منثورا، لأنه لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصا لوجهه الكريم، وصافيا من الشرك ما ظهر منه وما خفي، ثم يأمر به ملائكته الشداد الغلاظ الذين لا يعصونه ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون، فيُسحب إلى نار قعرها بعيد، وحرها شديد...والكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله الأماني..!

إن المسلمين الأوائل من صالح سلف الأمة ما انتصروا في كل معاركهم إلا بإخلاصهم الذي أذكى أوار إيمانهم، فكانوا عبادا لله حقا، ولم يكونوا عبادا لأهوائهم وشهواتهم، ولكن خلف من بعدهم خلوف من المسلمين بُسطت عليهم الدنيا كما بُسطت على الذين من قبلهم، فتنافسوها فأضعفتهم وأذلتهم، وتكاد تهلكهم..!

إن الإسلام اليوم بحاجة إلى العاملين المخلصين الربانيين الذين يعملون لوجه الله، وليس إلى الذين يعملون باسم الله لأنفسهم أو لغيرهم، فعوض أن يحملوا الإسلام فهو حاملهم، فهم أعباء زائدة عليه، وليس الباكية الثكلى كالباكية المستأجرة، ولله في خلقه شؤون!!!

بلغ السيل الزبى! *

أمريكا إذا دخلت مدينة أفسدها، وجعلت أعزة أهلها أذلة، ونشرت في ربوعها الموت والنار والدمار والفتن والمحن، وليس غريبا أن تكون هذه الدولة الطاغية سندا لدولة إرهابية أخرى هي "إسرائيل" التي طغت وتجبرت وعلت في الأرض واستضعفت "الفلسطينيين" العزل، ورمتهم بكل سلاح مدمر، مستهدفة استئصال شأفتهم، وما رمت إذ رمت ولكن أمريكا رمت، فما إسرائيل إلا سيئة من سيئاتها الكثيرة التي سودت وجه الإنسانية فأصبح عالمنا غابة تحكمه وحوش ضارية، أصْلَتْهُ نارًا حامية، فعمت فيه الفوضى والحروب والمآسي المختلفة التي لم تعرفها البشرية من قبل!

الحصار الإسرائيلي على الفلسطينيين وقتلهم ببرودة أمام أنظار كل العالم بدعم من طرف حكومة الولايات المتحدة الأمريكية، وحكومات الاتحاد الأوروبي، شاهد على أن الإنسانية لم تتحضر بعد وإن وطأت أقدام أبنائها ظهر القمر، وفاخرت بتطورها المادي، فالروح فيها مسلوبة، والخيرية في داخلها مغلوبة..!

والعار كل العار للموقف المخزي الذي وقفه أبناء يعرب وعلى رأسهم حكامهم المنبطحين الذين لم يحركوا ساكنا، وهم يشاهدون إخوانهم الفلسطينيين يموتون ببطء، بل منهم من شارك في قتل الشعب

* جريدة البصائر العدد 292 .

الفلسطيني البطل بتحالفه مع الكيان الصهيوني سرا وجهرا، خوفا من غضب ربهم الأعلى "أمريكا" و لم يعلموا أن غضب الله أشد وأعظم...

ستتحمل أمريكا وأوربا نصيبا من أوزار "إسرائيل" التي أزهقت آلاف الأرواح البريئة في فلسطين، كما سيتحمل "حكام العرب" الوزر الأكبر بسبب سكوتهم المخزي، وسكونهم المريب، في الوقت الذي يجب أن يتحركوا فيه لنصرة المستضعفين من إخوانهم الفلسطينيين الذين لم يجدوا لهم ناصرا إلا الله عز وجل...

وأغنياء العرب أيضا سيتحملون، نصيبهم من الوزر بسبب قعودهم عن مؤازرة الفلسطينيين بأموالهم التي كثيرا ما تُنفق في أتفه الأمور، وتُوزع على من لا يستحقها هنا وهناك، وتُضيّع في إشباع شهوات نفسية ساقطة، وفي الأرض التي باركها الله شيوخ ونساء وصبية لا يجدون لقمة يملأون بها بطونهم، ولا دواء يستأصلون به داءهم، ولا لبسا يُوارون به أجسادهم، فماذا حدث لك يا أمة محمد صلى الله عليه وسلم..؟

لقد ضقنا من هذا الوضع المخزي، وهذا الهوان الذي ما بعده هوان... فاللهم عجل لنا برحمتك، وخلصنا من يهود العرب قبل يهود إسرائيل!

فلسطين المظلومة دائما ! *

ما تُسمى بإسرائيل، هذه الدولة الإرهابية المزروعة ظلما وعدوانا في تربة أرض فلسطين الطاهرة، قد بلغت قمة الجبروت والطغيان بسبب ما ترتكبه من جرائم بشعة في حق الشعب الفلسطيني البطل الذي يُعاني وحده، والعالم كله مشغول بمتابعة "كأس العالم" لكرة القدم!

تعشق إسرائيل ارتكاب الجرائم أيام تكون أنظار العالم موجهة نحو أحداث أخرى حتى وإن كانت تافهة، ولكن ليست المشكلة في ذكاء الصهاينة الإبليسي، ولا في قساوتهم المعهودة والمشهودة، بل المشكلة، كل المشكلة، تبقى في تعامل العرب والمسلمين مع الحدث في الأراضي الفلسطينية المحتلة بكل برودة، وكأن الأمر لا يعنيهم، إلى أن أضحى الظلم الواقع على الشعب الفلسطيني من المسلمات العادية، حتى "التنديد" الذي كنا نسمعه لم يعد موجودا، وإن وجد من طرف الشعوب المنهوكة والمغلوبة على أمرها، كان مجرد فقاقيع سرعان ما تذهب في الهواء، وإن وُجدَ من طرف بعض المسؤولين العرب، فاحت من عباراتهم رائحة النفاق التي تزكم الأنوف..!

ومن غرائب وعجائب السياسية الدولية أن تندد أمريكا باختطاف الجندي الإسرائيلي، وتسمي ما تفعله "إسرائيل" في غزة والضفة الغربية بالدفاع عن النفس ضد منظمات إرهابية، وتطالب "سوريا" باعتقال

---

* جريدة البصائر العدد 295 .

المجاهد "خالد مشعل" وتحملها مسؤولية ما يحدث في غزة وهذا — والله – تخريف ما علمناه في الدّول المتجبرة الأولى، ومنطق أرعن أعوج لا يقول به إلا المخابيل!

إن رعاية "أمريكا" لإرهاب الدولة الذي تحميه، بل وتقوده هي نفسها، دليل على أن "السلام " الذي غنى ورقص له حكام العرب في قممهم أكبر كذبة صدقوها، أو أرادوا أن يصدقوها رغم أنوفهم، ويقنعوا بها شعوبهم التي لم تقتنع إلا بحق المقاومة والدفاع المشروع عن النفس والأرض والعرض، فالحديد لا يفله إلا الحديد..!

ورحم الله الإمام المرحوم الشيخ محمد البشير الإبراهيمي عندما قال:

" تصدع ليل فلسطين الداجي عن فجر كاذب العيان، وتمخض مورد الطامعين في إنصاف أوربا القديمة وأوروبا الجديدة عن آل لماع يرفع الشخوص ويضعها في عين الرائي لا في لَـــمْس اللامس، وباء الظانون ظن الخير بالضميرين الأوروبي والأمريكي بما يستحقونه من خيبة تعقبها حسرة، تعقبها ندامة، وتكشف ذلك اللبس الذي دام عشرات السنين عن الحقيقة البيضاء، وهي أن حق الشرق لا وليَّ له في الغرب ولا نصير...".(آثار الإبراهيمي 439/3).

يجب أن يتعلم الفلسطينيون أن "وحدتهم المقدسة" ثابت لا يمكن التنازل عنه تحت أي ترغيب أو ترهيب، فالآلة العسكرية الصهيونية الإجرامية الإرهابية لا تفرق في قتلها للفلسطينيين بين "حماس" و"فتح"،

فصواريخها لم تستثنِ أحدا من الفصائل الفلسطينية، ولن تستثني أحدا إذا دخلت غزة أو الضفة الغربية!

لقد تآمر "الكثير" على حكومة "حماس" لإسقاطها حتى يقتلوا "الحقيقة"، ولكن غاب عن هؤلاء المتآمرين – سواء من أبناء جلدتنا، أو غيرهم من الخصوم المعروفين – أن "الحقيقة" لا تموت، ولن تموت، فهي خالدة، ومهما تغب، فإنها عائدة..!

عصر المقاومة *

بعد أن تخلى حكام العرب عن مسؤوليتهم ودورهم في حماية أراضيهم من الاحتلال الأجنبي، ومهمة دفاعهم عن كرامة شعوبهم، هاهي المقاومات الشعبية الخارجة من رحم عنفوان الأمة العربية الإسلامية تبادر إلى لعب الدور الذي كان من المفروض أن يلعبه هؤلاء الحكام الذين ألفوا الكراسي المريحة، وحياة الدعة والكسل، والتنعم على حساب شعوبهم المقهورة والمغبونة!

لم أعجب من ردود فعل الكيان الصهيوني المجرم الإرهابي على لبنان عامة، وحزب الله خاصة، لأن العدو هو العدو لا يُنتظر منه أن يرمي أراضينا بالورود والزهور، بالأخص إذا كان هذا العدو هو ما يسمى بـــــ " إسرائيل".

ولكن كان عجبي كبيرا عندما سمعت عبر القنوات الفضائية ردود فعل بعض حكام العرب الذين سكتوا دهرا عما يجري في أرض الإسراء والمعراج، وغرسوا رؤوسهم في رمال الهوان والذل، وعندما نطقوا – ويا ليتهم ما نطقوا – اتهموا المقاومة الإسلامية والوطنية في لبنان بأنها

* جريدة البصائر العدد 297 .
أود أن أنبه إلى إدانتي الشديدة للتدخل السافر لحزب الله في سوريا، وقد وقفنا معه حين كانت المعركة بينه وبين الكيان الصهيوني في جنوب لبنان وناصرناه على هذا الأساس بعيدا عن النظرة الضيقة للأمور فالمسألة في بعض المواقف ليست بياضا أو سوادا، أما التدخل باسم المذهبية والطائفية ضد السنة في سوريا بعد المجازر الرهيبة فهذا عمل غير صالح ولا يقبله عاقل..!

مغامرة أو أنها السبب فيما يحدث الآن من اشتباكات مسلحة في المنطقة !

الفرق شاسع بين الحاكم العربي اليوم، والحاكم العربي قديما، الحاكم العربي اليوم يصدق فيه قول الشاعر الحكيم:

أسد علي وفي الحروب نعامة

فتخاء تنفر من صفير الصافر

هلا برزت إلى غزال في الوغى

أم كان قلبك في جناحي طائر

فبأس حكام العرب على شعوبهم شديد، ولكنهم على الأعداء رحماء، تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من أمريكا ورضوانا، سماهم في وجوههم من أثر الذلة والهوان..!

أما الحاكم العربي المسلم قديما فقد أعزه الله -عز وجل- بالإسلام، ولهذا ما كان يرضى ذلة له ولا لرعيته، فالتاريخ يروي أن امرأة أُعتدي عليها في بلاد الروم، فصاحت "وامعتصماه"، فلما وصل الخبر إلى الخليفة المعتصم بالله –وليس المعتصم بأمريكا – رمى بعمامة الخلافة، وأقسم ألا يضعها على رأسه حتى يعيد للمرأة المسلمة حقها, وينتقم لها ولشرفها، ولشرف الأمة كلها، فأعد جيشا عظيما، وقاده بنفسه، فأدب الرومان أحسن تأديب، وحرر المرأة المسلمة، وأعادها إلى بلاد الإسلام معززة مكرمة...!

صرخاتٌ يسمعها حكام العرب كل يوم من فلسطين ولبنان والعراق وأفغانستان والشيشان والصومال ، و، و، و ولكن:

أســــمـــعت لو ناديـــت حيا

ولكـــن لا حياة لـــمن تنادي

أيها الحكام إن شعوبكم المقهورة بسبب ديكتاتوريتكم، وخنوعكم، لا تطلب منكم أن تقودوا جيوشكم المؤججة بالأسلحة التي أكلها الصديد من أجل تحرير أراضي العرب والمسلمين، ورد العدوان على المعتدين، ولكن ترجوكم أن لا تسكتوا دهرا ثم تنطقوا شرا، فالشعوب – وعلى رأسها المقاومة الوطنية والإسلامية الحرة – كفيلة بالدفاع عن نفسها بنفسها دونكم..!

"إسرائيل" ستزول حتما من الوجود*

نحن المسلمين نملك عقيدة راسخة لا تهتز أبدا، وهي أن الكيان المزروع في الأرض المباركة "فلسطين" سيزول حتما من الوجود، طال الزمن أم قصر، بدليل نصين من مصدرين لا يُكذبان، وهما القرآن والسنة، فربنا يبشرنا في سورة الإسراء الآية: (4 – 8) بقوله: ﴿ **وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا، فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا، ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمْ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا، إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا، عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا**﴾.

فبنو إسرائيل كلما عادوا إلى التجبر والإفساد في الأرض، بعث الله – عز وجل- إليهم من يكسر شوكتهم، ويحطم غرورهم، ويسوء وجوههم، فالقاعدة تقول:" إن عاد بنو إسرائيل إلى العلو والفساد،

* جريدة البصائر العدد 298 .

أعاد الله -عز وجل- نقمته عليهم، وبعث عليهم عبادا له أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار...".

أما في السنة المباركة فقد روى الإمام مسلم في صحيحه عن أبي هريرة —رضي الله عنه – عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال:" لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود، فيقتلهم المسلمون، حتى يختبئ اليهوديّ وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر والشجر: يا مسلم، يا عبد الله، هذا يهوديٌّ خلفي تعال فاقتله، إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود".

يقول العلامة الشيخ محمد علي الصابوني في شرح هذا الحديث في كتابه (من كنوز السنة):" فيه — أي الحديث — إشارة إلى أن الحرب ستكون حربا (دينية مقدسة) لا حربا قومية، أو وطنية، لأن تخصيص المسلمين بقتالهم يدل على أن هذه الحرب ستكون بين أصحاب (العقيدة الحقة) من المؤمنين، وبين (اليهود) الضالين، وسيكون النصر حليف الفئة المؤمنة، فالرسول -صلى الله عليه وسلم-لم يقل حتى يقاتل العرب اليهود، وإنما وضَّح بأن هذه الحرب تقع بين المسلمين واليهود، وأن الله -عز وجل- سيكرم عباده المؤمنين بالنصر على عدوهم".

إن معركة أبناء لبنان في جنوبه ضد الصهاينة، معركة التقى فيها القرآن الكريم بالتوراة المحرفة، والتقت فيها العقيدة الإسلامية، بالعقيدة الصهيونية المجرمة الإرهابية، والتاريخ سيذكر حزب الله وقيادته الرشيدة

بخير، وسيكون رمزا من رموز عظمة هذه الأمة التي ما عَقِمت يوما عن ولادة أبطال أمجاد أسياد لا يقبلون الذلة والمهانة*..

كما أن التاريخ سيذكر أن حكام العرب الحاليين منهم من ناصر العدو ضد المجاهدين المقاومين، ومنهم من كان في موقفه كأبكم لا يقدر

* كتبت مقالا في جريدة البصائر "العدد 724" في عمودي "بالمختصر المفيد" بعنوان [مع المبادئ والثوابت ضد الأهواء] جاء فيه ما يلي:

=

= لقد كتبتُ، وكتب غيري منذ سنوات، مقالات تدافع عن"إيران" بغض النظر عن مذهبها الشيعي بسبب الهجمة الشرسة التي كانت تتعرض لها من طرف الولايات المتحدة الأمريكية وأخواتها من الدول الغربية، ليس عن هوى-علم الله- ولكن بناء على معطيات شرعية وسياسية قد تراءت لي شخصيا في ذلك الوقت...

ونفس الكلام يقال عن "حزب الله" الذي خاض حربه ضد الكيان الصهيوني في معركته الأخيرة في جنوب لبنان، حيث ساندناه ووقفنا معه اقتناعا عقليا، وليس عاطفيا فقط، ولانتسابه لـ"لا إله إلا الله محمد رسول الله"، ولو خاضت جهة "مسيحية" الحرب ضد الكيان الصهيوني لفرحنا بأي انتصار تحققه في حربها عليه، مثلما فرح الصحابة رضوان الله عليهم بانتصار الروم على فارس بعد هزيمتهم في أول الأمر...ولما ثبت تورط هذا الحزب "الشيعي"، بالدلائل والشواهد في سفك دماء السوريين دفاعا عن النظام السوري الذي قتل السوريين وشردهم بلا رحمة، كان الموقف واضحا منه، وهو التنديد بجرائمه لأنه واجب شرعي وإنساني..!

بيد أن الثورة السورية التي حولتها بعض الجهات الخارجية، ومنها إيران وتوابعها، إلى أزمة سوداء مظلمة، ونار محرقة، قد أكلت الأخضر واليابس، وجعلت الدم السوري رخيصا، أكدت بما لا يدع مجالا للشك، أن "إيران" هي جمهورية " شيعية " قبل أن تكون جمهورية "إسلامية"، وأن مظالمها في حق"السنة" أصبحت كبيرة وخطيرة، لا يمكن السكوت عنها أو تجاوزها باسم" التقريب بين المذاهب"، هذا الشعار الذي أصبح "كلمة حق" تريد به بعض الجهات المحسوبة على "الشيعة" كسب مساحات جديدة في الأمة لتحقيق "أجندات إيرانية" في المناطق السنية...

ولا يعني حبنا للوحدة الإسلامية والجمع بين المسلمين أن نتغافل عن الأخطاء القاتلة التي صدرت وتصدر من أي جهة تنتسب إلى المسلمين، مهما يكن عنوانها واتجاهها، وهذا ما لحظته حين وقف بعض أهل السنة من أهل الفكر والرأي موقفا باردا فيما يخص"إرهاب الحوثيين" باليمن الذي أصبح غير "سعيد"، في حين كان صوتهم مرتفعا في تنديدهم بـ"داعش" لأنها تُنسب إلى أهل السنة..!

والعجيب أن الغرب الذي تحالف مع بعض العرب لضرب داعش، كان موقفه هو الآخر ضد إرهاب "الحوثيين" الذين احتلوا أهم المواقع في صنعاء موقفا باهتا أو ليس في مستوى الحدث، وكأن الإرهاب لصيق بأهل السنة من دون خلق الله..!

إن العنف والإرهاب من أي جهة كانت مدان ومرفوض، ولا بد لكلمة الحق أن تُقال ويسمعها المخطئون من السنة والشيعة إذا أخطأوا ورهنوا مستقبل الأمة الإسلامية بسبب نزوات سياسية وطائفية، ومسألة اجتماع المسلمين على كلمة سواء وتوحدهم مسألة لا يختلف عليها العقلاء المخلصون من كل الطوائف والمذاهب، ولكن بعيدا عن "التقية" حتى لا تقدم المصالح الضيقة القُطْرية أو الطائفية أو المذهبية على حساب مصلحة الأمة الإسلامية جمعاء...

على شيء وهو كلّ على مولاه أينما يوجه لا يأت بخير..ولله في خلقه شؤون...!

ومن يَهُن يسهل الهوان عليه

ما لــــجـــرح بـــميّت إيلامُ

صدق الشيخ الصابوني عندما قال:" إننا ما خسرنا المعركة ولا أضعنا فلسطين إلا حينما دخلنا المعركة بغير عقيدة، وقاتلنا تحت شعار "العصبية" الجاهلية وتركنا شعار " الدين"، وإننا لا نستعيد فلسطين إلا بالإيمان الصافي والعقيدة الصادقة والانضواء تحت راية الإسلام وراية الدين، فهذا هو الذي سيحقق لنا النصر بمشيئة الله -عز وجل-...".

وكلمة أخيرة أقولها لبعض "الإسلاميين" الذين ينتقدون المقاومة في جنوب لبنان: أرجوكم أكملوا نومتكم، ولا تستيقظوا، واتركوا الرجال يقاومون الصهاينة بعيدا عن ألسنتكم الطويلة وأيديكم القصيرة!

ألا إن حزب الله هم الغالبون*

تجيء ذكرى الإسراء والمعراج، هذا العام، والمسلمون جميعا يحتفلون بالنصر الذي أحرزه حزب الله الـــمنصور، بقيادة السيد، بل سيد هذه الأمة بلا منازع، المجاهد الكبير حسن نصر الله — حفظه الله ورعاه — وبالـــمقابل يعيش الكيان الصهيوني الإرهابي الفاشي – وجيشه المنهزم – أحلك أيامه بعد أن استقبلته ضربات رجال الـــمقاومة الشجعان الـــموجعة في ثغور جنوب لبنان...

لقد علّمنا مجاهدو حزب الله الغالبين أن الفئة الـــمؤمنة القليلة قادرة على الانتصار أمام الفئة الكثيرة، بإذن الله، وهذا "الإيمان" المفقود لدى الجيوش العربية المنهزمة في عدة ضد جيش الكيان الصهيوني هو الذي حقق المعجزة في لبنان، فو الله ما رمى حزب الله إذ رمى الصواريخ على الصهاينة ولكن الله رمى، رغم بشاعة الانتقام الصهيوني الذي استأسد على المدنيين العزل من شيوخ وعجائز ونساء وأطفال، إذ جاءوهم من فوقهم ومن أسفل منهم، ورموهم من الجو والبر والبحر، ولكن " **الـــموت بكرامة وعزة، خير من الحياة بهوان وذلة** "، هكذا كان شعار اللبنانيين الأشاوس...!

إن الذين تخلوا عن "المقاومة في لبنان" أكثرهم لا يفقهون، والذين تآمروا عليها مع الكيان الصهيوني وإمبراطورية الشر "أمريكا"، واتبعوا

* **جريدة البصائر العدد 302 .**

أهواءهم، سيذكرهم التاريخ شر ذكر، فالمواقف المخزية التي وقفها بعض حكام عرب هذا الزمان جعلت الحليم حيران، والولدان شيبا، وقطعت "الشعرة" التي كانت تربطهم بشعوبهم رغم أنوفهم، فهل يُعقل أن يقف الرئيس شافيز الشجاع في قلب القارة الأمريكية موقفا مساندا للمقاومة في لبنان حيث طرد السفير الإسرائيلي من بلاده شر طردة، في حين تمسكت بعض البلدان العربية بمن عندها من السفراء الإسرائيليين كما يتمسك الغريق بالقشة في البحر!؟

حرب الثلاثين يوما في لبنان كشفت ورقة التوت عن عورات حكام العرب، وفضحتهم ليس فقط أمام شعوبهم، بل أمام العالم كله؛ والشعوب العربية تتحمل جزءًا كبيرا من الهوان العام الذي تعيشه الأمة، لأنها لا تملك حقا إرادة التغيير، ولا تريد صدقا الخروج من حالة "التيه" لأنها استلذت الحياة في جو القهر و"الديكتاتورية" و "الجبرية"، فهؤلاء الحكام هم صنيعة الشعوب..!

ومهما يكن من أمر فإن الأمل موجود، وإمكانية خروج الأمة من عنق الزجاجة متوفرة، والذين صنعوا النصر في جنوب لبنان خير دليل، وأبرز شاهد على ذلك...ولله الأمر من قبل ومن بعد.

المسؤولية تكليف وليست تشريفا ..!*

المسؤولية أمانة، وهي يوم القيامة، خزي وندامة، لمن ضيعها، بعد أن قَبل تحملها..!

وفي تقاليدنا الإسلامية أن المسؤولية لا تُعطى لمن يطلبها، ويرغب فيها، وعلة ذلك أن الذي يجري وراء المسؤولية في الغالب يريدها لتحقيق أغراض شخصية، ومن أجل هذا يُحال بينه وبين مبتغاه الخسيس..!

ولهذا كان القادة الواعون من المسلمين في الماضي يبحثون عن الإنسان صاحب الكفاءة والقدرة ليسترعوه " مسؤولية" أمر من أمور المسلمين، ويستثنون اللاهثين وراء المسؤوليات ويؤخروهم، بل ويحتقروهم، فـــ " المسؤول " أو " أجير المسلمين" أو " الراعي " في مفاهيم الدين الإسلامي يجب أن يتمتع بأمرين اثنين :

- **الوعي الفكري.**
- **وزكاة النفس.**

ورحم الله سلف هذه الأمة ، فقد كان الفرد منهم إذا كـــُلِّف بـــ "مسؤولية" سقط مغشيا عليه لثقل تجشم الأمانة، ولعلمه أنه سيخاطب أمام الله تعالى يوم القيامة كما جاء في القرآن الكريم ﴿ **وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ** ﴾ **سورة الذاريات الآية: 24.**

---

* **جريدة البصائر العدد 303 .**

ولكن خلف من بعدهم خلوف لو تُترع من أحدهم "مسؤولية"، ليس أهلا لها، لسقط مغشيا عليه من الفزع الأكبر، ولسوء ما بُشر به، فهو يتمسك بها بيديه وأسنانه، ويفديها بأخيه وأمه وأبيه، وصاحبته وبنيه، وفصيلته التي تؤويه..!

إن المحاباة في تقليد المسؤوليات شيء مردود، وغير مقبول، فالنبي – صلى الله عليه وسلم – علمنا أن الأمانة تُعرض على المؤهلين (نفسيا وفكريا) ليوفقوا في تحملها، فقد جاءه صادق اللهجة، أبو ذر الغفاري – رضي الله عنه–،طالبا منه أن يقلده مسؤولية، كما قلّد غيره، فتبسم النبي – صلى الله عليه وسلم–، وقال له فيما رُوي عنه:" يا أبا ذر إنك امرئ ضعيف، وإنها أمانة، وخزي وندامة، يوم القيامة ".وفي رواية مسلم أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال له:" يا أبا ذر، إني أراك ضعيفا، وإني أحب لك ما أحب لنفسي، لا تَأَمَّرنَّ على اثْنينِ،ولا تَوَّلَّيَنَّ مال اليتيم".

والنبي – صلى الله عليه وسلم – نفسه القائل في موضع آخر، وهو يُرهب المسلمين من إضاعة الأمانة، وسوء الخيانة :" آية المنافق ثلاث:إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤْتُمِنَ خان" رواه الشيخان. وزاد مسلم في رواية :" وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم".

فويل لأمة يسوسها، أو يرعى مصالحها، من صام وصلى، وزعم أنه مسلم، وخان الأمانة..!

لــماذا لا يــُجيز القانون بيع الــمخدرات؟!*

سؤال في غاية الأهمية يدل جوابه، بأمانة وموضوعية وواقعية، على أن القوانين البشرية لا تتبع في كثير من الأحيان المنطق السليم، أو لا تُوَفّق في الغالب إلى الصواب، لأن "الهوى" يلعب دورًا كبيرًا في وجودها، فالإنسان يُشرّع ما يضره اتباعا لشهوته، وانقيادا لغرائزه، وتأثرا بما يتعرض له من مغريات مادية ومعنوية...!

حقيقة، أين يكمن الاختلاف بين "الخمر" و "الــمخدرات"؟ وما معنى أن يجيز القانون بيع الخمور بكل أنواعها، في كل زاوية من زوايا شوارعنا، رغم ما تسببه من مآسي في مجتمعنا، تصل إلى حد تفكيك الأسرة، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق...؟! وآخر ما قرأتُ من أحداث: رجل يُضاجع ابنتيه، ويحرق الــمصحف الشريف، ويعتدي على أسرته لأنه كان –ببساطة- مخمورا..!

وبالمقابل القانون نفسه الذي يجيز " نشر ثقافة شرب الخمور وبيعها" يُحرم ويحارب ويُعاقب على الاتجار بالمخدرات وبيعها وشرائها ونقلها واستعمالها.. فبالقياس أين يكمن الفرق بين الخمر والمخدرات، وما وجه تحريم المخدرات ومحاربتها وتحليل الخمر ومهادنتها، على الأقل قانونيا؟!

---

* جريدة البصائر العدد 304 .

القوانين سواء كانت وضعية أو ربانية في الأصل وُجدت من أجل الــمصلحة البشرية، للحفاظ على النظام العام، فالشريعة الإسلامية – كما قرر علماء الأصول – تسعى بتشريعاتها إلى الحفاظ على الإنسانية المحترمة بحفظ الدين والنفس والعقل والعرض والـمال...والغريب أن القانون الذي سنّه البرلمان الجزائري لبيع الخمور زاد الطين بلة، والذين رفعوا أيديهم مشرِّعين يتحملون جزءًا كبيرا من إثم ما يفعله الخمر من تدمير للأسرة الجزائرية، وتحطيم لأسس مجتمعنا الذي كان سببا في وضع هؤلاء البرلـمانيين – الذين شرّعوا لهذا السم القاتل – على كراسي البرلمان...!

والعجيب أن "المجتمع المدني" قام بتأسيس جمعيات وتنظيم دورات لمحاربة المخدرات، بدعم من الدولة، وهناك يوم في السنة يخصص للتعريف بأضرار المخدرات، وكأن الخمر لا ضرر فيه، ولم يجر علينا كثيرا من المآسي، فهل هذا منطق..؟!

على الخيرين من أبناء هذا الوطن أن يرفعوا ناقوس الخطر قبل أن تزداد مآسي الخمر انتشارا ودمارا في مجتمعنا، فالمسألة تحتاج إلى إرجاع البصر آلاف الـكرات في هذه الفوضى القانونية والاجتماعية والأخلاقية...اللهم هل بلغت، اللهم فاشهد...!

الكاتب الرسالي رسول الكلمة المسؤولة*

يقول الشهيد المفسر الأديب سيد قطب -رحمه الله-:"عندما نعيش لذاتنا فحسب، تبدو لنا الحياة قصيرة ضئيلة، تبدأ من حيث بدأنا نعي، وتنتهي بانتهاء عمرنا المحدود!

أما عندما نعيش لفكرة، فإن الحياة تبدو طويلة عميقة، تبدأ من حيث بدأت الإنسانية، وتمتد بعد مفارقتنا لوجه الأرض".

إن الذين يكتبون ويحيون من أجل فكرة مسمومة، لدنيا يصيبونها، محكوم عليهم أن يعيشوا حياة قصيرة لا تتعدى إلى ما بعد موتهم المحتوم، ولن تعيش أفكارهم أكثر من حياتهم، لأن الأفكار الميتة وُلدت لتموت!

أما الذين سيُكتب لهم الخلود، مع الذكر الحسن، هم الذين يخطون الحرف لفكرة سليمة، تكسب خلودها من خلود "الحق"، بحيث هؤلاء الكتاب لن يموتوا وإن اندثر عنصرهم الترابي.

لقد ظهر في عصور متلاحقة فئة من الشعراء احترفوا مهنة المدح عند الملوك، والخلفاء، والأمراء، والأسياد، والزعماء، لنيل رضاهم، والتزلف إليهم، والأكل من فتات موائدهم، والحصول من مغانمهم!

اقرأ مدح ابن هانئ الأندلسي للخليفة الفاطمي المعز تجده يفوح نفاقا رخيصا من أجل أغراض خسيسة، ومما قاله مادحًا:

---

* جريدة البصائر العدد 305 .

ما شئت لا ما شاءت الأقدارُ

فـــاحكم فأنت الواحد القهارُ

وكأنـــما أنت النبي مـــحمدٌ

وكأنـــمـــا أنصارك الأنصارُ

هذا إمام الـــمتقين ومن بــــه

قـــد دوّخ الطغيان والكفارُ

هذا الذي تُرجى النجاة بحبهِ

وبه يُحـــطّ الإصر والأوزارُ

هذا الذي تُجدي شفاعته غدًا

حقا وتـــخمد أن تراه النـــارُ

والغريب أن كثيرا من الشعراء في عصرنا يملكون قصائد مدح جاهزة للملك أو الزعيم الجديد قبل أن يُعرف، بل قبل أن يُولد، فهم يـــملكون قصائد مدح جاهزة حتى يتم لهم السبق دون غيرهم في الهرولة إلى تقبيل الأرجل والأحذية، والوصول إلى المناصب العالية..!

يُروى أن الخليفة عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – عاقب الشاعر الهجاء "الحطيئة" الذي كان رجلا جشعا كثير الشر، خبيث النفس، وهدده بقطع لسانه إن هو مضى في هجائه القبيح للناس، ونيله من أعراضهم...والحق أن مداحي الـــملوك والزعماء كذبا وزورا هم أولى بقطع ألسنتهم التي تزخرف الباطل، وتجمل الشر..!

ولعلنا في الجزائر لو نُفذ حد قطع الألسن الـــمداحة كذبا وزورا، لصار كثير من شعرائنا بدون لسان أو بدون "زائدة دودية " على حد تعبير الشاعر أحمد مطر!

إن الكتابة بشتى فنونها رسالة بناء، والكاتب الذي يحمل القلم رسول الكلمة المسؤولة التي تبني ولا تهدم، فإن هان، أو خان، أو مال، أو انحنى، أصبح معول هدم للحق والحقوق..!

... وما تخفي صدورهم أكبر!! *

ليس بمستغرب عن البابا " بنيديكت السادس عشر" رأس الكنيسة الكاثوليكية، أو غيره من الـــمسيحيين واليهود المتطرفين، والعلمانيين الـــمستلبين، أن يلقوا سهامهم الـــمسمومة نحو الدين الإسلامي.

إنهم ما استطاعوا مواجهته بالحجة والبرهان والـــمنطق، فعمدوا إلى سلاح الاستهزاء والسخرية والكذب والتزوير والتلفيق والشتم، لعلهم يصيبون شيئا من أهدافهم الهدامة...

إذ لا يمضي وقت طويل حتى يخرج علينا "رويبضة" من الغرب تارة، أو الشرق تارة أخرى، مَنْ يهرف بما لا يعرف في الإسلام، فيدعي ببهتانه أنه دين عنف وإرهاب وفاشية وكراهية وخرافة، وما إلى ذلك من هذه الاتهامات والمزاعم والنعوت التي تخرج من لُبٍّ أعمته الجهالة والضلالة، وقلبٍ مملوءٍ بالحسد والحقد على الإسلام، ونبي الإسلام، وأتباع الإسلام...وما البابا "بنيديكت" إلا حلقة من سلسلة حلقات الكيد والمكر التي تستهدف ديننا الحنيف، بدأت من عهد النبي –صلى الله عليه وسلم– مرورا بالحروب الصليبية المتحالفة مع الصهيونية سرا وجهارا، ووصولا إلى الرسومات الكاريكاتورية التي مست شخصية الرسول الأكرم، وتصريحات "بوش الصغير" التي وصفت المسلمين بأنهم

* جريدة البصائر العدد 306 .

" فاشيون" وانتهاء بالكذب والبهتان على الإسلام الذي تولى كبره بابا الفاتيكان مظهرا جهله الفاضح بحقائق الإسلام وتعاليمه السمحة...

ولا يعني هذا أن مشاريع الكيد للإسلام وأتباعه ستنتهي، بل ستبقى، وستستمر ما دام الباطل موجودا، وما دام "إخوان الشياطين" يسعون في الأرض فسادا، وهم يزعمون أنهم "المصلحون"..!

ولن تؤتي هذه الحملات الحاقدة على الإسلام أكلها وهو مُحَاطٌ بأتباع واعين مخلصين يعرفون كيف يدافعون عنه، ويردُّون كيد أعدائه في نحورهم، ويحولون بينه وبين شرورهم.

لقد حاول البابا "بنيديكت" السادس عشر إرضاء خصوم الإسلام الكُثر بتصريحاته التي ألقاها الشيطان في أمنيته لتكون فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم، ولكن هيهات هيهات أن يصل إلى مراده ومرادهم، فمهما تنبح الكلاب على القافلة فإن سيرها سيتواصل، ولن يضرها نبح كلاب الشيطان أبدا.

فيا أيها المسلمون في العالم توحدوا للدفاع عن دينكم، كما توحد خصوم الإسلام على محاربته ومحاربتكم!!!

بأية حال عُدت يا رمضان..! *

عاد رمضان، والعود أحمد، ولكن بأية حال عدت يا رمضان، بما مضى، أم لأمر فيك تجديد...؟

عاد رمضان والأمة الإسلامية رازحة تحت وطأة نفس الآلام والـــمظالــم، والاستبداد الداخلي مسلط على رقاب الناس، والاستبداد العالـــمي بقيادة حكومة "الشر" الأمريكية يزداد ضراوة وشراسة، وما ترك بقعة في الأرض إلا دخلها ثم غرس فيها الفتن ما ظهر منها وما بطن، واستباح الأنفس بالقتل، والأعراض بالهتك، والأراضي بالاحتلال، والثروات بالنهب...!

عاد رمضان وفلسطين ما تزال أسيرة في سجن الاحتلال الصهيوني تعاني الحصار والدمار، فلا مأكل ولا مشرب ولا دواء ولا كساء...يزور الـــموت أهلها في كل لحظة فيخطف أبناءهم بسبب القتل الذي يتفنن فيه "الكيان الصهيوني" بسلاح أمريكا، وموافقة أمريكا، وتشجيع أمريكا..!

عاد رمضان والعراق قد طلق الحضارة وكان هو الحضارة، واشتعلت أراضيه بالفتن والصراعات، وامتلأت زواياه بالدماء والأشلاء، وتمزق شمل أهله الذين عاشوا طويلا– رغم اختلاف المذاهب وتعدد الطوائف

* جريدة البصائر العدد 307 .

-في وئام والتئام..ولكنهم اليوم يُقتلون ويقتتلون بسلاح أمريكا، وموافقة أمريكا، وتشجيع أمريكا..!

عاد رمضان ولبنان العظيم قد مرّ بأصعب فترة في تاريخه حين اعتدى "الكيان الصهيوني" على أهله وبره وجوّه وبحره، وحاصر البلاد والعباد، ودمر بغير حساب البيوت والمصانع والجسور، وقتل الآلاف من الأنفس البريئة، بسلاح أمريكا، وموافقة أمريكا، وتشجيع أمريكا..!

عاد رمضان وأفغانستان تستغيث من مكر وكيد أمريكا التي غزت أرضها وأذاقت أهلها الأَمَرَّين: مُر تنصيب حكام يُقادون من آذانهم، ويُحركون كما تُحرك "عرائس القراقوز" من البيت "الأسود"، ومُر الـــموت الذي يحصد أرواح الأفغانيين بسلاح أمريكا، وموافقة أمريكا، وتشجيع أمريكا..!

عاد رمضان وسوريا تتلقى تهديدات بالحصار، وإيران تتلقى تهديدات بالدمار، والسودان يتلقى تهديدات بالاستعمار، باسم الأمم المتحدة التي أصبحت سيفا في يد أمريكا، ومجلس الأمن الذي لا يصدر قرارات إلا للحرب، والسعي في خراب كثير من البلدان الـــمستضعفة، بسلاح أمريكا، وموافقة أمريكا، وتشجيع أمريكا..!

لقد علت أمريكا في الأرض وأفسدت فيها، وموعد سقوطها قريب جدا جدا، ويومئذ يفرح الـــمستضعفون بنصر الله، ولكنني لن أمل من

تكرير قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ** ﴾ **سورة الرعد الآية:11**.

مدرسة الربانيين لا مدرسة الـــمشاغبين !*

شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن، شهر التقوى الذي ليس كمثله شهر آخر، وهو شهر يتقرب فيه الـــمؤمن إلى ربّه عزّ وجل، ويُقوِّي صلته به، فرمضان بحق مدرسة إيمانية ربانية يتخرج الصائم منها وقد نال جائزته الكبرى التي وُعد بها، وهي "الجنة"، سلعة الله الغالية ، كما جاء في الحديث عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال:" من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ الـــمنزل، ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة".

ورمضان فرصة مواتية ليتخلص فيه بعض الناس من عوائد ضارة، وأفعال لا تتماشى مع ما يدعو إليه الإسلام من أخلاق وسلوكات، وهو فرصة أيضا ليتحصل الـــمؤمن على زاد رباني يتقوّى به على مفاتن الدنيا وشهواتها، ومكايد الشيطان ووساوسه، ورغبات النفس ومطامعها...

ولكن – للأسف – كثيرا من الصائمين يحوّلون رمضان إلى "مدرسة للمشاغبين" فعوض أن ينضبطوا فإنهم يتهورون أكثر، وعوض أن يستقيموا فإنهم يتفننون في الاعوجاج والانحطاط، وعوض أن يتقربوا إلى الله زلفى فإنهم يبتعدون عنه بأقوالهم الفاحشة، وأعمالهم السيئة..!

---

* جريدة البصائر العدد 308 .

ولعله لا ينافس سيئة "التشاجر والتلاسن والضرب بالأيدي والرؤوس" في نهار رمضان من بعض الذين يتعللون بالصيام إلا سيئة "التبذير" التي أصبحت من العادات الـمقيتة في الأسرة الجزائرية في شهر التقوى والصبر والغفران!

فالأسرة الجزائرية تُضيع جزءًا كبيرًا من يومها في التفكير والإعداد لـمائدة الإفطار، وتُنهك نفسها في صرف أموال معتبرة من أجل تنويع هذه الـمائدة بشتى أصناف الطعام والفواكه والـمشروبات والحلويات، ولكنها بعد الإفطار تُلقي بنصف ما حملت هذه الـمائدة الرمضانية في الـمزابل، وهناك من الأُسَر الجزائرية الفقيرة من لا تملك إلا الخبز والحليب لتفطر عليهما..فهل يُعقل هذا، وهل هذا من الإسلام في شهر الصيام؟!

إن الصيام في شهر رمضان محطة هامة للعودة إلى الفطرة السليمة التي فطر الله الناس عليها ومناسبة عظيمة لنيل الأجر الجزيل من الجليل، ولهذا قال النبي –صلى الله عليه وسلم–:" الصيام جُنّة فلا يرفث، ولا يجهل، وإن امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل إني صائم مرتين، والذي نفسي بيده لـخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح الـمسك، يَترك طعامه وشرابه وشهوته من أجلي، الصيام لي وأنا أجزي به، والحسنة بعشر أمثالها" (رواه البخاري عن أبي هريرة).

فهنيئا للصائمين القائمين الذين ستدركهم رحمة الله ومغفرته، والعتق من النار جزاء صيامهم الـــمقبول، ورَغُم أنف امرئ أدرك رمضان ولـــم يُغفر له..!

صدام الأديان أو الحروب الصليبية بقناع آخر ! *

في شهر أكتوبر 1992 ألقى أستاذ علم الاجتماع بجامعة هارفارد البروفيسور " صمويل هنتغتون" محاضرة في معهد " American Enterpris"بواشنطن كان عنوانها " clash of The civilizations " ، " صدام الحضارات"، ثم تطورت المحاضرة إلى مقال ثم إلى كتاب لقي رواجا عجيبا عالميا في أوساط المثقفين والأكاديميين و خاصة السياسيين.

وفكرة "صدام الحضارات" القديمة الجديدة تلقفتها الإدارة الأمريكية في البيت الأبيض – عفوا البيت الأسود – وحرّكتها لتكون منطلقا لخوض حروبها التي أشعلتها بأسباب واهية في عالمنا الإسلامي كالعراق وأفغانستان، أو ما كانت داعمة لها كحرب الإبادة بفلسطين و حرب جنوب لبنان، أو الحروب التي تحاول إشعالها في إيران وسوريا بذرائع ما أنزل الله بها من سلطان مستخدمة في ذلك الأمم المتحدة كورقة ضغط في يدها لإنهاك الدول (المعادية) اقتصاديا وحصار أهلها ليموتوا ببطء باسم الشرعية الدولية ومحاربة الإرهاب والوقوف ضد "محور الشر"..!

والحق أن المصطلح الحقيقي الذي يمكن أن يُعبر بصدق عن التوجه الغربي المعاصر - وعلى رأس الغرب أمريكا – في استهدافه العالم

* جريدة البصائر العدد 309 .

الإسلامي عسكريا واقتصاديا تحت غطاء محاربة الإرهاب الإسلامي" الفاشي " لا يمكن أن يكون إلا في إطار "صدام الأديان" أو بالمصطلح الكلاسيكي " الحروب الصليبية" التي كان يدعو إليها البابوات، ويقودها المسيحيون المتطرفون، من ملوك ورؤساء العالم المسيحي، ويكون المسلمون الضحايا في رأس القائمة.. وعالمٌ اليوم يقود فيه الدين المسيحي بابا الفاتيكان المتطرف "بنيديكت 16" ويقود أقوى دولة تملك أعظم ترسانة أسلحة في العالم "بوش الصغير" ، فلينتظر العالم الإسلامي منه إلا الموت والدمار والحصار...!

لقد أوجع المسيحيون في الغرب رؤوسنا بفكرة " حوار الأديان"والغريب أن دولة الفاتيكان التي تتولى الدعوة إلى حوار الديانات لا تعترف رسميا بالدين الإسلامي كدين سماوي أنزله الله عز وجل على نبيه محمد – صلى الله عليه وسلم –، فكيف يمكن التحاور مع طرف لا يعترف بك أصلا...؟!

لا يجادل عاقل في أن الدين الإسلامي هو دين حوار ومجادلة بالتي هي أحسن و لا يُكره الناس بالقوة وحد السيف حتى يكونوا مؤمنين، بدليل النصوص القرآنية الكثيرة والأحاديث النبوية الصحيحة العديدة، ولكن الحوار المجدي لا يكون إلا مع العاقلين العادلين وليس مع المجانين الظالمين، وصدق الله العظيم الذي أوضح لنا هذا المعنى فقال: ﴿ **وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ**

وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ سورة العنكبوت الآية: 46.

إنني مقتنع كل الاقتناع أن صراعات وحروبا ستشتعل في المستقبل من منطلقات ونزعات دينية لن يكون الإسلام فيها مُهاجما بقدر ما يكون مدافعا عن الحق ضد الباطل الذي يحاول زعزعت " السلام العالمي" باسم " الأب " و" الابن " و " روح القدس ".

عظمة الإسلام وغفلة المسلمين ! *

الإسلام دين ودولة يهتم بأمور الآخرة بالقدر الذي يهتم به بأمور الدنيا، وعظمته نابعة من عظمة الله الذي كمّله ورضيه للناس دينا، ومن يبتغ غير الإسلام فقد انحرف عن الفطرة السليمة، وترك الطريق المستقيم، طريق الذين أنعم الله عليهم، غير المغضوب عليهم ولا الضالين، قال مولانا في كتابه الكريم : ﴿ **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا** ﴾ **سورة المائدة الآية: 3**. وقال أيضا ﴿ **وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ** ﴾ **سورة آل عمران الآية: 85**.

وقد أنصف الإسلامَ العاقلون من خصومه ، وشهدوا له بالعظمة في هديه ومفاهيمه ونظامه وتشريعه، وقدرته الفائقة على تشكيل الإنسانية في أبهى صورها التي كان "المثاليون" يحلمون بها...

وأحب هنا أن أثبت الشهادة الرائعة التي نطق بها قلم أحد خصومه "الجواسيس" الذين اعتنقوا الإسلام كذبا ليتسلل إلى جيش الأمير عبد القادر، فرأى بأم عينه أثر الدين الإسلامي في الجزائريين المسلمين، فَبُهِر الذي تجسس، فقال في كتابه: "ثلاثون عاما في الإسلام":

---

* **جريدة البصائر العدد 310 .**

"اعتنقت دين الإسلام زمنا طويلا لأدخل عند الأمير عبد القادر دسيسة من قبل فرنسا، وقد نجحت في الحيلة فوثق بي الأمير وثوقا تاما، واتخذني سكرتيرا، فوجدت هذا الدين الذي يعيبه الكثير أفضل دين عرفته، فهو دين إنساني، طبيعي، اقتصادي، أدبي، ولم أذكر شيئا من قوانيننا الوضعية إلا وجدته مشروعا فيه، بل إنني عدت إلى الشريعة التي يسميها (جول سيمون) الشريعة الطبيعية، فوجدتها كأنها أخذت عن الشريعة الإسلامية أخذا، ثم بحثت عن تأثير هذا الدين في نفوس المسلمين فوجدته قد ملأها شجاعة وشهامة ووداعة وجمالا وكرما، بل وجدت هذه النفوس على مثال ما يحلم به الفلاسفة من نفوس الخير والرحمة، والمعروف في عالم لا يعرف الشر واللغو والكذب، فالمسلم بسيط لا يظن بأحد سوءا، ثم هو لا يستحل محرما في طلب الرزق، ولذلك كان أقل مالا من الإسرائيليين ومن بعض المسيحيين، ولقد وجدت فيه حل المسألتين الاجتماعيتين اللتين تشغلان العالم:

المسألة الأولى: في قول القرآن : ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ** ﴾ سورة الحجرات الآية: 10. فهذه جمل مبادئ الاشتراكية.

المسألة الثانية: فرض الزكاة على كل ذي مال وتخويل الفقراء حق أخذها غصبا إن امتنع الأغنياء عن دفعها طوعا وهذا دواء الفوضوية.

وقال أيضا: " القرآن مسلم به من حدود الأقيانوس الأطلنطي إلى نهر الجانجس بأنه الدستور الأساسي ليس لأصول الدين فقط بل للأحكام

الجنائية والمدنية وللشرائع التي عليها مدار نظام حياة النوع الإنساني وترتيب شؤونه.. " وقال أيضا: "إن الشريعة المحمدية تشمل الناس جميعا في أحكامها، من أعظم ملك إلى أقل صعلوك، فهي شريعة حيكت بأحكم وأعلم منوال شرعي لا يوجد مثله قط في العالمين ..." (نقلا عن كتاب: "الإسلام مبادئ وسلوك" للشيخ محمد الصالح الصديق ص 60-61).

ليت المسلمين يعرفون قيمة "المنهاج" الذي بين أيديهم، فيأخذوا الكتاب بقوة، ويسلكوا طريق الله الهادي إلى العزة والكرامة والنصر والرقي ..." لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها".

ربانيون لا رمضانيون ! *

من فضائل رمضان الكريم أن فئات كثيرة من الناس يتوبون إلى الله عز وجل، ويقيمون الصلاة، ويهجرون المنكر، ويتشبثون بالمعروف، وتُصبح قلوبهم معلقة بالمساجد، وإذا سمعوا آيات الرحمان تُتلى في التراويح ترى أعينهم تفيض من الدمع، وقد خشعت قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق...

ولكنهم – للأسف – ينقطعون عن هذا الخير والعمل الصالح بعد انقضاء شهر رمضان الفضيل، ويعودون إلى سيرتهم الأولى، فلا يركعون مع الراكعين، ويهجرون المساجد هجرا طويلا، ويسيرون في دروب الشهوات والمعاصي غارقين فيها...وكأن الله عز وجل يغيب العام كله، ولا يظهر إلا في شهر رمضان!

معروف في السيرة النبوية أن الحبيب محمدا –صلى الله عليه وسلم– عندما تُوفي، هنالك من الصحابة من لم يصدق ذلك من شدة حبهم له، ومنهم عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – الذي كان يُهدد ويتوعد قائلا:" من قال: إن محمدا قد مات فسأضرب عنقه"...

* جريدة البصائر العدد **311** .

بيد أن أبا بكر الصديق –رضي الله عنه –وكان رجل تلك المرحلة بلا منازع خطب في الناس قائلا:" **من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت** ".

ومن هنا نقول:" من كان يعبد رمضان، فإن رمضان قد رحل، ومن كان يعبد الله فإن الله حي باق معنا لا يفارقنا أبدا".

فيا أيها العائدون في رمضان اثبتوا فإن وعد الله حق..!

عيد الفطر وفلسطين ! *

للناس عيد ولي همّان في العيد
فلا يغرنك تصويبي وتصعيدي
همّ التي لبثت في القيد راسفة
قرنا وعشرين في عسف وتعبيد
وهمّ أخت لها بالأمس قد فنيت
حـــماتها بين تقتيل وتشــــريد
كان القياض لها في صفقة عقدت
من ساسة الشر تعريبا بتهويد
جرحان ما برحا في القلب جسّهما
مود وتركهما –لشقوتي– مود
ذكرت بيتا له في المبتدا خبر
في كل حفل من الماضين مشهود
إن دام هذا ولم يحدث له غير
لــــم يبك ميت ولم يفرح بمولود

* جريدة البصائر العدد 312 .

هذه الأبيات الشعرية البليغة نظمها أمير البلاغة والبيان الإمام المرحوم محمد البشير الإبراهيمي يشكو فيها بثه وحزنه إلى العالم الإسلامي في يوم عيد الفطر لما أصاب "همه الأول" "الجزائر" التي لبثت أكثر من قرن في سجن الاحتلال الفرنسي الظالم، ولما أصاب همه الثاني "فلسطين" وديعة محمد عندنا، وأمانة عمر في ذمتنا، وعهد الإسلام في أعناقنا التي أخذها اليهود منا، ونحن عصبة، فربحوا وخسرنا، وانتصروا وهُزمنا..!.

فكيف يحلو العيد بعد عبادة الصيام، وفلسطين اليوم راسفة في القيد تشكو عادية الظُّلام، من بني صهيون الذين قتلوا أبناءها بلا حساب، وأفسدوا فيها فنجوا من العقاب، بـــحماية من أمريكا راعية الإرهاب، بل وكيف يحلو العيد والنفس حزينة في يوم الزينة، ونكبة العراق تُضاف إلى نكبة فلسطين فكانت في القلب الحي جرحا على جرح، وهمًّا على همّ.. فويل للعرب من شر حلّ ولا أقول قد اقترب، فما لهم لا يستيقظون، وقد طوقتهم "نجمة داود" بمساعدة "الصليب" من كل جانب!.

"أيها العرب: إن الذنب في نفيه ذنب، وإن عدم الاعتراف به يصير ذنبين، ولكن التوبة الصادقة المصحوبة بالعمل تمحوهما معا، فتعالوا نعترف بما يعلمه الله منا فإن فضوح الدنيا أهون من فضوح الآخرة.

ألستم أنتم الذين أضعتم فلسطين؟ بجهلكم وتجاهلكم مرة، وخذلكم وتخاذلكم ثانية، وباغتراركم وتغافلكم ثالثة، وبقبولكم للهدنة رابعة،

وباختلاف ساستكم وقادتكم خامسة، وبعدم الاستعداد سادسة، وبخيانة بعضكم سابعة، وبما عدوّكم أعلم به منكم ثامنة؟.

وفي أثناء ذلك كتب الحفيظان عليكم من الموبقات ما يملأ السجلات.

كانت نتيجة النتائج لذلك كله أن أضعتم فلسطين وأضعتم معها شرفكم، ودفنتم في أرضها مجد العرب والإسلام وميراث الإسلام .."(آثار الإبراهيمي 04/ص215، طبعة دار الغرب الإسلامي.).

أيها العرب: إن ابتغيتم عزتكم في غير الإسلام أذلكم غيركم، واستباح بيضتكم، وفرق شملكم، فإن عدتم إلى الإسلام عادت إليكم فلسطين، ومعها عزتكم وشرفكم...

فلسطين.. وكل يوم جريمة ! *

تكاثرت الجرائم الإسرائيلية في فلسطين حتى أضحت عادة يستسيغها العرب والغرب، فالدم الفلسطيني المسلم لا قيمة له عند هؤلاء وهؤلاء، ولا عبرة بالقوانين الدولية، فإسرائيل فوق القوانين الأرضية والسماوية، ولا يهمها تنديد أو ترغيب أو ترهيب أو وعيد، وتنفذ إستراتيجيتها الإجرامية، وتفعل ما تريد، دون اعتبار لأحد حتى أمريكا التي تُوصف بأنها أعظم دولة في العالم، فهي لعبة في يدها ويد رجالات إسرائيل المبثوثين في كل مكان داخل مقرات صنع القرار في الولايات المتحدة الأمريكية!

والعجيب أن العرب ما زالوا رغم كل هذه الأعوام والسنين يثقون في الأمم المتحدة ظانين أنها قادرة على كبح جماح الإجرام الصهيوني في فلسطين، وهم يعلمون أكثر من غيرهم أن الأمم المتحدة ما عادت "أمما متحدة" بل هي منظمة ظالمة تقرر الظلم على الضعفاء وتبرره، وتشكل القوانين من أجل ذلك لتضفي الشرعية على أفعال المجرمين من الصهاينة ومن لف لفهم، وسار على هديهم، واستن بسنتهم..!

إن الأيام لتزيدني يقينا أن الحل الوحيد الذي سينهي الصراع بين العرب والصهاينة هو "الحرب المقدسة" التي يلتقي فيها القرآن بالتوراة المحرفة، وهذا ما اقتضته سنة الله -عز وجل- في الأرض المقدسة من

* جريدة البصائر العدد 314.

خلال ما لدينا من نصوص قرآنية ونبوية، فزوال إسرائيل حتمية لا مفر منها اليوم أو غدا أو بعد ألف عام، ولن تزول إلا بهذه الحرب التي ستفصل – بإذن الله – بين الحق والباطل، وبين الخير والشر، وبين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان...هذه نتيجة متيقنة، ولكن هل أعددنا لها عدّة، وحررنا أنفسنا – نحن الشعوب – من الجبرية فأصبحنا سادة، واسترددنا استقلالنا في كل الميادين لنكون قادة..!؟

والله وبالله وتالله، وإنه لقسم لو تعلمون عظيم، إن "العبد المستعبد" لا يحسن الكرّ، وإنما يحسن الحلاب والصرّ، ولن يقدر المرء على الكرّ، إلا إذا كان حرا، فإنه سيحوز بعد ذلك نصرا...فتحرير فلسطين لا بد أن يبدأ من تحرير الشعوب لأنفسها من الجبرية (الديكتاتورية) التي تحمل شعار:" لا أريكم إلا ما أرى "..!

هناك إرادتان: إرادة الحكومات العربية التي تخلت عن واجبها في تحرير فلسطين ومساعدة أهلها، وإرادة الشعوب العربية المستضعفة التي لا تملك من أمرها شيئا، ويشتاق أفرادها للموت أمام أبواب بيت المقدس، ويوم تتحرر شعوب عالمنا العربي، ستتحرر فلسطين، ويعود بيت المقدس حرا طليقا -إن شاء الله -.

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلا

ويأتيك بالأخبار من لـــم تزوّد

" يهوذا الأسخريوطي " ببطاقة تعريف مزورة..! *

لقد لقي عيسى – عليه السلام – من اليهود الملاعين، المناجيس، شتى أنواع العذاب والإيذاء والـــمكر والكيد، خاصة من أحبارهم وسادتهم الذين كانوا يخشون انتشار دعوته، وذهاب رياستهم وسطوتهم، لهذا اجتمع رأيهم على وجوب التخلص منه بأي طريقة على مبدإ " الغاية تبرر الوسيلة "، من أجل ذلك سعوا إلى الحاكم الروماني، وادعوا أن عيسى – عليه السلام – يقول للناس إنه ملك اليهود، وإنه لا يعترف بالقيصر ملكا، وأشاعوا عليه الكثير من الكذب والبهتان ، فأمر الحاكم بالقبض على الـــمسيح –عليه السلام– وصلبه وقتله..!

اختفى عيسى – عليه السلام – عن الأنظار، وكان لا يجتمع إلا بالحواريين سرا في مخبئه الذي لا يعرفه غيرهم..وفي اليوم الأخير – قبل أن يرفعه الله إليه – وعظهم، ونصحهم، وبشرهم بأحمد يكون خاتما للنبيين، وأخبرهم أن أحدهم سيخونه، ويبلغ عن مكانه، وقد أكل معه الخبز، وشرب معه الماء، حيث قال لهم – كما جاء في بعض الأناجيل-:" إن بعضكم ممن يأكل ويشرب معي يسلمني"، وكان هذا الخائن تلميذا من تلاميذه الحواريين يُدعى:"يهوذا الأسخريوطي" الذي أرشد الشرطة إلى مكان عيسى – عليه السلام – مقابل ثلاثين درهما

* جريدة البصائر العدد 315 .

أعطوها له جزاء خيانته، وذكرت بعض الروايات أن الله ألقى شبهه على ذلك الخائن "يهوذا الأسخريوطي" فأخذوه وهم يظنون أنه المسيح عيسى – عليه السلام – فصلبوه وقتلوه : ﴿ **وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا** ﴾ **سورة النساء الآية: 158.**

نموذج "يهوذا الأسخريوطي" كثيرا ما يتكرر في الدعوات وحركات التغيير، فيكون سببا في ضياع الثمار، وعرقلة الجهود، وزرع بذور الخلاف والشقاق بين السائرين نحو الهدف، فهو يسعى لخدمة نفسه تحت شعار خدمة الإسلام، والحق أن الإسلام ودعوته ما هما إلا مطية لدنيا يصيبها، أو غنيمة ينالها، ولو على حساب المبادئ التي عمل وضحى في سبيلها رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فمنهم من قضى نحبه، بعد أن أدى الواجب كاملا غير منقوص، ومنهم من ينتظر عاملا صابرا محتسبا، وما بدلوا تبديلا، فهمُّهم الوحيد كان خدمة الإسلام وإعلاء كلمة الله لتكون هي العليا، وما انتظروا جزاء من أحد ولا شكورا...

من هنا وجب تحصين الصفوف من أسباب لقاء الحتوف، وتربية النفوس وتزكيتها، ورفع مستوى الوعي الفكري بين حداة القافلة، حتى تستمر المسيرة هادئة مطمئنة في إطار: ﴿ **رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا**

الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ سورة الحشر الآية: 10.

ومن تمام الفقه الواعي، للمسلم الداعي، أن يتدبر قول رسول الله – صلى الله عليه وسلم– :" **أبشروا وأملوا ما يسركم ، فو الله ما الفقر أخشى عليكم ، ولكني أخشى أن تبسط الدنيا عليكم كما بُسطت على من كان قبلكم ، فتنافسوها كما تنافسوها ، فتهلككم كما أهلكتهم** " (متفق عليه).

وما أحكم قول الشاعر الإسلامي الحديث حين قال:

تقوى الإله إذا تُخالط مهجة

تُروي القلوب الظامئات وتُعتقُ

إن التقي يعيش في كنف الهنا

فإذا أردتـــم أن تفوزوا فاتقُوا

فيها لقلبك بهجة وسكينة

وبـــها لعقلك راحـــة وتألـــقُ

فيا حداة الركب اسمعوا، وعوا، وانتفعوا، يرحمني وإياكم الله.

الإخوة الأعداء..معادلة خاطئة ! *

الصراع بين الإخوة الأعداء في العراق بلغ حدا خطيرا بات يُهدد مستقبل العراقيين جميعا على اختلاف أعراقهم ومذاهبهم وطوائفهم، فالـــموت يحصد أرواح العراقيين في كل حي، وفي كل مدينة، وداخل دور العبادة...ولا يستثني أحدا، والخاسر الوحيد في هذه المعادلة الخاطئة هو العراق ووحدته...عراق الحضارة الذي دمرته الأثرة، وحب الزعامة، وأطماع الأعداء والأصدقاء على حد سواء..!

الفتنة الطائفية الدائرة رحاها في بلاد الرافدين بين السنة والشيعة لا تخدم إلا مصالح أمريكا وإسرائيل، ولن تخدم استراتيجيا على المدى المتوسط والبعيد دول الجوار التي تحاول استغلال الوضع العراقي المزري كورقة ضغط من أجل تحقيق أهداف سياسية لصالحها عجزت عن تحقيقها بطُرق أخرى..!

يجب أن يفقه العراقيون على اختلاف التوجهات والطوائف أنه لن يكون هناك منتصر في العراق، فالمغلوب سيكون مهزوما، والمنتصر سيكون مهزوما، لأن السفينة المحترقة ستغرق بمن عليها..بالقاتل والـــمقتول..وبالـــمنتصر والـــمهزوم!

---

* جريدة البصائر العدد 316 .

لقد اتسع صدر الأمة في الــماضي لتعدد المذاهب، وتنوع المدارس، واختلاف الفرق, تحت شعار: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ** ﴾ **سورة البقرة الآية 132**، فالإسلام كان الهوية التي تجمع كل أفراد الأمة الإسلامية في بوتقة واحدة كأنهم بنيان مرصوص، أو كالجسد الواحد الذي إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى، والاتحاد اليوم أوجب الواجبات، ولا سيما في هذه المرحلة العصيبة التي تتعرض فيها الأمة لأبشع أنواع الكيد والتآمر على حاضرها ومستقبلها!

إن السعي من أجل التقريب بين الــمسلمين الذين جمعتهم العقيدة الواحدة، والقبلة الواحدة، والكتاب الواحد، والرسول الواحد، والإصلاح بينهم، وإذابة جليد الشقاق والخلاف بين طوائفهم ومذاهبهم، من أحب الأعمال إلى الله -عز وجل- وأفضلها، قال تعالى: ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ** ﴾ **سورة الحجرات الآية 10**، وقال الرسول – صلى الله عليه وسلم -:" ألا أخبركم بأفضل من درجة الصلاة والصيام والصدقة؟ قالوا: بلى. قال:" إصلاح ذات البين، فإن فساد ذات البين هي الحالقة " (رواه الترمذي وأحمد عن أبي الدرداء).

والمسؤولية ملقاة على عاتق العلماء والقادة من الطائفتين المؤمنتين في العراق، فإذا تصالحوا وتوحدوا، تصالح الشعب العراقي بتصالحهم،

وتوحد بتوحدهم، ليقاوم المحتل الأمريكي الذي تسبب في دمار عراق الحضارة.

...نريدها صلاة ربانية ! *

جميل أن نتوجه إلى الله -عز وجل- بطلب الغيث بعد انقطاعه عن وقته، ولكن الأجمل أن نتوجه بطلبنا هذا كما يحبه الله ويُرضيه، لأن صلاة الاستسقاء عبادة: يزينها الخضوع، ويعمها الخشوع، وتظهر منها معاني التجاء المخلوق إلى الخالق، فيعترف العبد بضعفه وحاجته، فالسماء لا تمطر إلا بأمر بديع السماوات والأرض وما بينهما..فأين قدرة العلم والتكنولوجيا!؟

كنت أود أن تكون صلاة الاستسقاء التي أقيمت منذ أيام على هذه السيرة، قد استجمعت هذه المعاني، ولكن للأسف تبدو هذه الصلاة في كثير من الأحيان صلاة "إدارية" لا صلاة "ربانية" ورغم هذا فإن الله -عز وجل- بمنته يغفر فيرحم!

كان الأكمل في صلاة الاستسقاء أن تقام على الوجه الروحاني الذي حدد معالمه العلماء انطلاقا من الكتاب والسنة، وتوجيهات سلفنا الصالح، فقد جاء في كتاب:"المجموع شرح المهذب للشيرازي"(ج 5/ص53 - 55) - باختصار - ما يلي:

" إذا أراد الإمام الاستسقاء خطب الناس، ووعظهم وذكرهم، وأمرهم بالخروج من المظالم والتوبة من المعاصي، ومصالحة المتشاحنين، والصدقة والإقبال على الطاعات، وصيام ثلاثة أيام...ويستحب أن

---

* جريدة البصائر العدد 317 .

يستسقى بأخيار من أقارب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وبأهل الصلاح من غيرهم، وبالشيوخ والضعفاء والصبيان والعجائز...ويستحب أن يتنظف للاستسقاء بغسل وسواك، وقطع الرائحة الكريهة، ويستحب أن لا يتطيب وأن لا يخرج في زينة، بل يخرج في ثياب بذلة -بكسر الباء- وهي ثياب المهنة، وأن يخرج متواضعا خاشعا متذللا متضرعا ماشيا، ولا يركب في شيء من طريق ذهابه إلا لعذر كمرض أو نحوه...ولا يؤذّن لها ولا يقيم، ويستحب أن يقال : الصلاة جامعة...والسنة أن يصلى في الصحراء -أو البطحاء- بلا خلاف، لأن النبي -صلى الله عليه وسلم- صلاها في الصحراء، ولأنه يحضرها غالب الناس والصبيان والحيض والبهائم وغيرهم، فالصحراء أوسع لهم وأرفق بهم".

رحم الله إبراهيم بن أدهم الذي اجتمع بأهل البصرة ذات يوم، فقالوا له:" يا إمام ما لنا ندعو فلا يستجاب لنا؟".

قال -رضي الله عنه-:

" لأن قلوبكم ماتت بعشرة أشياء، هي:

- عرفتهم الله فلم تؤدوا حقه.
- وزعمتم حب النبي -صلى الله عليه وسلم- وتركتم سنته.
- وقرأتم القرآن و لم تعملوا به.
- وأكلتم نعمة الله و لم تؤدوا شكرها.

- وقلتم إن الشيطان عدوكم ووافقتموه.
- وقلتم إن الجنة حق و لم تعملوا لها.
- وقلتم إن النار حق و لم تهربوا منها.
- وقلتم إن الموت حق و لم تستعدوا له.
- وانشغلتم بعيوب الناس ونسيتم عيوبكم.
- ودفنتم موتاكم و لم تعتبروا بهم".

فاللهم بألطافك نستغيث، وبقدرتك نلوذ، فعجل لنا برحمتك الواسعة، فإنك تقدر ولا نقدر، وأنت فعال لما تريد.

إفريقيا تصرخ...وا إسلاماه ! *

جمعتنا جلسة مباركة طيبة بالحاجة الشيخة مريم بنت الشيخ إبراهيم انياس -حفظها الله- مؤسسة ومديرة دار القرآن الكريم بالسنغال، ولفت نظري تصميمها الحديدي على خدمة القرآن ونشر تعاليم الإسلام في بلادها وفي إفريقيا، إلا أنها لم تستطع إخفاء حزنها وقلقها من قلة الدعم المادي والمعنوي الذي يأتيها من العالم الإسلامي مقابل الدعم الخيالي الذي تتحصل عليه مؤسسات التنصير من خارج إفريقيا التي تسعى لتنصير أهلها..!

لقد أظهرت إحصائية لمنظمة الدعوة الإسلامية مدى النشاط التنصيري الحاصل في القارة السمراء، حيث أوردت أن أكثر من 74 مجلة أسبوعية للتبشير تصدر في هذه المنطقة المنكوبة، وأن هناك ثمانية مليارات من الدولارات رُصدت لحملات التنصير وحدها, كما ازداد النشاط التنصيري في أنحاء العالم بشكل ملفت للانتباه، حيث أصبح عدد المشتغلين بالتنصير حوالي (104000) من الموظفين، وأن المعاهد التابعة للكنائس بلغت (20000) مؤسسة، والجامعات الخاضعة لها (500) جامعة, ومدارس اللاهوت التي تُخرّج المنصرين الأفارقة (490) مدرسة, والمدارس ورياض الأطفال التي تُشرف عليها الكنائس (10677) مدرسة وروضة, وبينت إحصاءات منظمة

* جريدة البصائر العدد 318 .

الدعوة الإسلامية أن المستشفيات التي تملكها الكنيسة (10600) مستشفى, ودور إيواء العجزة والأرامل والأيتام (680) دارا, وللأسف عدد الطلاب المسلمين الذين يدرسون في مدارس الكنيسة الخيرية ستة ملايين طالب, وعدد الصيدليات التي تملكها (10050) صيدلية، ويُضاف إلى ذلك العديد من القنوات والإذاعات الخاصة بالتبشير الموجهة إلى قلب العالم الإسلامي ليلا ونهارا ومنها إفريقيا القارة العذراء...وقد أشارت "الهيئة الدولية لبحوث الإرساليات المسيحية" إلى أن المبلغ الذي جُمع للإنفاق في أغراض التبشير على سبيل المثال لسنة 1991م وصل إلى 181 مليار دولار، والمبلغ يتضاعف في كل عام بشكل ملفت...هكذا يستميت ابن النصرانية في خدمة عقيدته, فمتى يتحرك ابن الإسلام ليصنع شيئا لعقيدته ودينه وأمته؟

إن المال عنصر أساسي في تحريك أي دعوة ونشر فكرها، وتجهيز رجالاها بالوسائل الضرورية حتى تؤتي أعمالهم ثمارها اليانعة النافعة...والغريب أن كثيرا من مشاريع الدعوة الإسلامية أصابها الشلل في بداياها الأولى لافتقادها الأموال اللازمة التي تساهم بالحظ الأوفر في ولادها ونموها نموا طبيعيا، واستمرار وجودها إلى أن تؤدي دورها المنوط بها.

ومواجهة "التبشير والتنصير" في الأراضي الإسلامية يحتاج إلى أموال ضخمة تُصرف في ميادين متعددة ليتم الوقوف في وجهه، والحد من

انتشار مدّه، خاصة أن الأرقام المالية التي تمتلكها الكنائس تكاد تكون خيالية مقارنة بما تمتلكه المؤسسات الدعوية الإسلامية التي:

1 – في الغالب لا تملك الأموال الكافية، خاصة بعد تقييد ومنع التبرعات باسم "قانون مكافحة الإرهاب العالمي...".

2 – ولا تُحسن صرف ما تملكه في الأوليات والضروريات.

3 – ولا تعمل على تثمير أموال الوقف أو أموال الصدقات في مشاريع اقتصادية تحافظ على رأس المال وتضاعف فوائده التي تُصرف في مجالات الدعوة ونشر الإسلام، وغيرها من الأعمال المفيدة للمسلمين، بل والإنسانية جمعاء.

كما أن مدافعة التنصير تحتاج إلى دعاة مسلمين واعين متفرغين لذلك، لا يشغلهم عن ممارسة هذه المهمة الجليلة شيء من منغصات الحياة ومتطلباتها الضرورية التي تتكفل بها –في الأصل– أموال الوقف والصدقات والتبرعات التي يقدمها أغنياء المسلمين.

ولا بد من توحيد المجهودات المبذولة بين هؤلاء الدعاة العاملين في جبهة الدفاع عن الإسلام والمسلمين من خطر التنصير والمبشرين مع مجهودات الأئمة والعاملين الرسميين في السلك الديني في إطار قانوني شفاف حتى لا توجد هناك عوائق وحؤول وسوء تفاهم يجني على الدعوة الإسلامية في عقر دارها، ويكون المستفيد الوحيد من ذلك حركة التنصير التي تلاقي عناية من أهلها (رسميا وشعبيا) خارج أراضي

المسلمين، وتهيئ لها الأجواء الحسنة في داخلها بالضغط السياسي تارة، والاقتصادي تارة أخرى...!

وأحب أن أذكر هنا أن مساحات ومناطق إسلامية شاسعة في القارة السمراء تحتاج إلى دعاة مسلمين يساهمون في نشر الإسلام وتعليم المسلمين فيها، ومكافحة التنصير الذي أخذ أشكالا متنوعة وأسماء مختلفة كـــــ (محو الأمية، والتعليم، والإغاثة، وغيرها...)!

والحق أن المؤسسات والمراكز الإسلامية التي تعمل في الحقل الدعوي بالعموم كثيرة، ولكن التي تتخصص في مدافعة التنصير ورد هجماته قليلة جدا.

وتجميع الطاقات العاملة في نشر الإسلام ومقارعة هجمات التنصير داخل مؤسسة قانونية متخصصة لذلك، أمر في غاية الأهمية، فالعمل الجماعي – كما يقول مالك بن نبي في كتابه شروط النهضة – يمثل فكرة "توجيه الطاقة" في أعلى صورها، فهو "قوة في الأساس، وتوافق في السير، ووحدة في الهدف..والتوجيه هو تجنب الإسراف في الجهد وفي الوقت".

والأجمل أن تتوحد طاقات ومجهودات المؤسسات المنافحة في ثغور مدافعة التنصير في العالم الإسلامي، وتعمل في إطار تنظيمي تكاملي تساهمي، فالخطب أوسع من أن تواجهه مؤسسة بمفردها.

وأفضل ما نختم به هذه الكلمة المتواضعة في شأن التنصير الحاصل في العالم الإسلامي، وبالضبط في القارة السمراء، مقولة الإمام العلامة

الجليل فضيلة الشيخ "عدون" – رحمه الله – :" **إننا قد أوجدنا حلولا لعصرنا، فعليكم أنتم أن تجدوا حلولا لعصركم** ".

دمعة من عوراء غنيمة باردة ! *

أنعم الله -عز وجل- بالغيث الـــمنهمر الـــمستمر علينا في هذه الأيام الـــمباركة، مما سيُسهم – بإذن الله – في نماء الزرع، وامتلاء الضرع، فيأكل ويشرب الأصل والفرع ﴿ **وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ** ﴾ **سورة إبراهيم الآية: 34.**

وإنْ كان هذا الغيث الـــمصحوب بالبرودة الشديدة نعمة على البعض، فهو ابتلاء للبعض الآخر من الـــمستضعفين الذين لا يجدون سكنا يأويهم، ولا طعاما يُشبعهم، ولا لباسًا يواري أجسادهم، ولا يدا حانية تأخذ بأيديهم فتنفض عنهم غبار الهموم والشدائد!

مسؤولونا الذين أترفتهم النعمة، وابتلاهم الله بالبطنة، فذهبت عنهم الفطنة، لا يحسون بمعاناة الناس البسطاء، حتى كأنهم لا أحياء فيُرْجَون، ولا أموات فيُنْسَون، وكيف يشعر أحدهم بالآخرين وهو يسكن في قصر مشيد بأموال ضخمة، ينتشر الدفءُ في أرجائه حتى في:"بيت الخلاء"، وإذا خرج من قصره استقل سيارة فارهة دافئة فلا يُلامس "البرد" خلية واحدة من جسده الـــملفوف بأغلى الألبسة من "صنع بلاد الروم" وليست من "صنع بلادنا"..!

* **جريدة البصائر العدد 320 .**

مسكين الـــمواطن البسيط الـــمستضعف "المحقور" في وطنه الذي لا يجد من يُريحه من الظلم الواقع عليه..وبين يدي الآن — وأنا أكتب مقالي- هذا الخبر الذي أوردته الشروق اليومي (عدد 1874) بعنوان:" مواطن يريد تطبيق تعليمة الرئيس للولاة " جاء فيه ما يلي:

" تفاجأ شاب وهراني بأعوان الأمن يحيطون به من كل جانب عندما دخل في عراك مع "سكرتيرة " بمقر الولاية، راح يسألها عن طلب أودعه منذ 20 يوما بغية مقابلة السيد الوالي.!

ولكن الشاب الجامعي وحامل شهادة الليسانس في الصحافة قالوا له أنه سيقابل الأمين العام فقط، ثم رفضوا فيما بعد...والحقيقة هي أن الـــمواطن الـــمغبون كان ضحية (سوء فهم) - أو هكذا يبدو – لخطاب الرئيس بوتفليقة أمام الولاة حين قال أن مقابلة الرئيس "بوش" و"بوتين" أسهل من مقابلة والي من ولاة الجزائر (لا بد من ترجمة لخطاب الرئيس إذن)"!

أخبرني مواطن فقير بسيط، لا حول له ولا قوة، أنه ذهب يشتكي لدى مصالح بلدية مكتوب على بابها:"من الشعب وإلى الشعب"، لأن بيته القديم الذي يكتريه سيسقط عليه، وعلى عائلته، في أي لحظة، ولا يملك مكانا آخر يذهب إليه، فماذا كان جواب المسؤول؟

ببساطة قال له:" اصبر"! .. يعني اصبر على الموت بـــ " الإعدام هدما"!

تمنيت من الـــمواطن لو أجاب هذا الـــمسؤول الذي يملك (F5) بقوله:" أتحداك لو تنام أنت وعائلتك في بيتي الآيل إلى السقوط ليلة واحدة، ونرى إن كنت ستصبر أم لا ".

إذا كانت مقاليد الـــمسؤولية بيد من لا يخاف الله، فسلام على الدنيا، وسلام على أهلها، وصدق النبي -صلى الله عليه وسلم- حين قال:" **إذا كان أمراؤكم شراركم، وأغنياؤكم بخلاءكم، وأموركم إلى نسائكم، فبطن الأرض خير لكم من ظهرها** ".

ولقد أحسن من قال:

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم
ولا ســـراة إذا جهـــالهم سادُوا
تبقى الأمور بأهل الرأي ما صلحت
فإن تولّـــت فبالأشـــرار تَنقـــادُ

من يتذكر البؤساء والمستضعفين؟!*

كنت عازما على كتابة شيء عن "الجزائر عاصمة الثقافة العربية"، التي بدأت فعالياتها الأسبوع الماضي، لكن حال بين هذه النية والفعل، ما رأيتُه وأنا أسير في شوارع الجزائر العميقة من مشاهد الفقر والبؤس والحرمان التي يُعاني منها أبناء الجزائر، وقد نطق لساني بإذن من "اللاشعوري" بالمثل الشعبي القائل:"يا لمشبح من برى واش حوالك من داخل"!.

امرأة ملفوفة في غطاء قديم تحتضن رضيعها الذي غاص في نوم عميق، ومن وجهه تشع براءة الأطفال التي تُنافس الملائكة طُهرا..المرأة المسكينة تمد يدها وعلامات القلق والاستجداء بادية على صفحات وجهها الأصفر الذي يكاد ينطق طالبا الإسعاف والمعونة..!

طفل صغير لم يبلغ الحلم، ربما يتعدى سنواته العشر بقليل..يفترش الأرض..ولا يكاد من يراه يُميّز حقيقة لون بشرته من كثرة الأوساخ التي غزت جميع جسده الملفوف في شبه غطاء..صامت..لا يمد يده..وكأنه يئس من عطف المارة الذين يسيرون أمامه وكأنه نسيا منسيا..!

---

* جريدة البصائر العدد 322 .

شيخ بلغ من العمر عتيا، قد اشتعل رأسه شيبا، ووهن عظمه، يجلس منكسر الحال، وقد وجَّه نظراته البائسة نحو الأرض، وكأنه يستجديها طالبا منها أن ترحمه بإعادته إليها..يضع أمامه "وصفة دواء" عجز عن شراء ما فيها من أدوية..ربما تكون له، أو لزوجته، أو لأحد أفراد عائلته..!

كفيف البصر منكمش في زاوية أحد الممرات المتآكلة..ترتعد فرائسه من شدة البرد..يطلب حسنة من المحسنين، ويستعطف قلوب المارة المملوءة بأصناف الهموم والغموم..!

ولو رُحتُ أعدِّد وأنقل ما شاهدته في هذه الصبيحة، على صفحات الجريدة، لضاقت كلها عن استيعاب آلام ومآسي"المغبونين" الذين رأيتهم..!

ألا يملك مسؤولونا -الذين استرعاهم الله أمر هذا الشعب- عيونا يبصرون بها، وآذان يسمعون بها..؟ أيستلذون المأكل، والمشرب، والملبس، والنوم، و..و..و..وكثير من أبناء شعبهم يقاسون الجوع، والعطش، والبرد، وتداعت عليهم المحن والإحن؟!

ألا يدركون أن الله سائلهم عن كل فرد من هذا الشعب يوم القيامة، بل حتى عن "الحيوانات" في هذا البلد..ولله درّ "عمر الفاروق" -رضي الله عنه- الذي قال يوما:" لو أن بغلة في أرض العراق عثرت لخشيت أن يسألني الله عنها.لماذا لَم تسوِّ الطريق لها يا عمر"؟!

من الـــمال العام مليارات نُهبت، أو صُرفت في أتفه الأشـــياء، ولـــو وُزعت وصُرفت بالعدل والقسطاس الـــمستقيم لاستطاع الكثير مـــن الجزائريين اليوم أن ينالوا حقهم في العيش اللائق المحترم.

عجبا ثم عجبا لـــمن يلي أمر الناس ثم ينساهم، فليُعِد الجواب ليـــوم يُسأل فيه أمام ملك عدل لا يُظلم عنده أحدٌ، ولـــيعلم أن كـــل راع "مسؤول" يُبعث يوم القيامة موثوقا، فإما أن يفكه عدله، وإما أن يُوبقه ظلمه وجوره..!

رجال الله...*

في شبابي الباكر كثيرا ما كانت —وما زالت– تهزني مواقف الصحابة الكرام التي كنت أقرأها في بطون الكتب التي أرخت لسيرتهم العطرة، وبطولاتهم النادرة، فتجعلني هذه القراءة الـــممتعة أعيش في جوّ رباني مـــملوء بـــمشاعر العزة والكرامة، وتتنزل الرحمة التي تتوزع في أرجاء الـــمكان الذي أكون جالسا فيه، وصدق أحد الصالحين العلماء العاملين عندما قال:"إذا ذُكر الصالحون نزلت الرحمة"، فقيل له:"وإذا ذُكر الله كيف يكون الحال؟" فأجاب قائلا:"إذا ذُكر الله نزلت الطمأنينة، أو لـــم تقرأوا قول الله في كتابه الكريم: ﴿ **أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ** ﴾.

لقد أنعم الله –عز وجل– على الصحابة الكرام بالتتلمذ على يدي النبي —صلى الله عليه وسلم–، فجعل منهم رجالا ربانيين، أحبوا الله، فخدموه بصدق وتجرد، وسعوا لإرضائه وحده، فرضي عنهم ورضوا عنه.

والقارئ لأحداث معركة "اليرموك" التي خاض فيها الـــمسلمون أعظم معاركهم في التاريخ ضد الروم سيجد فيها أروع الأمثلة في الصدق ونكران الذات وإخلاص النية، واستمع إلى خطبة خالد بن

---

* جريدة البصائر العدد 323 .

الوليد –رضي الله عنه- في بداية الـــمعركة – كما أوردها ابن كثير في البداية والنهاية – فإنك سترى كيف كان فقه الصحابة، ونقاء وارتقاء نفوسهم الزكية، قال خالد –رضي الله عنه- خطيبا:

"...إن هذا يوم من أيام الله، لا ينبغي فيه الفخر ولا البغي، أخلصوا جهادكم، وأَريدوا الله بعملكم، وإن هذا يوم له بعده لو رددناهم اليوم إلى خندقهم فلا نزال نردهم، وإن هزمونا لا نفلح بعدها أبدا، فتعالوا فلنتعاور (أي نتداول) الإمارة فليكن عليها بعضنا اليوم، والآخر غدا، والآخر بعد غد...".

بيد أن الصحابة الأشاوس –وكان فيهم أبو عبيدة، وعمرو بن العاص، وشرحيل بن حسنة، ومعاذ بن جبل، والزبير بن العوام...– رأوا في خالد أنه رجل تلك الـــمرحلة، فأمَّرُوه عليهم، إذ مصلحة الإسلام والـــمسلمين فوق كل مصلحة شخصية، ولا مكان لفتح ثغرة – ولو كانت صغيرة- في الصفوف قد يلج منها العدو الـــمتربص إلى الداخل!

وعندما هدأ صوت الـــمعركة التي تطايرت فيها الرؤوس والأشلاء، وقُتل فيها الآلاف من الجانبين، وأعز الله جنده بالنصر، تقدم أبو عبيدة إلى خالد وقد كتم أمر تولية الخليفة عمر بن الخطاب له على رأس الجيش حتى فتح الله على الـــمسلمين دمشق فقال له خالد: يرحمك الله، ما منعك أن تُعْلِمَني حين جاءك (أمر التولية)؟ فقال:"إني كرهت أن أكسر عليك حربك، وما سلطان الدنيا أريد، ولا للدنيا أعمل، وما

ترى سيصير إلى زوال وانقطاع، وإنما نحن إخوان وما يضر الرجل أن يليه أخوه في دينه ودنياه".

رحم الله أبا عبيدة، أمين هذه الأمة، ورحم الله خالدا، سيف الله المسلول، الذي جاءه بعض الذين بقيت في أنفسهم أشياء من أدران الجاهلية، فأرادوا دفعه لمعصية أمر الخليفة عمر بن الخطاب والانقلاب عليه، وهو القائد المنتصر الذي هزم أعتى جيوش عصره، وصاحب الكلمة المسموعة في الجيش الإسلامي المُغْرم بعبقريته الحربية، فأجاب هؤلاء المرضى قائلا:

"لقد كنت جنديا لله وأنا أمير على الجيش، وأنا بعد عزلي ما زلت جنديا لله".

بمثل هذه المعاني الربانية الراقية انتصر المسلمون الأوائل، واستطاعوا أن يبنوا أعظم حضارة أخرجت للناس، ويوم يقتفي المسلمون أثر هؤلاء السادة الأمجاد من صحابة الرسول -صلى الله عليه وسلم-، سيفلحون وينتصرون!.

"الهولوكوست"..بضاعة مغشوشة ولكنها رابحة!*

القرار الأممي الصادر والـــمندد بكل مكذب بيوم المحرقـــة اليهوديـــة (الهولوكست) أظهر للمرة الألف أن هذه الـــمنظمة العليلة لـــم تعد قادرة على إنصاف الـــمظلوم وردع الظالـــم، بل أصبحت أداة طيعة في يد أمريكا —وأخواتها— تعزّ بها هذه "الدولة الـــمتجبرة" من تشاء، وتذل بها من تشاء، فلا معقب لحكمها الجائر الذي يخرج من ادعـــاء نشر العدالة والديمقراطية وحقوق الإنسان..!

"مسألة الـــمحرقة اليهودية" مســـألة تاريخيـــة محضـــة كـــان مـــن الـــمفروض أن يتناقش الـــمؤرخون حولها ليقرروا بعد ذلك الحقيقة، ويرسموا تفاصيلها دون ميل أو عدوان على الحق الذي يجب أن يكون مجردا من أي عاطفة، لكن دولة التجبر والطغيان"أمريكا" حولت مسألة "الهولوكست" من مسألة تاريخية إلى مسألة سياسية، فكانت "صـــفعة ساخنة" — سبقتها صفعات - على وجه الدول العربية والإســـلامية، وعلى رأسها "إيران" التي نظمت مؤتمرا دوليا لـــمناقشة مسألة "المحرقة اليهودية"، ويصدق حال أمريكا مع الدول العربية الـــــمثل العـــربي القائل:" يأكل تـــمري وأُرجم بالنوى"!.

* جريدة البصائر العدد 324 .

في الحقيقة لـــم يؤلـــمني أن تُصدر الأمم "الـــمتخذة" قرارًا باستنكار كل تنديد بالمحرقة اليهودية التي مضى عليها سنوات طويلـــة، بيـــد أن الـــمؤلم حقا أن تتجاهل هذه الـــمنظمة كثيرا من "المحارق" التي تولّى تنفيذها الاستعمار الغربي في البلاد العربية والإســـلامية، وفي الـــدول الـــمستضعفة، وتمنيت من "إيران" لو تدعو إلى تنظـــيم مـــؤتمر دولي لـــمناقشة "محرقة الهنود الحمر" في الولايات الـــمتحدة الأمريكيـــة، فالمسألة جديرة بالاهتمام!.

إن "المحارق" التي نفذها الكيان الغاصب في الأراضي المحتلة الفلسطينية، أشد عذابا وأعظم إيلاما من "محرقة اليهود" التي تحولـــت إلى بكائيـــة يتاجر بها اليهود في المحافل الدولية لجني الأرباح الـــمادية والمعنويـــة – كعادتهم– لأنهم يحسنون تسويق بضائعهم وبيعها حـــتى وإن كانـــت مغشوشة!.

ظاهرة "استغباء العالـــم" بالمحرقة ومعاداة السامية لـــم تعد تؤتي أكلها فكريا اليوم كما كانت في الـــماضي، ولكن القهر الأمريكي جعـــل العالم كله يُصدّق رغم أنفه أن "الـــمعزة" تطير في السماء، و"الحوت" يقطع ماشيا آلاف الأميال في الصحراء، والأسد إن خرج من الـــماء يموت اختناقا..!

لقد أظهرت معركة جنوب لبنان أن الكيان الصهيوني لا يستطيع الصمود أمام عزيمة الـــمخلصين من أبناء الأمة الإسلامية فهو سريع الانكسار إذا جابهه الإيمان والاعتماد على الله، غير أن قوة هذا الكيان

الغاصب تكمن في الدعم الأمريكي الذي يلقاه من الإنجيليين الـــمسيحيين الـــمتصهينين في مكاتب صُنع القرار في "البيت الأسود" وفي الكونغرس الأمريكي، وفي شتى الـــمواقع الحساسة داخل أمريكا..!

والعجيب أن هؤلاء الإنجيليين الـــمتصهينين يقدمون مصلحة الكيان اليهودي على مصلحة شعبهم، وأتوقع أن الشعب الأمريكي يوما ما سيستفيق من "التنويم الـــمغناطيسي" ويدرك أنه رهينة في يد ثلة من الـــمخادعين، وسيعلن انطلاق معركة "الاستقلال" ليس من الفضائيين الخضر، بل من مسؤولين أمريكيين "مجانين" يريدون تدمير العالم كله!.

الفلسطينيون يقتتلون وبيت المقدس مهدد بالهدم ![*]

من غرائب هذا الزمان العجيب أن يتقاتل أبناء فلسطين -التي أصبحت سجنا كبيرا لهم- على "سلطة" منهوكة لا تنفع ولا تضر، ولا وزن لها، ويموت من أجل "شهوة التسلط" العشرات من الفلسطينيين الأبرياء برصاص الإخوة الأعداء، وقريبا منهم الكيان الصهيوني الغاصب يسعى إلى تهديم "بيت المقدس" بافتعال حفريات تجري تحته لتدمير البنية التحتية للمسجد الأقصى، وهذه الحفريات تتزعمها جماعات يهودية متشددة بهدف –حسب زعمهم– البحث عن هيكل سليمان وإعادة بنائه على أنقاض "بيت المقدس"!

فقد كشفت مؤسسة الأقصى لرعاية وإعمار المقدسات الإسلامية داخل الخط الأخضر عن حفر نفق تحت الأرض يبعد بنحو 600 متر عن المسجد الأقصى، ويؤدي إلى الزاوية الجنوبية الغربية منه، إذ شرعت في تنفيذه جمعية يهودية برعاية سلطة الآثار الإسرائيلية، والنفق الذي يتم حفره حاليا – كما أوضحت المؤسسة – يصل بين حي سلوان وأسفل المسجد الأقصى وتقوم بحفره جمعية "إلعاد" الاستيطانية، ونهاية هذا النفق معروفة وتم حفرها قبل 15سنة.

وذكرت نفس المؤسسة أن النفق الذي يتم حفره الآن على عمق أكثر من عشرة أمتار، وبعرض أكثر من مترين، يمر من أسفل منطقة عين

---

* جريدة البصائر العدد 325 .

سلوان وتحت أرض مسيحية وقفية، ويتجه شمالا نحو السور الجنوبي للمسجد الأقصى، ومسافة الحفر وصلت إلى نحو 30م.

إن محاولات تهويد القدس تجري بمكر ودهاء في حين غفلة من المسلمين في فلسطين وفي باقي العالم الإسلامي، ورغم صيحات التحذير القوية التي يوجِّهها المخلصون من أبناء فلسطين إلى جميع المسلمين في العالم إلا أنهم لا يكادون يسمعون قولا، ولا يريدون أن يأبهوا للخطر المحدق بأولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين.

كان من الواجب أن يتحمل المسلمون، حكاما ومحكومين، مسؤولياتهم نحو المسجد الأقصى المهدد بالهدم في أي لحظة، وتمنيت لو أن الدماء التي سالت في فلسطين برصاص أبنائها لو أنها سالت على أبواب بيت المقدس دفاعا عنه من مؤامرات أبناء القردة والخنازير، ولله في خلقه شؤون!.

القدس تستغيث..فهل من مغيث !؟*

الفلسطينيون الشجعان، والعزل، إلا من ثقتهم بالله رب العالـــمين، واجهوا بأجسادهم العارية الهمجية الصهيونية في أرض الحرم القدسي نيابة عن أكثر من الـــمليار من الـــمسلمين في أنحاء العالم الذين وقفوا حائرين أمام الوضع الخطير في فلسطين الذي يتهدد المسجد الأقصى، فما استطاعوا أن ينفعوه بشيء عملي، بل حتى التنديدات التي كانت تخرج إلى العلن على استحياء أصبحت مفقودة أو الذين يكتبونها يدركون جيدا أنها من أضعف الإيمان!

إن الأقصى بحاجة إلى أفعال وأعمال تضيف إليه جديدا في مسعى الدفاع عنه وعن مقدساته، فالكلام أضحى لا يغني ولا يُسمن من جوع..!

وعلى حكام الـــمسلمين تقع الـــمسؤولية الكبرى لحماية مدينة القدس من محاولات تهويدها من طرف الصهاينة، وتحطيم كل ما يربطها بالـــماضي الإسلامي العريق، كما يجدر بهم – وهم الرعاة الذين استرعاهم الله أمر هذه الأمة – أن يفسحوا المجال للشعوب المسلمة حتى تتضامن بكل حرية مع فلسطين، ومسجدهم الأقصى الشريف، وأبناء فلسطين الأبطال الذين يعانون القهر والظلم بسبب تجبر وطغيان الكيان الغاصب الـــمسمى "إسرائيل"!

---

* **جريدة البصائر العدد 326 .**

الشعوب الإسلامية اليوم أصبحت لا تتحمل ضغوطات حكامهم عليهم ومنها منعهم من مناصرة قضية "فلسطين" و "المسجد الأقصى"، فقضيتهما مسألة حساسة بالنسبة لكل مسلم لأنها جزء لا يتجزأ من عقيدته، والمساس بها مساس بهذه العقيدة الإسلامية التي لا يقبل أبدا أن تهان أو يُعتدى عليها!

ورحم الله الإمام الشيخ عبد الحميد بن باديس عندما كتب قائلا في مقال له بعنوان:" فلسطين الشهيدة ":" رحاب القدس الشريف مثل رحاب مكة والمدينة، وقد قال الله تعالى في المسجد الأقصى في سورة الإسراء: ﴿... **الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ** ... ﴾ ليعرفنا بفضل تلك الرحاب فكل ما هو واقع بها كأنه واقع برحاب المسجد الحرام ومسجد طيبة" (آثار الإمام عبد الحميد بن باديس.ص400).

فهل بعد محاولات هدم "بيت المقدس" يبقى الكلام عن السلام مع الكيان الصهيوني الطاغي الغاصب..والله من يتحدث عن "السلام" يجب أن يُتهم في عقله ؟!.

هل أصبح العَلَمُ الوطني كابوسا؟!*

يشتكي الكثير من تلاميذ المدارس الابتدائية من التعليمة الصادرة من وزارة التربية الوطنية التي تنص على وجوب تحية العَلَم الوطني كل صباح في وقت مبكر مما أرهق هؤلاء التلاميذ، وأصبح يرافقهم التذمر، وينطلق لسانهم بالشكوى من قسوة هذا الإجراء الذي لم يُدرس بيداغوجيا، وإنما كان نتيجة لحظة "مزاجية" من مسؤول استرعاه الله أمانة تعهد الآلاف المألفة من أبنائنا وبناتنا..!

لا يكتمل إيمان المرء -كما علمنا ديننا الحنيف- إلا بحب وطنه، بل ومن مقاصد التشريع الإسلامي حفظ الأرض، والأرض جزء لا يتجزأ من الوطن, وجميل أن يسعى المربون لتربية الأبناء على حب الوطن, ولكن ليس بطريقة "بن بوزيد" الذي جعل بتعليمته رفع العلم كل صباح وإنزاله في المساء "عقوبة" ينفر منها التلاميذ، ويصابون بالكآبة بمجرد رؤية الراية الوطنية التي ضحى من أجلها مليون ونصف المليون من الشهداء الأبرار.!

ثم هل حقا هذا الإجراء هو الطريقة الوحيدة لتحبيب التلاميذ في وطنهم، ورفع مستوى الوطنية في ألبابهم وقلوبهم, أم هو مجرد إجراء لتغطية الشمس بالغربال، وإخفاء الانحطاط التعليمي والتربوي الفاضح الذي عمّ مساحة كبيرة من المؤسسات التربوية في وطننا!؟

* جريدة البصائر العدد 327 .

وما فائدة رفع الراية الوطنية وإنزالها وقلوب أبنائنا فارغة من المعاني الحقيقية لحب الوطن, وهل يستطيع أحد أن يغرس هذه المعاني فتنمو كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها بعيدا عن التربية الإسلامية التي لا وزن لها ولا قيمة – للأسف– في منظومتنا التربوية!

أذكر في زيارة لي لإحدى المؤسسات التربوية الابتدائية سألت تلميذا صغيرا فقلت له:

-ماذا تتمنى أن تصبح في المستقبل عندما تكبر؟

أجابني بلا انتظار:

-أريد أن أصبح "برلمانيا"!

سألته متعجبا:

– لماذا برلمانيا بالذات..وليس معلما أو طبيبا أو مهندسا..؟

– أجابني:

– "حتى نَخْرج من الغرقة وندير الـــتاويل بسرعة "..!

إنها الوطنية، ولكن بشكل آخر، وطنية استتراف خيرات الوطن باسم الوطنية المزيفة..فيا أيها القائمون على المنظومة التربوية لا نريد أجيالا من نوع "روبو كوب" وإنما نريد "محمدا" و"أبا بكر" و"عبد القادر" و"عميروش" و"بلمهيدي"..!

الإمام بديع الزمان النورسي..العالم القرآني مُبْدِع رسائل النور*

الإمام الـــمرحوم بديع الزمان النورسي رجل رباني السريرة، ونوراني البصيرة، لا يقل أهمية عن رجال الإصلاح والكفاح الذين أنجبتهم هذه الأمة الـــمعطاءة في العصر الحديث من أمثال: جمال الدين الأفغـــاني ومحمد عبده وعبد الرحمن الكواكبي ورشيد رضا وعبد الحميـــد بـــن باديس وحسن البنا وأبي الأعلى الـــمودودي وغيرهم من رجـــالات الإسلام، الأئمة العظام، الذين سعوا في الأرض إصلاحا، بعد أن ظهر الفساد في البر والبحر، وتبدلت الأنظمة في الـــبلاد الإســـلامية غـــير الأنظمة الراشدة، وتقطعت أوصال الأمة الواحدة بالحدود التي صنعها الـــمستعْمِرُ الماكر، وارتضاها الـــمستعْمَرُ الخاسر، فيما بعد، حبا بلا حد، إذ عض الـــمغلوب عليها بالنواجذ، وسد الأبواب والنوافذ..!

إني لأعتبر الإسلام جامعة

للشرق لا محض دين سنه اللهُ

دستوره الوحي والـــمختار عاهله

والـــمسلمون–وإن شتوا– رعاياهُ

لقد واجه الإمام النورسي– رحمه الله – في حاضرة الخلافة العثمانيـــة "تركيا" أسباب السقوط التي ساهم فيها خصوم الإسلام بالحظ الأوفر،

---

* جريدة البصائر العدد 330 .

ومنهم رأس بدعة العلمانية في البلاد الإسلامية مصطفى كمال أتاتورك الذي اعتلى قمة الحكم على حين غفلة من أهل تركيا المخلصين، فألغى الأحكام الشرعية، وكل ما له علاقة بالدين الإسلامي وأعرافه، باسم التحديث والتجديد، ولكن "فرعون تركيا" لم يستقر به مقامه على عرشه الزائل حتى سمع كلمة الحق من إمامنا النورسي- رضي الله عنه - الذي كان يحمل في يده – بتوفيق من الله -"عصى" الحجة والبرهان، التي صنعها من غصن شجرة القرآن، فضرب بها بحر الكفر والإلحاد فانفلق، وبزغ النور من جديد في الأفق..

كان الإمام بديع الزمان النورسي وحده أمة قانتا لله، عاش للإسلام وبالإسلام، متخذا من القرآن زادا ومَدَدًا، ونجما يهتدي به في ظلمات الدنيا وسندا، وبه قاوم قوى الظلام التي اكتست بلباس الهوى التي اتخذته إلها من دون الله، فكان تشريده في المنافي سياحة وراحة، ومحاكماته الجائرة منبرا للدعوة والنصيحة، ورغم تضييقها كانت له فسيحة، وسجنه الطويل خلوة حلوة، فوفقه الله ليبدع في هذه المدرسة اليوسفية رسائل النور المشهورة التي تقَبَّلها المسلمون بقبول حسن، وبصَّرت الكثير من الناس في كل وطن.

يروي تلميذه الملا "حميد" ذكرياته عن شيخه الإمام النورسي عندما كان يقضي بعض أيامه مختليا على جبل "أراك" فيقول:" كنت أنشرح كثيرا عندما أصلي مقتديا بالأستاذ، كان قيامه للصلاة يزيد الإنسان رهبة وخشوعا، وكان يرشدنا إلى أن التسبيحات والأذكار عقب

الصلاة إنما هي بحكم نوى للصلاة وبذورها، وكان يسبح ويذكر الله بصوت رخيم حزين، فعندما يقول: سبحان الله..سـبحان الله..كنـا نسمعه يصدر على مهل من أعماق قلبه..إنني شخصـيا لم أر مثـل الأستاذ قط من يصلي ثم يسبح بهذا الخشوع والحزن، مع أنني رأيـت كثيرا من الشيوخ والعلماء..وعندما كان يقول:"لا إله إلا الله" ويبـدأ بالتسبيحات، ويستمر بها يصبح صوته كفرقعة الـمدافع في قوتـه وشدته".

وبينما كان النورسي مشغولا بتصفية نفسه، وتربية روحه، والتفكير في طريق الخلاص، إذ دعاه الشيخ "سعيد بيران" للاشـتراك في ثورتـه الـمسلحة ضد حكومة "أنقرة" المعادية للدين، فرفض النورسي رفضا قاطعا، وأجاب الشيخ "بيران" برسالة جاء فيها:

"... نحن مسلمون، والأتراك إخواننا، فلا تجعلوا الأخ يقاتل أخـاه، فهذا لا يجوز شرعا، إن السيف لا يُشهر إلا بوجه الأعداء الخارجيين، ولا يستعمل السيف في الداخل، إن السبيل الوحيد أمامنا للخلاص في هذا الزمان، هو القيام بإرشاد الناس إلى حقائق القرآن، وإلى حقـائق الإيمان، والقيام بمكافحة الجهل الذي هو أكبر أعـدائنا، لـذا أرى أن تصرفوا النظر عن محاولتكم هذه لأنها محكومة بالإخفاق إذ سـيهلك الآلاف من الرجال والنساء بسبب حفنة من القتلة والمجرمين"!.

وحين قرر الرجوع إلى مدينة "وان"، وتوجه إلى محطة القطار، وحوله طلابه وأصدقاؤه يودعونه، وبينما هم في الانتظار، إذ بـ "مصطفى

كمال أتاتورك "-بنفاقه ولؤمه- يفاجئ الجميع بالحضور للاشتراك في توديع النورسي، وهنا جرى نقاش حاد بينهما، بسبب بدء نصب تماثيل مصطفى كمال، فمما قال له بديع الزمان:

" إن هجوم آيات قرآننا العظيم إنما ينصب على التماثيل، أما النصب التي يجب على المسلمين إقامتها، فهي المستشفيات والمدارس وملاجئ الأيتام، والأقسام الداخلية للطلبة، ودور العبادة، وشق الطرق..".

رحم الله الإمام بديع الزمان النورسي الذي كان يرهب عدو الله وعدوه من العلمانيين في حياته، وبعد مماته، إذ لم يتركه الحكام العلمانيون يرتاح في قبره فنبشوه وأخرجوا رفاته الطاهر بعد حوالي ستة أشهر من وفاته، ودفنوه في مكان مجهول، ولكنه عند الله معلوم، وما عنده خير وأبقى..رحمه الله رحمة واسعة.

هكذا يجب أن يكون العلماء*

العلماء العاملون هم بجدارة واستحقاق ورثة الأنبياء والمرسلين، والأنبياء والمرسلون لم يتركوا درهما ولا دينارا، ولم يخلفوا وراءهم أموالا طائلة، ولا مناصب زائلة، بل وَرَّثُوا من بعدهم العلم النافع، والخلق الناصع، إذ يخشى اللهَ من عباده العلماءُ، وإن المخلوقات لتستغفر لهم في البر والبحر والسماء، ولكن- لعمر الحق - ليس كل العلماء سواء، فمنهم ظالم لنفسه ولغيره ولأمته، ومنهم مقتصد، ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله!

لقد أنجبت الجزائر المسلمة واحتضنت عبر العصور علماء ربانيين كانوا- ومازالوا - زينة لها، خلَّدوا ذكرهم - رغم محاولات التعتيم والتجهيل - بمواقفهم الجسورة التي سطروها على صفحات التاريخ برشحهم المعطر بمسك الإخلاص، وبدموعهم التي سالت من مآقيهم فَرَقًا على هذه الأمة ومستقبلها، وبدمائهم الغالية الزكية التي أرخسوها في سبيل الله، رَدًّا لطمعِ محتلٍّ غاشم، ودَفْعًا لضررِ عدوانٍ ظالم، ولسان حالهم يقول بكل شجاعة ما قاله عمرو بن كلثوم التغلبي في معلقته:

بأنَّـــا نُوردُ الراياتِ بيضاً

ونُصدِرُهنَّ حُمرًا قد روينا

---

* جريدة البصائر العدد 335 .

ومن هذا الصنف مِنَ العلماء العاملين المجاهدين الثائرين - على كثرتهم في جزائرنا الولود في كل العهود – أذكر للذكرى والاعتبار رجلين عظيمين هما الإمام سيدي بومدين شعيب (492-573هـ)، والإمام الشهيد العربي التبسي (1895 –1957) رحمهما الله رحمة واسعة.

أما الأول وهو الإمام سيدي بومدين شعيب - رحمه الله — الولي الرباني الصالح، والمجاهد العالم الناصح، فالكثير من الجزائريين- حتى الذين يزورون قبره للتبرك- يجهلون أن باب المغاربة، وحارة المغاربة تحديدا، في فلسطين، ترك بها أملاكا كثيرة، وأراض شاسعة، وقفا لله رب العالمين، وحوَّلها ورثته رسميا إلى وقف في 29 رمضان سنة 720هـ الموافق لـ3 نوفمبر 1320م، وسُجِّل ذلك في المحكمة الشرعية تحت رقم 194 صفحة رقم 365 لفائدة الحجاج من المغرب العربي، ويتكوَّن الوقف من 15 ألف هكتار في قرية عين كرم، وأراضيها التابعة لها، ومبانٍ في مدينة القدس مجاورة للمسجد الشريف، وحائط البراق...

وإلى جانب بذله أمواله وأطيانه لوجه الله لا طلبا لجزاء أو شكور، فقد شارك بنفسه- ليكون فعَّالا لا قوَّالا - مع القائد المسلم صلاح الدين الأيوبي في معاركه ضد الصليبيين الذين احتلوا بيت المقدس حيث قُطعَت ذراعه في إحدى معارك تحرير الأقصى، فدفنها في القدس

الشريف منتشيا غير آسف، وعاد إلى الجزائر بعد جهاد طويل ضد الصليبيين، وتجارة مع الله رابحة في فلسطين، وتوفي بتلمسان ودُفن بها.

وثاني الاثنين الإمام الشهيد العربي التبسي- رحمه الله -الذي جاهد بعلمه الواسع، وعمله النافع، وجاد بنفسه ونفيسه من أجل الإسلام والجزائر، ولم تفتر عزيمته الجهادية الصلبة بسبب ترغيب يسيل له لعاب الطامع هوانا، أو بسبب ترهيب يصير منه قلب الشجاع جبانا، ولو أراد لأكل من فوقه، ومن تحت رجليه، وما مسه من نَصَب أو لغوب، ولكنه اختار الآخرة مستقرا ومقاما على الأولى الفانية، وكأني به يُردد مع الإمام الشافعي -رحمه الله- قوله:

همتي هـــمة الملـــوك ونفســـي

نفس حر ترى المذلة كفـــرا

روى الرائد أحمد الزمولي عن صديقه المجاهد إبراهيم جوادي البوسعادي —كما نقل الأستاذ الدكتور أحمد عيساوي - أنه قال:" لقد كنت أنا وصديقي القبايلي في الفرقة العسكرية التي اقتحمت مترل الشيخ العربي ليلا في حي بلكور بقيادة الدموي ريمون "لاقايارد" وكنت أنا وصديقي هذا في تعداد فرقة الجيش الذين راقبوا العملية، واستمروا يشاهدون ما حدث للشيخ العربي, الذي بقي نزيلا في سجن ثكنة القبعات الحمر بالجزائر العاصمة طيلة ثلاثة أيام من غير طعام ولا شراب ولا لباس, وقد تكفل بتعذيبه الجنود السنغاليون،

والشيخ بين أيديهم صامت صابر محتسب لا يتكلم إلى أن نفذ صبر "لاقايارد".

وبعد عدة أيام من التعذيب جاء يوم الشهادة حيث أعدت للشيخ بقرة (برميل) كبيرة مليئة بزيت السيارات والشاحنات العسكرية والإسفلت الأسود، وأوقدت النيران من تحتها إلى درجة الغليان والجنود السنغاليون يقومون بتعذيبه دونما رحمة ,وهو صابر محتسب..ثم طلب منهم "لاقايارد" حمل الشيخ العربي, وكان عاري الجسد فحمله أربعة من الجنود السنغاليين, وأوثقوا يديه ورجليه، ثم رفعوه فوق البقرة المتأججة، وطلبوا منه الاعتراف وقبول التفاوض وتهدئة الثوار والشعب، والشيخ يردد بصمت وهدوء كلمة الشهادة: (لا إله إلا الله، محمد رسول الله)، ثم وضع من قديمه في البقرة المتأججة، فأغمي عليه, وكانت آخر كلمة تلفظ بها- رحمه الله- لا إله إلا الله محمد رسول الله، ثم أنزل شيئا فشيئا إلى أن أدخل بكامله فيها، فاحترق وتبخر وتلاش".[أنظر محاضرته المنشورة في كتاب (أشغال الملتقى الوطني الثالث للفكر الإصلاحي في الجزائر، طبع الجمعية الثقافية الشيخ العربي التبسي) ص 61] .

رحم الله الإمام سيدي بومدين شعيب المجاهد لنفسه، وعدو الله، وعدو المسلمين، الذي لم يعزله تصوفه الصحيح و لم يمنعه عن الاهتمام بأمر المسلمين وقضاياهم المصيرية، ورحم الله الإمام الشهيد العربي التبسي الذي جمع بين فصاحة البيان، وبلاغة السنان، و لم يحد عن

طريق الجهاد والتضحية من أجل عودة الجزائر عربية مسلمة حرَّة، لا تزاحمها في أرضها ضرَّة.

هل اغتيل الإمام عبد الحميد بن باديس؟*

شخصية الإمام عبد الحميد بن باديس، مؤسس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ورئيسها الأول، ورائد النهضة الجزائرية المعاصرة، شغلت الكثير من الباحثين، فدرسوا جوانب متعددة منها لشموليتها، وقوة تأثيرها في مرحلة تاريخية صعبة مرت في حياة الجزائر التي عانت من أصعب استعمار استيطاني عرفه العالم الإسلامي في العصر الحديث...

لقد تمكن الإمام المرحوم عبد الحميد بن باديس أن يزرع بذور الأمل الأولى في الجزائر رغم عظمة التحديات التي واجهته، فأعد أرضية التغيير والإصلاح وجهزها فأحسن تجهيزها، وقام بصناعة الحياة في أرض ملأها المستعمر الصليبي الحاقد بأسباب الموت والفناء، راميا في سيره ومسيرته إلى هدف أسمى من خلال إعداد جيل النصر المنشود، وأسود الوغى في ميادين الجهاد لتحرير البلاد والعباد، من ربقة الاستعباد...

ولكن بين الفينة والأخرى نسمع حديثا عن وفاة ابن باديس وما أحاط بها من غموض أو أقوال متضاربة، بحيث يذهب بعض من عاصروه إلى أن وفاته لم تكن طبيعية بسبب مرض ألم به، وإنما اغتيل بتسميمه، وقد قرأتُ من سنوات تصريحا لفضيلة الشيخ الباحث المؤرخ زهير الزاهري

* جريدة البصائر العدد 336 .

أكد فيه أن الإمام عبد الحميد بن باديس قُتل، وذكر – إن لم تخني الذاكرة – أنه يعرف الجهة التي قتلته..!

لقد سألتُ بعض مَن أعرفُ من تلاميذ الإمام ابن باديس، وأعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين القدامى، عن هذه المسألة، فأظهر بعضهم جهلهم لهذا الأمر، كما أنكر بعضهم الآخر واستبعد فكرة اغتيال الشيخ عبد الحميد بن باديس...

إن مسألة اغتيال الإمام عبد الحميد بن باديس غير مستبعدة، كما أن تأكيدها غير وارد لعدم توفر الأدلة القاطعة على ذلك، لكنني أظن أن أمر البحث في هذه المسألة مهم لأن هناك بعض القرائن توحي إلى إمكان حدوث عملية الاغتيال بالسّم "المتطور"، ولو أمكن البحث الجيد في تقارير المخابرات الفرنسية الموجودة في الأرشيف السري لتلك الفترة لظهرت خيوط حل هذه المسألة، خاصة وأن الإمام المرحوم عبد الحميد بن باديس كان اسمه موضوعا على قائمة الاغتيالات، بل وتعرض لمحاولة الاغتيال جهارا بيدٍ جزائرية شقية، وبأمر فرنسي من خلف الستار، إلا أن الله عز وجل نجاه، وأنقذه من موت محقق..!

وقد خلد هذا الحادث المرير أمير شعراء الجزائر محمد العيد آل خليفة شعرا بقوله:

وكـــادت يـــد الجاني العليوي تعتلي

يد الشيخ لولا الله أدركـــه لولا

فـــوافتك بالنصر العـــزيز طلائـــع

مباركـــة تترى من الـــملإ الأعلى

وحفت بروح القدس شخصك فانثنت

مـــصيبتُك الجـــلى كرامتَك المثلى

وإن أنس لا أنس الذين تـــظافـــروا

على الفتك بالجاني فقلتَ لهم :"مهلا"

لهذا وجب على الذين يملكون معلومات مهمة أو وثائق تاريخية تثبت حقيقة اغتيال الإمام عبد الحميد بن باديس —إن كان قد حدث ذلك– أن لا يحرموا المؤرخين الثقاة منها، وينشروها حتى لا تموت معهم كما ماتت كثير من الحقائق التاريخية مع أصحابها، ودُفنت معهم إلى الأبد!.

لكم الله أيها المستضعفون ![*]

الجزائريون البسطاء الفقراء كُثر في بلادنا الغنية بما حباها الله من النعم في البر والبحر والباطن، ورغم ذلك فهم يعانون في صمت قاتل، ويتجرعون الــــمر من كأس المشاكل المختلفة التي تخرج عليهم من كل حدب وصوب، دون أن يلتفت إليهم المترفون من مسؤولينا الذين شغلتهم أموالهم وأهلوهم عن أداء الواجب، وتغافلوا عن معاناة السواد الأعظم من الشعب الذي يحيا على الهامش، ولا يملك أبسط أسباب العيش المحترم..!

قديما كان أحد المسؤولين ممن يملكون الضمير الحي، ويخافون الله في رعيتهم يقول:" لو أن بغلة عثرت في أرض العراق لخشيت أن يسألني الله عنها: لِمَ لَمْ تسوِّ لها الطريق..!".

في ذلك التاريخ الذهبي كانت البغلة التي تعيش في دولة الحق والعدل تملك "**حقوقا**" لأنها نفس مخلوقة يخاف "المسؤول العادل" أن يُسأل عنها بين يدي ربه..أما اليوم ونحن نعيش في جزائر "حك تربح" لا يملك المواطن الجزائري الفقير الضعيف المحقور حقا واحدا من حقوق "البغال" في عهد الخلفاء الراشدين!.

حتى صدق فيه قول الشاعر:

---

[*] جريدة البصائر العدد 337 .

يمشي الفقير وكل شيء ضده

والنـــاس تـــغلق دونه أبوابها

وتراه ممقوتا وليس بـــمذنب

ويرى العداوة لا يرى أسبابها

حتى الكلاب إذا رأت رجل الغنى

حنت إليه وحركت أذنابـــها

وإذا رأت يوما فقيـــرا مـــاشيا

نبحت عليـــه وكشرت أنيابها

إنني لا أمزح عندما أُعَبِّر عن هذه الحقيقة الواقعة التي ليست لوقعتها كاذبة، فما معنى أن يعيش الجزائري في عصر الانترنت وهو لا يملك "بيت خلاء" خاص به لا يُزاحمه عليه أحد من الجيران، أو يضطر للوقوف في صف طويل لوُلُوجه، في حين أن غيره في الأمم الأخرى يتشوف للسكنى على ظهر المريخ..!

إن يوم المواطن الجزائري "الغلبان" يبدأ أوله بمشكلة، وينتهي آخره بمشكلة، وبين أوله وآخره تلاحقه مشاكل لا تحصى ولا تعد يعرفها فقط المستضعفون في الجزائر، أما الكبراء والأسياد فلم يجربوها وما اعتادوها، وهل يعرف الطاعم الكاسي الساكن بترف معنى الجوع والعري والضيق والقرف.. رحم الله رجلا ملك ذات يوم الدنيا كلها

مشرقا ومغربا، فقُدمت له قصعة مملوءة بأشهى الطعام، وكان الناس يعانون من المجاعة في ذلك العام، فقال :" أَوَكلٌّ الناس يأكلون هذا"؟ قالوا:" لا يا أمير المؤمنين "!قال:" أبعدوه عني، وقدّموه إلى الجائعين من الفقراء". فلما اشتد عليه الجوع، وأصدرت بطنه قرقرة سمعها مَن حوله من جلسائه خاطبها قائلا:"قرقري أو لا تقرقري فوالله لن تشبعي حتى يشبع المسلمون"!

وما أروع وصف شاعر النيل حافظ إبراهيم –رحمه الله– لبعض شمائل عمر الفاروق حين قال:

كم خفت في الله مضعوفا دعاك به

وكم أخــفت قويا ينثنــي تيــها

إن جاع في شـــدة قوم شاركتهم

في الجوع أو تنجلي عنهم غواشيها

جـــوع الـــخليفة والدنيا بقبضته

في الزهـــد منـــزلة سبحان موليها

أيها المسؤولون لا نريد منكم أن تجوعوا مع الجائعين فهذا أمر بعيد المنال، ولكن على الأقل اشبعوا ولا تنسوا أن تُشبِّعوا، فإن يوما صبحه يوم القيامة ينتظركم ووجب أن تفزعوا، فما أكثر الخصوم من الضعفاء الذين ليس لهم ناصر إلا الله فأعدوا للمسألة جوابا...نسأل الله الثبات والسلامة..!

الجانب العاطفي في المسلم*

قد يظن بعض الحافين من حول الإسلام دون تعمق وتوسع في بواطنه ومقاصده أنه دينُ تشَدُّدٍ وتنطع يميل إلى الحَجْرِ على مشاعر الناس وعواطفهم الطاهرة فيجعل منهم خُشُبا مسندة أو حجارة أو حديدا...

والحق أن الإسلام بريء من كل هذا، بل هو دين المرحمة والمحبة والمبرة، والعواطف الصادقة والمسرة، والمشاعر النبيلة التي تحرسها الفطرة السليمة بمعية الضوابط الربانية التي لا تخرج عن إطار ﴿ **وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَج** ﴾.

لقد فهم الإمام المرحوم عبد الحميد بن باديس هذه المعاني الجليلة، فكان رجل العاطفة الجياشة المقيدة بنظرات العقل الثاقبة المعتدلة الواقعية التي تستمد مرجعيتها من القرآن الكريم وسنة محمد- صلى الله عليه وسلم- الرحمة المهداة، والنعمة المسداة ...

وانظر معي إلى تصرف الإمام الشيخ عبد الحميد بن باديس في هذا الموقف الذي يدل على رجاحة عقله، وذوقه السليم، وحسن فقهه وتوجيهه.

---

* **جريدة البصائر العدد 338 .**

لقد نظم الشاعر المعروف الأستاذ جلول البدوي موشحا "غزليا" ...يقول شيخنا العلامة محمد الصالح الصديق :"ورأى أن مولودا مثل هذا يجب أن يرى النور، وأن وأده في درج المكتب أو بين الكتب والدفاتر جريمة أدبية لا تغتفر، ففكر في بعثة إلى صحيفة (الشهاب)- قبل أن تتحول إلى مجلة - ولكن كيف ذلك وصاحبها الإمام الشيخ عبد الحميد بن باديس!! فهل من الأدب والذوق أن يبعث إلى إمام في التفسير والحديث والفقه، موشحا في الغزل لينشره في صفحة تخدم الدين الوطن؟ ولكن طموح الشباب حكم حكمه الذي لا يرد ولا ينقض، فبعث بالموشح إلى الشيخ عبد الحميد مغفلا من العنوان، وما راع الشاعر إلا أن يرى موشحه منشورا في العدد الأول من الصحيفة وقد اختار له الشيخ عنوانا شاعريا يشف عن ذوقه الأدبي الممتاز، وعن روحه الخفيفة:" غزل عفيف في غزال ظريف"!.

وكان الإمام -رحمه الله- لا يتحرج من نشر ما يراه ظريفا لطيفا من روائع الوصف أو الغزل، فمن ذلك مساجلة أدبية بين الشعراء الثلاثة جلول البدوي وأحمد سحنون ومحمد العيد، وخلاصتها أنهم كانوا جلوسا في منتزه جميل بالعاصمة (الجزائر) فمرت أمامهم فتاة ساحرة اللفتات، تميس كالغصن الرطب، فحركت شاعريتهم فتفجرت بما يلي:

جلول بدوي :

وفتاة مرت بنا ذا صباحِ

تتثنـــى كأنها غصنُ بانِ

أحمد سحنون :

ثم ولَّت وما رثت لقلوب

شـــقتها بلحظها الفتانِ

محمد العيد :

قربت وصلَها القلوبُ ولكن

حالَ من دونها اختلافُ اللسانِ

جلول بدوي :

ربةَ الدل داركي أنفسًا حيـــ

رى تعاني من الضنَى ما تعانِي

لفتةً تُرجع الحياةَ إلى القلـــــــ

ـــــب وعطفًا يُعيد مَيْتَ الأماني

أحمد سحنون :

وارتشافا من خمر ريقك يطفي

ما بنا من لواعج الأشجانِ

وابتساما ينيـــر ظلمةَ نفـــسٍ

عُذبت بالصدود والهجرانِ

محمد العيد :

أحسني فالحسانُ في شرعة الآ

داب أولى الأنام بالإحسانِ

مـــلكَ الـــحسنُ أمرنا فأرانا

كيف يُبلى الإنسان بالإنسانِ

يقول شيخنا العلامة محمد الصالح الصديق : "ذكَّرت الأستاذ البدوي بهذه المساجلة فتهللت على وجهه بسمة عريضة وهو يقول: "إنها نفثة من نفثات الوجدان، ولمعة من لمع الشباب."أنظر كتاب:" الإمام عبد الحميد بن باديس من مواقفه وآرائه 170-172".

ليت المنتسبين إلى الإسلام يفقهون أن تجريد العواطف وتجريمها ليست نقطة قوة، وتزلف إلى الله، ففي الصحيحين أن النبي- صلى الله عليه وسلم- سُئل من أحب الناس إليه. قال:" عائشة "، وكان مسروق- رحمه الله - يقول إذا حدَّث عنها : "حَدَّثت الصديقة بنت الصديق حبيبة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- المبرأة من فوق سبع سموات"، وروى البخاري أن أبا هريرة -رضي الله عنه- قال: قبَّل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الحسن بن علي، وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالس، فقال الأقرع: إن لي عشرة من الولد ما قبَّلتُ منهم أحداً، فنظر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إليه ثم قال: "من لا يَرحم لا يُرحم".

أجل، فمن انتزعت من قلبه العواطف الطاهرة، والمشاعر النبيلة، لا يمكنه أن يرحم أو ليس أهلا لأن يُرحم!!!

" نيكولا ساركوزي " في ميزان النقد*

بوصول السيد نيكولا ساركوزي " Nicolas Sarkozy " اليميني الديغولي اليهودي من جهة الأم والجدين إلى أعلى هرم السلطة الفرنسية، يكون اليهود في أوروبا عامة، وأقليتهم في فرنسا خاصة، وبالأخص يهود "الكيان الصهيوني" في فلسطين المحتلة، قد وضعوا يدهم الأخطبوطية على أهم "معقل سياسي معتدل" أوروبي، وليس صعبا على "الصهيونية العالمية" أن تُحقق مثل هذا الانتصار، فهي تُحسن اللعب على رقعة الشطرنج السياسي بهدوء وذكاء ودهاء، ولكن الغريب حقا هو وصول ابن المهاجر (المجري) إلى قمة أعلى موقع لصنع القرار بفرنسا، في حين أن أبناء المهاجرين العرب تحسبهم أيقاظا وهم رقود، أو تُصدَّر للفاعلين منهم خلافات أوطانهم الأصلية ليصبحوا امتدادا لها في صراع القط والفأر بين هذه الجهة وتلك على حساب القضايا المصيرية للأمة، مما أدى إلى تشتتهم وضعف تأثير "العرب الفرنسيين" في الحياة السياسية الفرنسية رغم كثرة عددهم وتقادم وجودهم مقارنة بالأعراق الأخرى من المهاجرين.

لستُ من هُواة تبني عُقدة "نظرية المؤامرة" التي كثيرا ما نُبرر بها – نحن العرب–أخطاءنا الإستراتيجية، ولكن تدهور سمعة ما يسمى بـــ" إسرائيل" في الأوساط الشعبية الأوروبية التي أظهرته عملية سبر الآراء

* جريدة البصائر العدد 339 .

في السنوات الأخيرة وتعاطف أغلب الأوروبيين مع القضية الفلسطينية حركت اللوبي اليهودي لينشط بقوة سرا وعلنية في أوروبا ساعيا لتغيير هذا الوضع، وساعدهم في هذه المهمة القذرة انتشار ظاهرة "فوبيا الإرهاب الإسلامي" الذي أصبح العدو رقم واحد لدى الساسة الغربيين الذين يضربون على هذا الوتر الحساس لكسب الدعم الشعبي الغربي المرعوب، وتنفيذ المخططات الجاهزة للسيطرة على مقدرات الشعوب العربية والإسلامية من نفط ومعادن وغيرها، وتركيع كل دولة خارجة عن الصف تحاول امتلاك القوة التي تجعل منها دولة مرهوبة الجانب يُحسب لها ألف حساب عالميا..!

لقد وصل ساركوزي إلى رأس الهرم في فرنسا بفضل سنوات من العمل السياسي المدروس، والتخطيط الواعي، والدعم الإعلامي "اليهودي" الذي جعل منه نجما سياسيا لامعا، ورجل المهمات الصعبة الذي لا يُقهر، وأمل الجمهورية الفرنسية العظمى، كما أن الدعم المالي الكبير والمعنوي الذي تحصل عليه في حملته الانتخابية يؤكد أن وراء ساركوزي "جهات مالية وسياسية" قوية نافذة أرادته رئيسا لفرنسا دون غيره من المرشحين لحاجة في نفس يعقوب!

إن"ساركوزي" اليهودي الهوى والأصل القائل:(نحن..لم نعش "الهولوكوست" لنسمع بعد ستين سنة سؤالا حول اليهود في أوروبا، لا يستطيع أحد أن يلوم اليهود على تأييدهم لـــ "اسرائيل") هو أيضا أمريكي الهوى من عشاق الحياة الأمريكية كما يصفه بعض عارفيه،

ومؤهل لأن يكون من شركاء الساسة الأمريكيين في مشاريع سياسية استراتيجية عالمية تخدم طموحه السياسي، وغروره النفسي، وستجلب - هذه الشراكة مع الأمريكان التي تبدو تجلياتها واضحة في تصريحات الطرفين – متاعب أمنية إلى فرنسا كما حدث لبريطانيا، خاصة وأن البيت الفرنسي يختلف في تشكيلاته البشرية "العرقية" عن باقي البلدان الأوروبية..!

وفي مثل هذه الحالة تبقى"المعارضة القوية" من الأحزاب الفرنسية الفاعلة، ومن الشعب الفرنسي، وأبناء المهاجرين المنظمين في مؤسسات قانونية، وحدها صمام الأمان، وورقة ضغط ستفرض على "ساركوزي الرئيس" ألا يميل كل الميل إلى سياسة داخلية وخارجية تعتمد على العصا فقط، وتضيع الاعتدال الذي كانت تتميز به فرنسا - التي تملك "حق الفيتو" بمجلس الأمن - في عهد الرئيس شيراك، وربما تكون السيدة سيغولين روايال " Ségolène Royal " المرشحة الخاسرة في انتخابات الرئاسية أبعد نظرا عندما قالت أنها تخشى على مستقبل فرنسا إذا فاز نيكولا ساركوزي، لأنه يشكل «خطرا على مستوى تركيز السلطات والأساليب العنيفة والأكاذيب" فهل سيصدق حدسها السياسي أم هو تخوف في غير محله؟، الأشهر القادمة كفيلة بتقديم إجابة واضحة..!

...نريد نائبا برلـــمانيا بدرجة مواطن !*

الدخول إلى البرلمان في الجزائر ليس كالخروج منه، فالكثير من البرلمانيين السابقين دخلوا المجلس الشعبي الوطني خِماصًا فخرجوا منه بِطانا، في حين أن الذين صوتوا عليهم وكانوا سببا في إدخالهم البرلمان ازدادوا فقرا إلى فقرهم، وغزتهم الهموم والآفات، ولـــم يتغير وضعهم الاجتماعي الكارثي، بل وصل إلى مرحلة أصبح الصبر وشد الحزام و(البروتال) لا ينفع، فخزينة الدولة تزداد امتلاء –ولله الحمد– بفضل ارتفاع سعر البترول، وبطون غالبية الشعب تزداد خواء وقرقرة من شدة الجوع، ولا أحد يبكي على هذا الشعب بما في ذلك النواب ..!

قال الشاعر أحمد مطر:

إن كان البترول رخيصًا

فلماذا نقعد في الظلمة؟

وإذا كان ثمينًا جدًّا

فلماذا لا نجد اللقمة؟!

لقد علمتنا التجارب أن الذين يسعون لافتكاك عضوية البرلمان في هذه المرحلة الصعبة من حياة الجزائر لا يزيدون عن ثلاثة أصناف من الناس:

---

* **جريدة البصائر العدد 340 .**

- الصنف الأول هم المخلصون من الجزائريين، - وهم قلة قليلة جدا- يحاولون ولوج البرلمان للتغيير بنية صادقة والدفاع عن الشعب وقيمه الأصيلة وثوابته الراسخة، ولكن في الغالب لا يتمكنون من فعل شيء أمام أكثرية لا تملك من قاموسها اللغوي إلا كلمة (نعم) ولا تحسن من حركات الجسد إلا رفع "اليد" التي قال في شأنها ربُّ العزة مهددا ومتوعدا:﴿ **الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ** ﴾ **سورة يس الآية:65**، وقال أيضا: ﴿ **يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾ **سورة النور الآية:24**.

وروى ابن أبي حاتم بسنده عن أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال: كنا عند النبي- صلى الله عليه وسلم-، فضحك حتى بدت نواجذه، ثم قال-صلى الله عليه وسلم-:« أتدرونممّ أضحك؟» قلنا: الله ورسوله أعلم، قال -صلى الله عليه وسلم-:« من مجادلة العبد ربه يوم القيامة، يقول ربِّ ألم تجرني من الظلم؟ فيقول: بلى، فيقول: لا أجيز علي إلا شاهدًا من نفسي، فيقول: كفى بنفسك اليوم عليك حسيبًا، والكرام الكاتبين شهودًا، فيختم على فيه، ويقال لأركانه: انطقي فتنطق بعمله، ثم يخلى بينه وبين الكلام، فيقول: بعدًا لكن وسحقًا، فعنكن كنت أناضل» وقد رواه مسلم والنسائي (أنظر تفسير ابن كثير).

- والصنف الثاني هم الساعون وراء "الربح السريع" لأن من يدخل التجارة البرلمانية لا يخسر أبدًا، بل لا تحتاج هذه البزنسة إلى رأس مال، وإنما يكفي أن يدخل البرلمان فارغ اليدين ليصبح ثريا بعد خمس سنوات من الراحة والاستجمام في عطلة مدفوعة الأجر..!

- أما الصنف الثالث فهم أصحاب الثروة من مالكي المال، ولكن تنقصهم "الحصانة القانونية" ويبحثون عن النفوذ، فهم يسعون لدخول البرلمان حتى يجمعوا بين سلطة المال وسلطة المنصب السياسي..

لقد وصل الشعب الجزائري اليوم إلى درجة من الوعي بحيث أصبح من الصعوبة أن يتم خداعه بكلام معسول، أو بوعد مغفول، أو بمستقبل وردي مجهول..كما أصبح يفرق جيدا بين المتسلقين من مصاصي الدماء الجدد على جسده المنهوك، وبين من يسعى لخدمته بصدق لا يريد إلا مصلحة الشعب والوطن..!

إنني متيقن لو تُقْدِم الدولة على إلغاء الامتيازات المالية والمادية الأخرى التي تُعطى للنواب في البرلمان لاستقال أغلبهم، ولصعب إيجاد من يترشح لخدمة الشعب في قبة البرلمان!.

حاجتنا إلى مرجعيات دينية في الجزائر*

لقد عاشت الأمة الإسلامية مراحل تاريخية صعبة للغاية لعب فيها الاستعمار الأجنبي دورا مهما في إرباك مسيرتها الطبيعية نحو التقدم والازدهار والقوة.

بيد أن الله عز وجل قيض لهذه الأمة – التي حوصرت من جهات عدة – علماء دين حملوا مشعل الدفاع عنها، وما فرطوا في خدمتها وخدمة المسلمين، فكانوا سدا منيعا ضد كل مؤامرة وفتنة تولى كبرها خصوم الإسلام في الداخل والخارج !.

ولهذا فإن العلماء المخلصين هم صمام الأمان في كل بلد مسلم، ومرجعية الشعوب الإسلامية التي توجههم وتأخذ بأيديهم إلى بر السلامة، فإذا غابت أو غُيبت فقدت هذه الشعوب"البوصلة" التي تهديها إلى الطريق الصحيح..

والجزائر العربية المسلمة أنجبت رجالا كثيرين من العلماء العاملين المصلحين كانوا قادة عباقرة حاربوا الاستعمار والتخلف والجهل، ونشروا الوعي في أوساط أفراد شعبهم، ولم يريدوا من وراء ذلك جزاء ولا شكورا، اعتقادا منهم أنهم يؤدون واجبا فرضه الله عليهم، ولهذا قال الإمام عبد الحميد بن باديس– رحمه الله – في ندائه إلى علماء الجزائر:

---

* جريدة البصائر العدد **341** .

"...اعملوا للإسلام ولغة الإسلام والخير العام أكثر مما عملتم، فكل قرية وكل دشرة وكل نزلة تطالبكم بأن ترفعوا فيها كلمة الله وتبلغوها هدى محمد، صلى الله عليه وآله وسلم، كل مسلم وكل مسلمة يطالبكم بهدايته وإرشاده، وكل صبي وكل صبية يطالبكم بتربيته وإسعاده.

هذا لأنكم العلماء، وقد أخذ الله عليكم الميثاق بالبيان وعدم الكتمان، وأوعد الكاتمين بلعنة الله ولعنة اللاعنين، فاعملوا فأنتم رعاة الأمة وكل راع مسؤول عن رعيته.

إن جمعية العلماء تعمل لتهذيب المسلمين وترقيتهم في دائرة دينهم، وقد صار اسمها عنوانا على عقائد الإسلام وأخلاقه وآدابه وكل ما فيه من خير وسعادة للبشر، وقد تعلم ذلك كل من عرفها فوالاها عليه من والاها وعاداها من عاداها".(آثار الإمام عبد الحميد بن باديس6/ ص 356).

من أكبر الأخطاء التي وقع فيها المسؤولون الجزائريون بعد الاستقلال هو منعهم جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من النشاط مرة أخرى بقيادة المرجع الديني والوطني الكبير فضيلة العلامة الشيخ المرحوم محمد البشير الإبراهيمي، ولو أن الجمعية عادت في ذلك الوقت واستمر نشاطها الديني التنوير الدعوي إلى غاية اليوم لاستطاعت أن تُجَنِّب الجزائر كثيرا من المآسي والأحداث التي تسبب فيها- إلى جانب خصوم الدين والعربية- أصحاب الفكر السطحي غير الواقعي والتنطع

في الدين، وتولي مَن لا يملك الأهلية مواقع التوجيه والترشيد والفتوى وقيادة الجماهير..!

نحن بحاجة في الجزائر إلى مرجعيات دينية بـــحجم ابن باديس والإبراهيمي والميلي والعقبي والتبسي وغيرهم من العلماء الذين خرجوا من رحم الجزائر المعطاءة، وليس على الله بعزيز أن تنجب أرضنا الطيبة أمثالهم إذا حسنت النيات، وصدق العزم، وتحرك المخلصون في هذا الاتجاه، فبمثل هؤلاء العلماء الربانيين ستحفظ الجزائر ماضيها، وتعيش حاضرها، وتبني مستقبلها.

ذكرى احتلال القدس...ثم ماذا بعد ؟*

القدس مدينة أنشأها وسكنها "اليبوسيون" من شعب كنعان في الألف الثالثة قبل الميلاد، وهاجرت إليها مجموعات مختلفة من الأجناس فعاشت في أرضها المباركة كما تدل الحفريات الأثرية.

وقد تعرضت القدس عبر العصور للغزو والتخريب على يد "الفراعنة" و "اليهود" و" الآشوريين " و"البابليين" و " الفرس" و"اليونان" و "الرومان" إلى أن دخلها المسلمون فاتحين صلحا عام 636م زمن الخليفة عمر بن الخطاب – رضي الله عنه–، فبقيت القدس مدينة للسلام تحت ظل الخلافة الإسلامية إلى أن جاء اليوم الذي احتلها فيه الصليبيون المتوحشون الذين أسالوا دماء سبعين ألف إنسان في أرض القدس، واستمر وجودهم في هذه البقعة المباركة قرابة تسعين عاما إلى أن حررها القائد المسلم صلاح الدين الأيوبي –رحمه الله–، وأعادها إلى حضن الدولة الإسلامية مرة أخرى بعد تضحيات غالية، وبطولات نادرة، وعقب الحرب العالمية الأولى وإلغاء الخلافة الإسلامية استولى البريطانيون على فلسطين، وقد وقف يومها اللورد البريطاني اللنبي أمام قبر صلاح الدين في دمشق ليقول له:" ها قد عدنا يا صلاح الدين"، فسهَّل البريطانيون للصهاينة تأسيس دولتهم التي قامت على شطر منها سنة 1948 بعد مجازر نفذتها عصاباتها الهمجية الإرهابية في حق سكان

* جريدة البصائر العدد 343 .

فلسطين، وفي مطلع سنة 1950 أعلن رئيس وزراء الكيان الصهيوني الإرهابي بن غريون بأن القدس عاصمة الدولة العبرية، واكتمل سنة 1967 الاحتلال اليهودي بضم ما تبقى من الأراضي الفلسطينية وعلى رأسها مدينة القدس.

واليوم تمر علينا نحن العرب والمسلمين الذكرى الأربعون لسقوط مدينة القدس بعد هزيمة حرب الأيام الستة سنة 1967م، والعجيب أن العرب بعد كل هذه الهزائم والنكسات والنكبات لم يتعلموا شيئا، وعوض أن يفهموا سر سقوطهم، ويتعلموا من أخطائهم، ويسترجعوا أراضيهم المنهوبة، فقد ازدادوا سقوطا و لم يسترجعوا شيئا، بل ضيعوا العراق، وضيعوا ما تبقى من كرامتهم التي مرغتها أمريكا وإسرائيل في الوحل.

لقد استطاعت المقاومة الإسلامية بعتاد متواضع وعدة قليلة أن تسترجع الأرض التي احتلها الكيان الصهيوني في جنوب لبنان عندما رفعت شعار "الجهاد" باسم الإسلام، فكان القرآن في مواجهة التوراة المحرفة، وأظهرت هذه المواجهة أن التجارب الماضية في هذا الصراع التي رُفعت فيها شعارات القومية الفارغة من روح الإسلام لم تكن مؤهلة للوقوف ندا أمام قوة عسكرية يدين أفرادها بالولاء لليهودية فقط، إذ كيف يُعقل أن ينتصر في ميدان المعارك جندي عربي يصبح ويمسي على أغاني عبد الوهاب وأم كلثوم وعبد الحليم على جندي يهودي يصبح ويمسي على ترانيم التوراة...

إن مدينة القدس بعد أربعين سنة من احتلالها تتعرض لمؤامرة صهيونية تسعى لتهويدها وطرد العرب المسلمين منها حتى تكون لهم خالصة من دون أهلها وذلك بـــ:

1 – انتزاع أملاك الفلسطينيين غصبا في مدينة القدس وتدمير منازلهم، بل حتى بيت المقدس يتعرض لمؤامرة هدمه بافتعال الحفريات تحته للبحث عن هيكل سليمان المزعوم.

2 – تكثيف عمليات الاستيطان في القدس وما حولها.

3 – إعادة تشكيل خريطة مدينة القدس عن طريق الجدار الذي أخذ من أراضيها قطعا كبيرة، وشوه وجهها، وضيق الخناق على سكانها الأصليين.

إن قضية فلسطين بشكل عام لن يحلها "غصن الزيتون" ما دام الاحتلال الصهيوني يحمل في يده الرشاش، وصدق الإمام الشيخ الإبراهيمي- رحمه الله- عندما قال في مقال بعنوان:(تصوير فاجعة فلسطين) نشره في جريدة البصائر العدد 5 :" أيها العرب، إن قضية فلسطين محنة امتحن الله بها ضمائركم وهممكم وأموالكم ووحدتكم، وليست فلسطين لعرب فلسطين وحدهم، وإنما هي للعرب كلهم، وليست حقوق العرب فيها تُنال بأنها حق في نفسها، وليست تنال بالهوينى والضعف، وليست تُنال بالشعريات والخطابيات، وإنما تُنال بالتصميم والحزم، والاتحاد والقوة.

إن الصهيونية وأنصارها مصممون، فقابلوا التصميم بتصميم أقوى منه، وقابلوا الاتحاد باتحاد أمتن منه.

وكونوا حائطا لا صدع فيه

وصفًّا لا يُرقَعُ بالكسالى"

ديمقراطيةُ كِذبة أفريل...! *

الديمقراطية العربية تشبه إلى حد كبير "كذبة أفريل" التي يمارسها بعض الناس في أول من أفريل، فيكذب أحدهم كذبة يصدقها بعض المغرر بهم، ولكن بعد ذلك تتضح أنها مجرد "كذبة" في يوم الكذب، أو قل إن شئت في:" عيد الكذب ".!

أصبح ضربا من الخيال أن تكون هناك ديمقراطية حقيقية في الدول العربية ما دام على رأسها أقوام لا يؤمنون إلا بوجودهم، ولا يرون للآخر وجودا، ولا يتوقعون موتا -بعد عمر طويل- إلا وهم جالسون على كراسي الحكم حتى وإن أدى ذلك إلى خراب البلاد وموت العباد..!

لقد أصبحت الشعوب العربية يائسة وهي تعيش حياة ديمقراطية مغشوشة في ظل سلطات "جبرية " تحيا بقمع كل تجربة ديمقراطية رائدة بشتى الوسائل لأنها تدرك جيدا أنه إذا أعطيت حرية الانتخاب للشعوب العربية المستضعفة بعيدا عن سموم التزوير فإن الغالبية الساحقة سترفض بقاء "الديكتاتورية" و"التسلط" و "الفساد" وستختار الإسلام منهج حياة رغم محاولات تشويه صورته، وتخويف الناس منه!

إن المؤامرة على خيار الشعب الفلسطيني في "سجن فلسطين الكبير (الضفة وغزة)" بدأت واضحة في الأيام الأولى من حياة التجربة

---

* جريدة البصائر العدد 344 .

الديمقراطية التي عاشها الفلسطينيون بشكل مفاجئ، فالقوى الكبرى في العالم لم يسعدها أن تفرز صناديق الانتخابات انتصار "حماس" بالأغلبية التي لم تكن متوقعة البتة، ولهذا سعت الولايات الأمريكية المتحدة راعية الإرهاب الصهيوني بمباركة الاتحاد الأوروبي وبعض الدول العربية وجماعات المصالح المافيوية فيها إلى عرقلة هذا الإنجاز، ومحاصرة أول حكومة فلسطينية منتخبة شرعيا حتى تسقط قبل أن تخطو خطواتها الأولى، وقد عانى الشعب الفلسطيني جراء هذا الاختيار الحر من أزمات ومشاكل مفتعلة عقابا له، وتحذيرا مبطنا لكل الشعوب العربية التي تحلم بأن يكون اختيارها سيدا في عمليات الانتخاب إن وجدت بدون تزوير طبعا!!!

الغرب "الديمقراطي" لا يؤمن بالديمقراطية خارج أراضيه خاصة في البلاد العربية والإسلامية لأنه يدرك جيدا أن أي تغيير عن طريق الممارسة الديمقراطية الحقة، سينتج عنها سقوط أقوام تابعين له يخدمونه بإخلاص يصدق فيهم المثل القائل:" أظلم الناس من ظلم لمنفعة غيره"، ولهذا فهو يقبل بالديكتاتورية عوض الديمقراطية ما دام أن مصالحه الإستراتيجية محفوظة ولا تتعرض للتهديد والخطر..!!

فهل يُصَدِّق أحدٌ فرية أن أمريكا جاءت إلى العراق -الذي دمرته وأعادته إلى الوراء قرونا – من أجل نشر الديمقراطية بين أهله، إنها كما قلتُ من قبل كذبة أفريل التي ينشرها "عرب أمريكا" المارقين، ويصدقها الضعفاء والمنهزمون حضاريا رغم أنوفهم...!

إن الديمقراطية الحقيقية قادمة يوما ما إلى البلاد العربية ولكن الذين سيصنعونها هم الشعوب الواعية وذلك حين يحررون أنفسهم من قيود "الجبرية" و "المافيا السياسية" التي علت في الأرض و لم تجد من يقول لها "كفاية"، فعن عبد الله بن عمرو، قال:سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:" إذا رأيتم أمتي تـــهاب الظالم أن تقول له إنك أنت الظالم فقد تُوُدِّعَ منهم".(مسند أحمد 6234) وصدق الإمام الشافعي حين قال:

إذا ما ظالم استحسن الظلم مذهباً

ولج عتواً فـــي قبيـــح اكتسابـــه

فكله إلى صرف الليالـــي فإنهـــا

ستدعو له ما لم يكن في حسابـــه

فكم قد رأينـــا ظالمـــاً متمـــرداً

يرى النجم رتيهاً تحت ظل ركابه

فعما قليلٍ وهـــو فـــي غفلاتـــه

أناخت صروف الحادثات ببابـــه

وجُوزي بالأمر الذي كان فاعلاً

وصب عليه الله ســـوط عذابـــه

من مبادئ سماسرة الأدب والثقافة*

من أيام الشاعر الحلولي "الحلاج" إلى أيامنا هذه مع رواية "أولاد حارتنا" للأديب المصري الراحل "نجيب محفوظ"، وغيره من أدباء هذا العصر الذين يكتبون بالعربية ولكنهم غير متشبعين بالقيم، وأهم خصوصيات عقيدتنا الغراء يُطعن فيها تحت شعار "حرية الإبداع الأدبي" في كثير من الأحيان...

ولست أدري لماذا لا يوصف النص الأدبي بالقوة والعمق عند ثلة من النقاد والأدباء إلا إذا خرج صاحبه عن أصول العقيدة، وأطلق العنان للفلسفة المتأثرة بالخرافات الإغريقية واليونانية والمادية ليصبح الإله بين عشية وضحاها مجرد أسطورة توظف للتنكيت والهزل، أو من أجل نشر إيديولوجيات مضادة إرباكا للنظام التصوري العقدي الصحيح لدى عموم أفراد المجتمع، وخصوصا منهم النخبة المثقفة.

إنني مع حرية الإبداع حتى الثمالة، لكن إذا تحول إلى وسيلة يتنفس من خلالها الهدم الفكري، واللغو العقلي، فإنه مرفوض ومنبوذ ولا كرامة...

وأعتقد أن النقد الأدبي في هذه الحالة يتجشم المسؤولية العظمى في تصنيف كل من الأعمال الأدبية ذات الطرح البناء، والنهج السليم، والمراعية لقواعد الجمال سواء من حيث الشكل

---

* جريدة البصائر العدد 345 .

والمضمون...والخربشات التي تقدم على أنها "أعمال أدبية" وهي في الحقيقة لا تساوي مثقال ذرة من خردل عند أهل الصناعة الأدبية الراسخين.

وأجد نفسي مضطرا إلى فضح ظاهرة قديمة جديدة أضحت عادة تُستعمل كمطية لنيل الشهرة الأدبية بالمجان، وارتقاء القمة بسرعة البرق دون قطع للأشواط العديدة ، ودون جهد جهيد أو تعب شديد، وتساهم هيئات إسلامية وإعلامها في إشهار أصحابها بردود أفعال غير مدروسة من حيث لا تدري في كثير من الأحيان، وهي ظاهرة الطعن والمهاترة بالمقدسات عقيدة أو أخلاقا ... ولعل الذين فعلوا – وربما الذين سيفعلون – ذلك، هم من العاملين مبدئيا بالحكمة القائلة: "خالف تعرف..!

إن عدالة "النقد" إذا أخطأت اليوم هؤلاء السماسرة في ميدان الأدب والثقافة، فليعلموا أن عدالة التاريخ والسماء لهم بالمرصاد ولو بعد حين.

متى نكتب تاريخا على مقاس الحقيقة ؟![*]

لا يستطيع الإنسان–كما يقول الأستاذ حسن عثمان – أن يفهم نفسه وحاضره دون أن يفهم الماضي، ومعرفة الماضي تكسبه خبرة السنين الطويلة، والتأمل في الماضي يبعد الإنسان عن ذاته ، فيرى ما لا يراه في نفسه بسهولة من مزايا الغير و أخطائه ، ويجعله ذلك أقدر على فهم نفسه، وأقدر على حسن التصرف في الحاضر والمستقبل بعد أن يأخذ الخبرة والعظة من الماضي.(أنظر:**"منهج البحث التاريخي"**).

لقد أصبح كل شيء يسير بالمقلوب عندنا في الجزائر...كأننا أمة شاذة ليست كباقي الأمم...وإلا كيف نفسر محاولات إسكات شخصيات تاريخية شاركت في صنع تاريخ الجزائر الحديث عن الإدلاء بشهادتها وعن الكلام المباح بين الحين والآخر...

فإذا لم يتكلم صانعوا تاريخ الجزائر الحديث ومعاصروه ليسمع أجيال الاستقلال منهم مباشرة فمن ذا الذي يحق له أن يتكلم بصوت مسموع...ومن يجوز له أن يروي ماض مصنوع؟!.

وما أحسن قول الشاعر حين أنشد:

المرء ما دام حيا يُستهان به

ويعظم الرزء فيه حين يُفتقدُ

---

[*] **جريدة البصائر العدد 346 .**

نحن الجزائريين- خاصة جيل الحرية- عشنا ردحا من الزمن نقرأ ونسمع عن ثورة نوفمبر "المقدسة" من اتجاه واحد لا شريك له، وقد صدق فينا المثل العربي القديم القائل:" الناس أتباع من غلب "...أفلا يحق لنا أن نقرأ لاتجاهات أخرى ونسمع منها، لها مشاركتها وإسهامها ورؤيتها في أحداث صنعت تاريخ الجزائر المعاصر؟!.

ولماذا بعد مُضي ما يزيد عن نصف قرن من اندلاع ثورة نوفمبر ووجود كثير من مفجريها الأشاوس والمشاركين فيها- الذين يتخطفهم المنون في صمت يوما بعد يوم في الآونة الأخيرة - يتوخى بعض الناس بتبريرات مختلفة الهروب من مناقشة أحداث ومواقف — أحبوا أم كرهوا — هي جزء لصيق بثورة قام بها بشر غير معصومين يخطئون ويصيبون؟!.

تُسائل عن حُصين كل رَكب

وعند جُهينة الخبر اليقينُ

إن تاريخ الجزائر ليس ملكا خالصا لشخص أو هيئة أو مؤسسة أو حزب أو طائفة أو اتجاه معين من دون الجزائريين...بل هو ملك وحق للأمة الجزائرية كلها، ولا يعقل أن يعمد بعض الذين قد يخشون الحقيقة لحاجة في نفس يعقوب إلى وضع كثير من حقائقه في "بنك خاص" لا يجوز استخراجها إلا بعد توقيعهم.!

في سنوات قريبة ماضية عندما تكلم الرئيس الجزائري السابق السيد" أحمد بن بلة " عن " عبان رمضان "- غفر الله لنا وله- قال بعض خصوم الأول ومقدسي الثاني :" إن بن بلة يتكلم من منطلق الجهل والضغينة" وعندما تكلم السيد"بن طوبال" قال بعض المعلقين الذين صمتوا طويلا:" إن بن طوبال قد كبر وأصابه الخرف"...

إذا كان هؤلاء وأشباههم من صناع تاريخ الثورة والمشاركين الفعليين في أحداثها وتقلباتها –اتفقنا معهم أم اختلفنا - يوصفون بهذا النعت، ويتهمون في شهادتهم دون الاتكاء على دليل أو قرينة مقنعة ، فمن أي منبع نروي ظمأنا المعرفي التاريخي، ولمن نسمع ، وكيف نكتب تاريخنا ...اللهم إلا إذا تطوعت فرنسا العجوز و تطوع أذيالها لكتابة تاريخنا فهذا شيء آخر..!

إن التاريخ هو مجموعة أحداث ومواقف وأفعال وأقوال يرويها صانعوها ومعاصروها...والمؤرخون الموضوعيون الأكفاء هم وحدهم الذين لهم حق مناقشة ما يُروى من تاريخ بعيدا عن أي ميل أو انحراف، وعلينا أن نسعى دائما -كما يقول الإمام المرحوم الشيخ عبد الحميد بن باديس– " لنخدم الحقائق التي هي كل شيء والتي هي فوق كل معنى" (آثار الإمام ابن باديس الجزء 6 ص 243).

دعاة وسطية لا دعاة غلو أو تسيب*

يتميز المنهج الإسلامي ويمتاز عن سائر المناهج الأخرى بأنه منهج رباني وسطي معتدل لا يقبل الإفراط كما لا يقبل التفريط، خالٍ من الغلو والتقصير، متوازن في عقيدته وشريعته وأخلاقه وعبادته. فكانت أمة محمد -صلى الله عليه وسلم- أمة الوسطية التي هدتها إلى الاستقامة فنالت الخيرية، قال تعالى:﴿ **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا**﴾ **سورة البقرة الآية:143**، وقال عز وجل: ﴿ **اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ، صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ** ﴾ **سورة الفاتحة: 6-7**، وقال أيضا: ﴿ **كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ** ﴾ **سورة آل عمران الآية: 110**.

لقد ابتلي الإسلام في عصرنا هذا بفئتين من الدعاة أساؤوا إلى الدين الإسلامي من حيث لا يعلمون، فزادوه رهقا، وحملوه من أثقال الهموم ما هو في غنى عنها بالأخص وأن قذائف خصومه الأذكياء تُرمى نحوه من كل جانب لعلهم يصيبونه في مقتل، ولكن الله، عز وجل، دائما يجعل كيدهم في نحرهم، ويحفظ دينه وشريعته!.

* جريدة البصائر العدد 347 .

أما الفئة الأولى من هؤلاء الدعاة فهم الذين اتخذوا من التنطع مذهبا، ومن التشدد طريقة يعرضون بها الإسلام حتى شوهوا وجهه الحسن وشكله الجميل، والغلو دائما لا يأتي بخير، ولهذا حذر النبي -صلى الله عليه وسلم- من انتهاج طريق الغلو والتنطع الذي سار فيه أهل الكتاب من اليهود والنصارى، فقال:" إياكم والغلوَ في الدين، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين" أخرجه أحمد وابن ماجه. وأرشد أتباعه إلى ترك التشدد، ودعا إلى التيسير فقال:" إن الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا، وأبشروا، واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة" متفق عليه.

قال الإمام ابن حجر-رحمه الله-: قوله:("فسددوا" أي ألزموا السداد وهو الصواب من غير إفراط ولا تفريط). وقال في قوله:"ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه"(أي: لا يتعمق أحد في الأعمال الدينية ويترك الرفق إلا عجز وانقطع فيُغلَب..).كما أنه-صلى الله عليه وسلم- توعد الغلاة المتنطعين بالهلاك، فقال:" هلك المتنطعون" قالها ثلاثا. أخرجه مسلم. قال الإمام النووي –رحمه الله-:("المتنطعون": المتعمقون المشدِّدون في غير موضع التشديد). وقال أيضا: ("هلك المتنطعون" أي: المتعمقون الغالون المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم).

ولما علم الصادق المصدوق -عليه الصلاة والسلام-بأن أناسا من أصحابه عزموا على هجر النساء وعدم الزواج، وترك النوم وقيامه كله بالصلاة، ومواصلة الصوم، غضب وتبرأ من هذا الغلو والتشدد الذي

ما أنزل الله به من سلطان، فقال: "والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، ولكني: أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني" متفق عليه.

والفئة الثانية هم الدعاة المتسيبون باسم التيسير والعصرنة الذين يحاولون عرض الإسلام كما يريده الآخرون وترتضيه شهواتهم، والأصل أن ينقاد الناس لما تدعو إليه الشريعة لا أن تنقاد هي لهم اتباعا لأهوائهم حتى يرضوا:﴿ **أَرَأَيْتَ مَن اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا**﴾ **سورة الفرقان الآية:43** .

والحق أن الإسلام دين تيسير كما قال تعالى:﴿ **وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ** ﴾ **سورة الحج الآية:78**، وأحكامه في الأصول الثابتة محكمة البناء، صالحة لكل زمان ومكان، لأن الذي وضعها رب الأرض والسموات وخالق الإنسان، وهو أعلم بما يصلح له ويصلحه، يقول الإمام الشاطبي -رحمه الله- في (الموافقات):" إن الشريعة جارية في التكليف لمقتضاها على الطريق الوسط العدل الآخذ من الطرفين بقسط لا ميل فيه، فإذا نظرت إلى كلية شرعية فتأملها تجدها حاملة على التوسط والاعتدال ورأيت التوسط فيها لائحا، ومسلك الاعتدال واضحا، وهو الأصل الذي يرجع إليه، والمعقل الذي يلجأ إليه"، أما مساحة الأحكام الفرعية أو الجزئية فهي أوسع بحيث يستطيع المسلم أن يختار منها القوي الصالح لعصره ومصره.

إن الإعراض عن هذه الوسطية -كما يقول الشيخ يوسف القرضاوي- هو الهلاك بعينه، والضياع في الدين والدنيا معا. إذا كان هذا الإعراض جنوحا إلى جانب التسيب والانفلات، وهو جانب التفريط والتقصير، بـــإضاعة الصلوات، واتباع الشهوات، والسير في ركاب شياطين الإنس والجن، وباعة الفجور، ومروجي الإلحاد والانحلال، ودعاة المادية المجحفة، والإباحية المسرفة: فهلاك هؤلاء محتم وفق سنن الله تعالى: ﴿ **كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلَاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلَاقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ** ﴾ **سورة التوبة الآية: 69.**

قال الإمام ابن القيم —رحمه الله- في (مدارج السالكين) (496/2):" **وما أمر الله بأمر إلا وللشيطان فيه نزغتان: إما إلى تفريط وإضاعة، وإما إلى إفراط وغلو، ودين الله وسط بين الجافي عنه والغالي فيه كالوادي بين جبلين والهدى بين ضلالتين والوسط بين طرفين ذميمين، فكما أن الجافي عن الأمر مضيع له فالغالي فيه مضيع له هذا بتقصيره عن الحد وهذا بتجاوزه الحد...**".

فما أحوجنا إلى اتباع الصراط المستقيم، صراط أهل الوسطية والاعتدال الذين أنعم الله عليهم، غير المغضوب عليهم ولا الضالين.

مهاجرُ "أم قيس" في ركب الدعوة..! *

لم يكن المسلمون الأولون في بداية الدعوة الإسلامية يملكون شيئا مذكورا من القوة المادية التي تؤهلهم إلى أن يقفوا في وجه المشركين الذين حاربوهم وحاربوا الدين الجديد بكل ما أوتوا من قوة على اختلافها بلا هوادة..!

بيد أن القوة المعنوية التي كان يملكها المسلمون من سلفنا الصالح كفلت لهم حق البقاء والتقدم نحو غايتهم إلى أن وصلوا وانتصروا من بعد ما ظلموا، وأسسوا بعد ذلك أعظم حضارة – بدون مبالغة – لم تخدم المسلمين فقط، بل خدمت الإنسانية جمعاء.

لقد استطاع "إخلاص" سلفنا الصالح فيما مضى أن يصنع المعجزات، وأن يحول الهزائم إلى انتصارات، فقد كان الواحد منهم يستنشق عبير الإخلاص الصافي في كل خطوة يخطوها في سبيل الله، وما خدموا ذواتهم على حساب الدعوة، وما استوسلوا الإسلام ودعوته لنيل غنيمة، ويا لها من جريمة!

بل آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم، فنالوا أعظم درجة عند الله.

فقد أخرج النسائي في سننه بإسناد صحيح عن شداد بن الهاد–رضي الله عنه–أن رجلاً من الأعراب جاء إلى النبي–صلى الله عليه وسلم–

---

* جريدة البصائر العدد 349 .

فآمن به واتبعه ثم قال:" أهاجر معك" فأوصى به النبي –صلى الله عليه وسلم– بعض أصحابه، فلما كانت غزاة غنم النبي –صلى الله عليه وسلم– فقسم وقسم له – أي للأعرابي – فأعطى أصحابه ما قسم له، وكان — أي الأعرابي– يرعى ظهرهم–أي إبلهم–، وما يركبون من دواب، فلما جاء دفعوه إليه، فقال:" ما هذا؟" قالوا:" قسم قسمه لك النبي –صلى الله عليه وسلم–" فأخذه فجاء به إلى النبي–صلى الله عليه وسلم–فقال:"ما هذا؟" قال:(قسمته لك)، قال الأعرابي: "ما على هذا اتبعتك، ولكن اتبعتك على أن أرمى هاهنا – وأشار إلى حلقه– بسهم فأموت فأدخل الجنة"، فقال النبي –صلى الله عليه وسلم–: (إن تصدق الله يصدقك)، فلبثوا قليلاً ثم نهضوا إلى قتال العدو، فأتي به النبي –صلى الله عليه وسلم– يحمل قد أصابه سهم حيث أشار فقال النبي –صلى الله عليه وسلم–:(أهو هو؟) قالوا: نعم، قال:(صدق الله فصدقه)، ثم كفنه النبي –صلى الله عليه وسلم– في جبته، ثم قدمه فصلى عليه، وكان مما ظهر من صلاته:(اللهم هذا عبدك خرج مهاجرًا في سبيلك فقتل شهيدًا، أنا شهيد على ذلك).

وقال ابن قتيبة في عيون الأخبار: إن مسلمة (أحد قادة المسلمين) حاصر حصناً، فندب الناس إلى نقب منه فما دخله أحد، فجاء رجل من عرض الجيش فدخله ففتحه ففتح الله عليهم، فنادى مسلمة:"أين صاحب النقب؟" فما جاءه أحد فنادى:"إني قد أمرت الآذِنَ بإدخاله

ساعة يأتي فعزمت عليه إلا جاء" فجاء رجل فقال:"استأذن لي على الأمير".

فقال له: " أنت صاحب النقب؟. قال: " أنا أخبركم عنه".

فأتى مسلمة فأخبره عنه فأذن له فقال له: " إن صاحب النقب يأخذ عليكم ثلاثاً: ألا تسودوا اسمه في صحيفه إلا الخليفة، ولا تأمروا له بشيء، ولا تسألوه ممن هو".

قال: "فذاك له".

قال: "أنا هو".

فكان مسلمة لا يصلي بعدها صلاة إلا قال:" اللهم اجعلني مع صاحب النقب".

ولهذا كان الإمام سفيان الثوري -رحمه الله- يقول:"ما عالجت شيئاً أشدّ عليَّ من نيتي لأنها تتقلب عليَّ في كل حين".

وكان أيوب السختياني-رحمه الله- إذا حدَّث بحديث النبي - صلى الله عليه وسلم- يشتدُّ عليه البكاء وهو في حلقته، فكان يشدُّ العمامة على عينه ويقول: ما أشدَّ الزكام.. ما أشدَّ الزكام..

وقال أبو حازم -رحمه الله-:"لا يحسن عبدٌ فيما بينه وبين ربه إلا أحسن الله ما بينه وبين العباد، ولا يعوِّر ما بينه وبين الله إلا أعور الله ما بينه وبين العباد، ولمصانعة وجه واحد أيسر من مصانعة الوجوه كلها".

وهذا داود ابن أبي هند- رحمه الله- صام أربعين سنة ما علم به أهله

..كان له دكّان يأخذ طعامه في الصباح فيتصدق به، فإذا جاء الغداء أخذ غداءه فتصدق به، فإذا جاء العشاء تعشى مع أهله. وكان- رحمه الله- يقوم الليل أكثر من عشرين سنة ولم تعلم به زوجته.

إن الذي يفتح جامع صحيح الإمام البخاري - رحمه الله — سيجد أنه افتتح كتابه بالحديث المشهور الذي يرويه عمر بن الخطاب-رضي الله عنه- قال: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول:(إنما الأعمال بالنيّات، وإنما لكل أمريءِ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها، أو امرأة ينكحها، فهجرته إلى ما هاجر إليه)، إشارة من البخاري إلى أهمية إخلاص النية في الأعمال والأقوال والأحوال.

قال الإمام ابن تيمية -رحمه الله- في الفتاوى (22- 218) : (وقول النبي -صلى الله عليه وسلم- :"إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها، أو امرأة يتزوجها، فهجرته إلى ما هاجر إليه"، مراده بالنية النية التي في القلب دون اللسان باتفاق أئمة المسلمين الأئمة الأربعة وغيرهم.

وسبب الحديث يدل على ذلك فإن سببه أن رجلا هاجر من مكة إلى المدينة ليتزوج امرأة يقال لها:(أم قيس فسمى مهاجر أم قيس).

قال الحافظ ابن حجر في الفتح (1/ص24) :"ونقل ابن دحية أن اسمها قيلة بقاف مفتوحة ثم تحتانية ساكنه".

يقول سماحة الشيخ عبد الرحمن شيبان في سانحته المعنونة بـــ"منهاج جمعية العلماء في الإصلاح والثورة" المنشورة في البصائر العدد 336: (ولعل العنصر الأكثر تأثيرًا في نجاح جمعية العلماء في دعوتها والنهوض بالشعب نحو الكمال، إنما هو إخلاص علمائها العاملين في دعوتهم وأعمالهم، عملا بقول رسول الله –صلى الله عليه وسلم- فيما رواه الشيخان البخاري ومسلم –عليهما رحمة الله- واللفظ لـــمسلم عن عمر بن الخطاب –رضي الله عنه- قال:"سمعت رسول الله يقول:" إنما الأعمال بالنية... ".

وهو ما جسمه الإمام ابن باديس –رحمه الله- في حياته العملية، وعبر عنه في خطابه الذي ألقاه بمناسبة الاحتفال العظيم الذي حضرته وفود وافدة من كل أرجاء الجزائر المقام بقسنطينة سنة 1357هـــ - 1938م احتفاء بختمه تفسير القرآن الكريم –تدريسًا-، وذلك في معرض ذكر من كان لهم الفضل عليه في تكوينه العلمي والعملي، وهم: والده، ومشايخه، وإخوانه العلماء، ثم الأمة التي قال في شأنها:"ثم الفضل لهذه الأمة الكريمة المعوانة على الخير، المنطوية على أصول الكمال، ذات النسبِ العريق في الفضائل، والحسب الطويل العريض في المحامد".

"هذه الأمة التي ما عمِلْتُ يومًا —عَلم الله– لإرضائها لذاتها، وإنما عملت، وما أزال أعمل، لإرضاء الله بخدمة دينها ولغتها؛ ولكن الله سدَّدها في الفهم، وأرشدها إلى صواب الرأي، فتبينت قصدي على وجهه، وأعمالي على حقيقتها، فأعانت، ونشطت، بأقوالها، وأموالها، وبفلذات أكبادها؛ فكان لها بذلك كله من الفضل في تكويني العملي أضعاف ما كان لتلك العناصر في تكويني العلمي".

"ثم الفضل، أولا وأخيرًا، لله، ولكتابه الذي هدانا لفهمه، والتفقه في أسراره، والتأدب بآدابه.

وإنّ القرآن الذي كوَّنَ رجالَ السَّلف، لا يكثُرُ عليه أن يُكَوِّن رجالاً في الخَلف، لو أُحْسنَ فهمُهُ وتدبُّرُه، وحُمِلتْ الأنفُسُ على منهاجه".

إن الداعية المرائي —كما يقول الداعية الشيخ المرحوم محمد الغزالي في كتابه (مع الله) – يقترف جريمة مزدوجة، إنه في جبين الدين سُبَّة متنقلة وآفة جائحة، وتقهقُرُ الأديان في حلبة الحياة يرجع إلى مسالك هؤلاء الأدعياء، وقد رُويت آثار كثيرة تفضح سيرهم وتكشف عقباهم، والذي يحصي ما أصاب قضايا الإيمان من انتكاسات على أيدي أدعياء التدين لا يستكثر ما أعد لهم في الآخرة من ويل..والعمل الخالص الطيب –ولا يقبل الله إلا طيبا– هو الذي يقوم به صاحبه بدوافع اليقين المحض وابتغاء وجه الله، دون اكتراث برضا أو سخط، ودون تحرٍّ لإجابة رغبة أو كبح رغبة.

فما أحوج الدعاة في عصرنا إلى أن يتحسسوا أحوال سلفنا الصالح، ويتتبعوا خطاهم في سيرتهم ومسيرتهم حتى ينجحوا كما نجحوا، ويلقوا الله –عز وجل– وهو عنهم راض.

المسلم الرسالي بين التلقي والتنقي والترقي*

زرتُ فضيلة الشيخ الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي- حفظه الله- في غرفته بالفندق الذي جمعنا نحن المشاركين في الملتقى الفكري الدولي الثاني المنعقد في مدينة قسنطينة، يومي 11 – 12 ربيع الثاني 1427هـ/ 10 – 9 ماي 2006 م، بمناسبة إحياء الذكرى الخامسة والسبعين لتأسيس جمعية العلماء، والذكرى السادسة والستين لوفاة مؤسسها العلامة الإمام المرحوم الشيخ عبد الحميد بن باديس، وكان برفقتي أخي الأستاذ المحامي طارق بن شين، فسألتُ الشيخ البوطي هذا السؤال الذي لطالما أرقني وما يزال:

- لماذا مناهجنا التربوية والتعليمية في الجامعات والمعاهد الشرعية غير قادرة – في الغالب – على تخريج علماء دين يجمعون بين العلم الواسع وزكاة النفس، برأيك أين يكمن الخلل؟

- فأجابني الشيخ –حرفيا- قائلا:

"هذه المشكلة موجودة وقائمة، لا في الجزائر فقط، بل موجودة في كثير من البلاد العربية والإسلامية، أيضا، علاجها لا يكمن في أن نضع مقررات تربوية روحانية، تنمي الوجدان الديني، كما قد يخيل للبعض، لأن هذا المقرر نفسه سيصبح أيضا واحدا من المقررات العقلانية، فأي مقرر يدرس ما بين الطالب والأستاذ سيكون غذاء للعقل، وسيحظى

* جريدة البصائر العدد 350 .

به الفكر..العلوم الشرعية المختلفة –طبعا– هذا هو سبيلها..لكن تربية الطلاب التربية الوجدانية بأن نجعل قلوبهم عامرة بمحبة الله ومخافته وتعظيمه، هذا يعتمد على حال يتصف به مدرس المقررات، عندما يكون أستاذ التفسير يتمتع بحال يهيمن على قلبه، هذا الحال تصل عدواه إلى الطلاب، لكن عندما يكون الأستاذ غير متمتع بهذا الحال، حتى ولو وضعنا نماذج في التصوف، والتربية والتزكية، فإن القيل والقال لا يفعلان شيئا، لأننا يمكن أن نقرر "الرسالة القشيرية" و "قوت القلوب" وغيرها على طلاب الجامعة، فالرسالة القشيرية عندما يدرسها إنسان عقلاني يشرح عبارة ويلقنها للأفكار، نفس النتيجة، هي زيادة عبءٍ للأفكار...دعك من الرسالة القشيرية وقوت القلب وغيرها، أَوجد أساتذة يتمتعون بحال مع الله –عز وجل–، متأثرين، قلوبهم صافية من الشوائب، عندما يقف أحدهم ليعلم الطلاب، فإن كلماته وعباراته تسري إلى قلوبهم وفيها وهج، فسبب هذا الظمأ، وهذه الحاجة أن المدرسين لا يتمتعون بهذا المعنى الذي أشرنا إليه".

– قلت له:

لماذا المتخرج من الجامعة والمعهد الشرعي يفقد التميز الذي كان يتمتع به عالم الدين في الماضي؟

– فأجابني قائلا:

" لأنه نتيجة لجامعة تلقى دروسه فيها من أناس عقلانيين، مشاعرهم جافة، فلم يجد مرشدا صاحب حال، يغرس بين جوانحه هذه المشاعر

الوجدانية، فيطلع أمره بهذا الشكل، لو أتيح له أن يتلقى التربية من عالم رباني يمكن أن يصبح إنسانا متميزا، وإن لم يتسن له ذلك، فهو يحفظ بعض الآيات، وقطعة من الأحاديث، ويجمل نفسه برواياتها...يعني مهنة...أي أصبح العلم عند هؤلاء وظيفة أو مركزا اجتماعيا، فالمسألة سببها أن جامعاتنا تعاني من هذه الثغرة ".

حقا، إن إخلاص التعليم والتعلم أصبح مفقودا في غالبية الأساتذة وطلبة العلم، ولم يعد التعليم وطلب العلم كما كان في زمن سلفنا الصالح يُبتغى بهما وجه الله واليوم الآخر، فالأستاذ أصبح اليوم صاحب مهنة لا فرق بينه وبين أصحاب المهن الأخرى، لا يحيا لرسالة ولا يبذل جهدا في سبيل نشر نور العلم خارج مؤسسته أو بعد أوقات العمل الرسمي فيها، وأما الطالب فيتعلم من أجل دنيا يصيبها أو منصب رفيع يناله، فبمجرد أن ينال الشهادة يهجر القلم والأوراق والكتب، ويعيش بأمرين: علم قليل يُنسى مع مرور الأيام، ومعلومات قديمة لا تُجدد أبدا، وفوق هذا وذاك، لا يعمل بما تعلم، وهذه هي الطامة الكبرى، ورحم الله والدة الإمام سفيان الثوري التي نصحت ولدها فقالت له:" يا بُني لا تتعلم العلم إلا إذا نويت العمل به، وإلا فهو وبال عليك يوم القيامة ".

هكذا كان نهج سلفنا الصالح في طلب العلم يتعلمون مخلصين من أجل العمل لأنهم كانوا أصحاب رسالة هادفة بناءة في هذه الحياة التي ما نسوا أبدا أنها فانية، وما عند الله خير وأبقى، ولهذا يروى أن الإمام

شقيق البلخي –رحمه الله – سأل تلميذه الإمام حاتم الأصم –رحمه الله – قائلا: منذ متى صحبتني؟ فقال التلميذ: منذ ثلاثة وثلاثين سنة ...

فقال الشيخ: فماذا تعلمت مني في هذه الفترة؟ !

قال التلميذ: ثماني مسائل ...قال الشيخ : إنا لله وإنا إليه راجعون، ذهب عمري معك، و لم تتعلم إلا ثماني مسائل؟ !

قال التلميذ: لم أتعلم غيرها ولا أحب أن أكذب ..

فقال الشيخ: هات ما عندك لأسمع!

قال التلميذ:

الأولى : إني نظرت إلى الخلق فرأيت كل واحد يحب محبوبا فإذا ذهب إلى القبر فارقه محبوبه فجعلت الحسنات محبوبي فإذا دخلت القبر دخلت معي .

الثانية: إني نظرت إلى قول الله تعالي:﴿ **وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنْ الْهَوَى، فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى** ﴾ فأجهدتُ نفسي في دفع الهوى حتى استقرت على طاعة الله.

الثالثة : إني نظرت إلى هذا الخلق فرأيت أن كل من معه شيء له قيمة حفظه حتى لا يضيع ثم نظرت إلى قول الله تعالى:﴿ **مَا عِنْدَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ** ﴾ فكلما وقع في يدي شيء ذو قيمة وجهته لله ليحفظه عنده.

الرابعة: إني نظرت إلى الخلق فرأيت منهم من يتباهى بماله أو حسبه أو نسبه ثم نظرت إلى قول الله تعالى:﴿ **إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ** ﴾ فعملت في التقوى حتى أكون عند الله كريما.

الخامسة: إني نظرت إلى الخلق وهم يطعن بعضهم في بعض، ويلعن بعضهم بعضا، وأصل هذا كله الحسد، ثم نظرت إلى قول الله عز وجل:﴿ **نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا**﴾ فتركت الحسد، واجتنبت الناس، وعلمت أن القسمة من عند الله، فتركت الحسد عني .

السادسة : إني نظرت إلى الخلق يعادي بعضهم بعضا، ويبغي بعضهم على بعض، ويقاتل بعضهم بعضا، ونظرت إلى قول الله تعالى:﴿ **إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا** ﴾ فتركت عداوة الخلق، وتفرغت لعداوة الشيطان وحده.

السابعة: إني نظرت إلى الخلق فرأيت كل واحد منهم يكابد نفسه ويذلها في طلب الرزق حتى أنه قد يدخل فيما لا يحل له، ونظرت إلى قول الله عز وجل:﴿ **وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا**﴾ فعلمت أني واحد من هذه الدواب، فاشتغلت بما لله عليّ، وتركت ما لي عنده.

الثامنة : إني نظرت إلى الخلق فرأيت كل مخلوق منهم متوكل على مخلوق مثله، هذا على ماله، وهذا على ضيعته، وهذا على صحته،

وهذا على مركزه، ونظرت إلى قول الله تعالى:﴿ **وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ**﴾ فتركت التوكل على الخلق، واجتهدت في التوكل على الله.

رحم الله سلفنا الصالح الذين تلقوا فتنقوا فترقوا.

ماذا وراء صفقة الأسلحة الأمريكية؟!*

أعلنت واشنطن عن عزمها بيع أسلحة عسكرية- بقيمة 13 مليار دولار لمصر، و20 مليارا للسعودية- رغم اعتراض بعض النواب الديمقراطيين الذين يرون في الرياض أنها نظام رجعي مساند للمقاومة في فلسطين وبالذات حركة المقاومة الإسلامية حماس- و30 مليارا لإسرائيل الحليف المدلل.

ومن المتوقع أن تستفيد دول خليجية أخرى بأسلحة تقدر بنحو 20 مليار دولار، وتشمل الصفقة تزويد هذه الدول الحليفة لواشنطن بأنظمة دفاع مضادة للصواريخ وأنظمة رادار للإنذار، إضافة إلى وسائل دفاعية جوية وبحرية وإنتاج الأسلحة للتصدير، من خلال الموردين العشرة الرئيسيين للبنتاغون، ("نورثورب"، "ماكدونيل ــ دوغلاس" ، "غرومان" ، "ليتون"، "جينيرال إيليكتريك"، "ريتيون"، "فورد موتورز"،"هيوز"، "لوكهيد"، "تيكسترون") من أهم النشاطات التجارية التي تجلب الأرباح الطائلة، ويكون الساسة الأمريكيين في الغالب من المنتفعين، وهنا تظهر حقيقة العلاقة بين السياسة ومؤسسات إنتاج الأسلحة.

وتعد هذه الصفقة في هذا التوقيت- إلى جانب العامل التجاري الربحي- محاولة أمريكية لخلق قوة ضاربة تستهدف بالدرجة الأولى

---

* جريدة البصائر العدد 351 .

إيران التي ترى فيها واشنطن التهديد الحقيقي لمصالحها في المنطقة بعد سقوط نظام صدام حسين الذي كان ورقة ضغط في يد الأمريكان مسلطة على الجمهورية الإسلامية الإيرانية قبل أن يتحول هذا النظام المزاجي إلى تهديد واضح لما يسمى بالإمبريالية الغربية بعد غزو الكويت، وقذف الكيان الصهيوني بالصواريخ، كما أن المقاومة الشريفة في العراق، وحزب الله في لبنان، وسوريا مستهدفون من خلال هذه الصفقة المشبوهة، وهذا ما أشارت إليه دون تورية وزيرة الخارجية الأميركية "كوندوليزا رايس" في تصريحات سابقة- تناقلتها بعض الوسائل الإعلامية- بأن مبيعات بلادها من هذه الأسلحة ستساعد على استتباب الأمن في العراق وحفظ الاستقرار بالمنطقة، مؤكدة أن أميركا تعمل على تقوية القدرات الدفاعية لحلفائها وأن هذه الأسلحة ستدعم "الدول المعتدلة" وتساعد على "إستراتيجية مواجهة تنظيم القاعدة وحزب الله اللبناني وسوريا وإيران".

ويظهر التناقض الأمريكي جليا من خلال زيارة "كوندوليزا رايس" برفقة وزير الدفاع الأمريكي للتسويق للأسلحة المدمرة وللسلام والديمقراطية في نفس الوقت، مما جعل منسق الحكومة الألمانية للعلاقات مع الولايات المتحدة "كارستن فويت" يقول منتقدا: "إن الخطوة الأميركية تناقض خطابات واشنطن التي تقول فيها إنها تريد دعم الديمقراطية في الشرق الأوسط، مضيفا "أشك بقوة في أن يكون هذا القرار مناسبا فعلا للحد من نفوذ إيران في المنطقة".

وأضاف قائلا: "قبل بضعة أشهر عندما ذهبت إلى واشنطن، قالوا لي إن المشكلة الرئيسية بالنسبة إلى أمن الأميركيين في المنطقة تكمن في غياب الديمقراطية (..) والآن يتم تسليم أسلحة إلى دول مثل السعودية".

وتابع فويت "يمكنني أن أفهم أن البعض في ألمانيا وأوروبا وحتى في الولايات المتحدة يجدون تناقضا بين خطاب الأمس في ما يتعلق بالحرية وممارسة اليوم القائمة على تجهيز أنظمة غير ديمقراطية بالأسلحة الثقيلة".

لقد ظهر واضحا أن الولايات الأمريكية المتحدة تعاني من صعوبات جمة في الشرق الأوسط وفي منطقة الخليج وبالأخص في العراق-وهذا ما جعل مجلس الأمن في نيويورك يتجه بوحي من البيت الأبيض إلى إقرار وثيقة أميركية بريطانية لتوسيع الدور الأممي بالعراق- إذ لم تعد واشطن قادرة على مواجهة التحديات التي تهدد مصالحها ومصالح حليفها " السيد " الكيان الصهيوني بمفردها بنفس القوة المعروفة بها على الأقل أيام الحرب الباردة وبعد سقوط الإتحاد السوفياتي، ولهذا هي تكتفي الآن بصناعة " الروبوت " المجهز بأسلحة متطورة ليخوض الحروب نيابة عنها ليموت غيرها وتحيا هي لتحصد على أنقاض الآخرين الخيرات والمكاسب المتنوعة، دون أن تسيل قطرة دم واحدة من جندي أمريكي واحد.!

إن هذه الأسلحة التي سيشتريها العرب " المعتدلون " علـــى حســـب وصف"كوندوليزا رايس" وهذا الوصف تهمة في حقهم وفضيحة، إما أنها ستوجه نحو الهدف الخطأ"إيران" أو المقاومة الشريفة خاصة الـــتي تستهدف الكيان المزروع في فلسطين، وإما سيأكلها الصدأ بعد طول تخزين في المستودعات، وفي الحـــالتين الـــرابح الوحيـــد إمبراطوريـــة الشر"الولايات الأمريكية المتحدة " وكما يقول المثل الجزائري الشعبي " الله يكثر النوايا باش يعيشو الحيليين".

مع الجرح النازف "فلسطين":
ضاعت "الأمانة" حين وُجدت "الخيانة" ! *

بعد سبات عميق، وصمت طويل، يخرج علينا هذه الأيام دعاة التطبيع من بني جلدتنا منادين بإجراء مفاوضات السلام مع الكيان الصهيوني المزروع ظلما وعدوانا في فلسطين تحت رعاية إمبراطورية الشر" أمريكا" ، وقد ظننا أن الحوادث الماضية- خاصة انتصار حزب الله على الجيش الصهيوني الإرهابي- علمتهم أن "السلام مع إسرائيل" كذبة سوداء لا يمكن أبدا تصديقها، وتصديق من يروج لها في أسواق النخاسة العالمية حيث تُباع المبادئ والكرامة والشرف بثمن بخس دراهم معدودات!

أويعقل بعد قطع أشواط طويلة في عملية السلام المزعومة بين الفلسطينيين والصهاينة خاصة، وبين الأعراب والصهاينة عامة، وفشلها أمام قوة الخيانة الإسرائيلية، وصمود الأحرار من أبناء الأمة الإسلامية المقاومين لكل أشكال التطبيع، يريد بعض "الفاشلين الطامعين" أن يعيدونا إلى الوراء لنبدأ من الصفر ونحمل غصن الزيتون، والنتيجة واضحة وهي جني المزيد من الضعف، والانقسام، و"السراب" الذي يحسبه بعضهم ماء!!!

* جريدة البصائر العدد 353 .

لقد أضاع العرب فلسطين، ليس لأن عدوهم اليهودي كان قويا لا يقاوم، بل ضُيعت "الأمانة" حين وُجدت "الخيانة"، وفي هذا المعنى يقول العلامة المرحوم الشيخ محمد البشير الإبراهيمي في مقال له بعنوان "فلسطين واليهود" : "من التزوير على التاريخ أن يقال إن اليهود احتلوا فلسطين بالقوة العسكرية كما يحتل القوي الغالب أرض عدوه الضعيف المغلوب، ألا إن كلمة الحق التي يقف الواقع بجنبها شاهدا لا يكذب هي أن ملوك العرب وزعماءهم المتحكمين في مصائرهم المنفذين لإرادة المستعمر هم الذين سلموا فلسطين لليهود سائغة هنية، وحققوا للإنجليز غايتهم وما شرطه اليهود عليهم من تسليم فلسطين فارغة من العرب كما تسلم الدار المبيعة فارغة من السكان، فاصطنعوا لذلك التسليم المقرر وسائل وأعذارا من التخاذل والمشاكسات بين القادة العسكريين حتى تم الأمر بذلك التسليم المهين، وكل ذلك تم وفق خطة مدبرة متصلة الحلقات من الإنجليز وأعوانهم منا في مقابلة نفع مادي شخصي زائل، ومناصب مضمونة لعدة رجال من العبيد باعوا قومهم بتلك الوظائف، ومازلنا نراهم رأي العين يتقلبون في تلك الوظائف الذليلة، وينفذون أغراض الاستعمار ويدافعون عنها، وقد حنّ لهم الدهر فنالوا ما نالوا". (آثار الإمام الإبراهيمي 393/4 نشر دار الغرب الإسلامي).

لقد استطاعت إسرائيل بمساعدة قوى الاستكبار أن تزرع الخونة في أماكن حساسة من جسد هذه الأمة لتصنع منهم قادة يتحدثون باسمها،

ويتخذون قرارات خطيرة تستهدف استئصال روح المقاومة فيها، وتقوية أسباب الضعف والهزيمة في أركانها، فكم من "إليا كوهين" موجود في مواقع صنع القرار في البلاد العربية يضع عليه عباءة "محمد" و"علي" و، و، و؟!

و"إليا كوهين" وما أدراكم ما "إليا كوهين" سأتلو عليكم منه ذكرا لمن لا يعرف هذه الشخصية المتكررة، لأن التاريخ حقا في كثير من الأحيان والأحوال يعيد نفسه!

في الخمسينيات من القرن الماضي، وبعد متابعات "الموساد" للتطورات السياسية الحاصلة في البلاد العربية، بالأخص في مصر وسوريا، توقع أن يصل حزب "البعث" إلى الحكم، وسيكون سفير سوريا في الأرجنتين "أمين الحافظ" من المرشحين الأقوياء لتولي السلطة، لهذا سارع "الموساد" إلى إرسال "إليا كوهين" تحت اسم "كامل أمين ثابت" ليتغلغل في أوساط الجالية السورية هناك على أساس أنه مهاجر سوري، وبدأ ينشط بقوة وينفق الأموال بلا عدد في مشاريع لصالح الجالية، وتقرب من "أمين الحافظ" الذي تولى الحكم بعد ذلك، فدخل "كامل أمين ثابت" دمشق، ونسج علاقات كثيرة مع كبار القادة والسياسيين، وكان مرشحا لمنصب وزاري، ويقال أنه كان يطمح للرئاسة، وقد استطاع أن ينقل أخبارا سياسية وعسكرية استراتيجة هامة إلى إسرائيل، ولولا اكتشاف حقيقته بالصدفة بعد "الخربطة" في البث في الوقت المخصص للسفارة الهندية، لأصبح "كامل أمين ثابت" أو

بالأحرى "إليا كوهين" قائدا عربيا من صُناع القرار، والنتيجة بعد ذلك معروفة !!!.

إن أي محاولة لبيع فلسطين لليهود تحت أي مسمى هي خيانة لله ولرسوله وللأمة جمعاء، لأن فلسطين ليست للبيع، وليست ملكا لفرد أو جماعة أو سلطة، بل هي أرض إسلامية مقدسة حق شرعي لكل من يقول " لا إله إلا الله، محمد رسول الله" "**ولنقلها صريحة مجلجلة يفسرها العمل: لا فائدة لنا من الصخرة والأقصى بدون القدس، ولا فائدة لنا من القدس بدون فلسطين، فالثلاثة واحد وليس الواحد ثلاثة،فإذا قبلنا هذا وقرنّاه بالتصميم وعرف اليهود تصميمنا أقلعوا عن غيهم وقالوا ما قال أسلافهم }إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ{**...» (فلسطين: مواقف الإمام الإبراهيمي.رقم 1.عالم الأفكار.ط1.الجزائر 2006.ص: 88).

سيد قطب بعد واحد وأربعين عاما:
شعلة إيمانية مضيئة في سماء الفكر الإسلامي*

الرجولة الخالدة مواقف ثابتة لا تُبدل بسبب ترغيب أو ترهيب، حرصا على المبادئ التي يعتنقها المرء عن إيمان أرسخ من الجبال الرواسي.

لقد خرج من رحم الأمة الإسلامية الولود رجال كثيرون صدقوا ما عاهدوا الله عليه فما باعوا مبادئهم من أجل دنيا فانية يصيبوها، ولكنهم اختاروا الموت بشرف المؤمن على حياة يُركع فيها ويُسجد للباطل من دون الله ليلا ونهارا، عيانا جهارا، ولو فعلوا كما فعل الركَّع السجود من سماسرة المبادئ لأكلوا من تحتهم ومن فوقهم وما مسهم من لغوب..!

وسيد قطب -رحمه الله-، العالم الرباني، والأديب الموسوعي، والكاتب الرسالي، والمفكر الأحوذي، والمفسر المتميز، واحد من قمم الرجال، وأفذاذ الأبطال، الذين عاشوا للمبادئ وما بدلوا تبديلا، وقاوموا الباطل في أعلى مراحل صولته وجبروته، ورخصوا نفوسهم التي بين جنوبهم في سبيل الله إيمانا منهم أن ما عند الله خير وأبقى، ورغم أن الباطل غيب جسد "سيد" ظلما وعلوا، إلا أنه فشل في أن يُغيب فكره المسبح بعظمة الله وحمده، وروحه الطاهرة التي ما تزال تُرفرف بين قلوب الملايين من المسلمين الذين يقرؤون تفسيره الرائع " في ظلال

* جريدة البصائر العدد 354 .

القرآن"، ويتلون سيرته العطرة العامرة بمواقف الإباء والشموخ في أدق اللحظات صعوبة وحبل المشنقة في العنق..!

ولد سيد قطب إبراهيم حسين الشاذلي، في قرية "موشة" وهي إحدى قرى محافظة أسيوط بتاريخ 9 / 10 / 1906 .

وتلقّى دراسته الابتدائية في قريته، ثم سافر إلى القاهرة، والتحق بمدرسة المعلمين الأوّلية سنة 1920، ونال منها شهادة الكفاءة للتعليم الأوّلي. و حصل على شهادة البكالوريوس في الآداب من كلية دار العلوم سنة 1932، وعمل مدرسا حوالي ست سنوات، وعُين في وزارة المعارف بوظيفة "مراقب مساعد"، واختار سيد قطب حزب الوفد، وكان يضم وقتذاك الكاتب العملاق عباس محمود العقاد وزملاءه من كتاب الوفد، وتوطدت الصلة بينه وبين العقاد حتى أصبح سيد قطب من كبار تلامذته.

سافر سيد قطب سنة 1948 في بعثة علمية من وزارة المعارف للتخصص في التربية وأصول المناهج بأمريكا، وعاد سنة 1950 ليعمل بمكتب وزير المعارف إلا أنه تم نقله أكثر من مرة حتى قدم استقالته 1952.

ومنذ سنة 1953 التحق سيد قطب عمليا بحركة الإخوان المسلمين، وعمل محررا بجريدة "الإخوان المسلمين" وكُلف بإلقاء أحاديث

ومحاضرات إسلامية. كما مثّل الإخوان خارج مصر في سوريا والأردن اللتين مُنع من دخولهما، ثم القدس.

وفي سنة 1954 اعتقل سيد قطب مع مجموعة كـــبيرة مـــن قـــادة "الإخوان المسلمين". وحُكم عليه بالسجن لمدة (15) سنة. ولكـــن الرئيس العراقي عبد السلام عارف تدخّل لدى الرئيس المصري جمـــال عبد الناصر، فتم الإفراج عنه بسبب تدهور حالتـــه الصـــحية ســـنة 1964.

وفي سنة 1965 اعتقل مرة أخرى بتهمة التآمر لقلب نظام الحكـــم واغتيال جمال عبد الناصر، وقد صدر حكم الإعدام في حق سيد قطب بتاريخ 21 / 8 / 1966 وتم تنفيذه بسرعة في فجر الاثـــنين 13 جمادى الأولى 1386 هـــ الموافق لـــ29 أغسطس 1966 قبل أن يتدخّل أحد من قادة العرب ويتوسط للعفو عنه!!

وهاهي ذكرى سيد قطب تمر علينا بعد سنين طويلة وما زال كعادتـــه يشغل الناس- أصدقاء وخصوما -بكرائم إبداعه، فمنهم من عـــرف قدره، وحمد جهاده، وغفر له زلاته المغمورة في بحار فضائله، ودعـــا كما علمنا خالقنا:{**رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِـــيمٌ**}، وقـــد قالوا:"إذا بلغ الماء قلتين لم يحمل الخبث"، ومنهم –للأسف- من جعل شعاره قول القائل:

لأقطعن بمعولي أعراضكم

ما دام يصحب مهجتي جثماني

ولأهجونكمُ وأثلب حزبكم

حتى تغيب جثتي جثماني

ولأهتك بمنطقي أستاركم

حتى أبلغ قاصياً أو دانِ

ولأكتبن إلى البلاد بسبكم

فيسير سير البزل بالركبانِ

إن ذكرى وفاة سيد قطب ستبقى شاهدا عبر التاريخ لكل جيل على عظمة الإيمان الصادق في قلوب رجال الحق، فهذا الرجل الذي فسر القرآن كله في زنزانة ضيقة- وأمثاله من الرجال الصادقين اختلفنا معهم أو وافقناهم- أحق بالاحتفاء والإشادة من كثير من السفهاء الذين أُعطوا أكثر مما يستحقون، بل ما لا يستحقون، ولكن المنطق في زماننا أصيب بالجنون، والجنون فنون، ولله في خلقه شؤون..!

..ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله*

" إني أعتقد أن رجلا كمحمد لو تسلم زمام الحكم المطلق في العالم بأجمعه اليوم، لتم له النجاح في حكمه، ولقاد العالم إلى الخير، وحل مشاكله على وجه يحقق للعالم كله السلام والسعادة المنشودة ".

الفيلسوف والكاتب الإنجليزي برناند شو

بعد الإساءات التي حصلت مؤخرا في الدنمارك وسويسرا وهولندا وغيرها من الدول والأشخاص هاهي صحفية "نيريكيس اليهاندا" التي تصدر في مدينة "أوريبرو" السويدية تسير في هذا الخط، وتنضم إلى ركب الحاقدين، وتنشر رسوما مسيئة للنبي محمد -صلى الله عليه وسلم- تصوره في أشكال مهينة بدعوى "حرية التعبير" التي أصبحت حصان طروادة الذي يُركب لتحقيق المآرب الخسيسة بالمكر السيئ، ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله..!

وللإشارة فإن الأزمة بدأت في أوائل شهر أوت الماضي-كما ذكرت بعض المواقع الإعلامية- عندما رفض متحف "هيمسبوقدقارد" السويدي للفنون عرض رسومات للفنان السويدي "لارس فيلكس" تسيء للرسول الكريم -صلى الله عليه وسلم- وتصوره بصورة مهينة،

* جريدة البصائر العدد 355 .

وهي الرسومات التي نشرت صحيفة "نيريكيس أليهاندا" بعضها فيما بعد، ردا على رفض المتحف عرضها.

وأرجع المتحف في حينه قرار رفضه لأسباب أمنية وللحفاظ على مشاعر المسلمين أيضا. وقالت مارتا فينيرستروم المسئولة عن العرض:" الفن لا يمكن أن يكون مطلقا، ويجب أن يفكر الإنسان بالأقليات التي تعيش في المجتمع".

ووصف الفنان السويدي "لارس فيلكس" قرار المتحف بأنه "انبطاح أمام العنف والتهديدات"، مضيفا أنه "من الطبيعي أن يتراجع الإنسان أمام العنف، وقرار المتحف يرجع إلى الخوف".

إن ما فعلته هذه الصحيفة - وأخواتها اللعينات من قبل- عمل غير حضاري البتة، ويتنافى مع حرية التعبير التي يتغنى بها الغرب، ولا تقره الشرائع والقوانين والأعراف الدولية، ويُظهر بجلاء خلط كثير من الغربيين بين حرية التعبير وبين الإهانة المتعمدة لشخص النبي -صلى الله عليه وسلم-، ومن خلاله إهانة أكثر من مليار ونصف المليار مسلم في العالم والمساس بمشاعرهم.

إن تلك الرسوم المسيئة لأعظم شخصية إنسانية مشت على ظهر الأرض تبين مدى الحقد الدفين لدى بعض الغربيين الذين ما زالوا يعيشون بعقلية "الحروب الصليبية" على الإسلام ونبي الإسلام وأتباع الإسلام، وصدق الله حين قال بصريح العبارة في سورة البقرة الآية

(120):﴿ وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِن الْعِلْمِ مَا لَكَ مِن اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾.

والغريب أن الذين يتولون كبر هذه الإساءات غير الأخلاقية أناس يعدون من النُّخب والقادة في الفكر والثقافة والسياسة، فإذا كان هذا مستواهم فكيف يمكن أن ينجح مسعى التعايش والحوار الذي يدعو إليه الغرب مع الديانات والحضارات الأخرى، بل إن المآسي التي يعاني منها العرب والمسلمون أكثرها نتجت بسبب حقد الغرب وطمعه، وما من مشكلة في منطقة عربية أو إسلامية من طنجة إلى جاكرتا إلا ولليد الغربية فيها حظ وافر من المكر والكيد بطريقة مباشرة أو غير مباشرة..!

إن دعوى الحوار والتعايش من الغرب كذبة تشبه إلى حد كبير كذبة الأول من أفريل، فهو يمسك في يده اليمنى زهرة بلاستيكية، وفي اليد الأخرى خنجرا مسموما، وقد أظهرت ملتقيات الحوار باسم حوار الحضارات أو حوار الأديان أن المجتمعين يتكلمون ثم يأخذون صورة جماعية بابتسامات صفراء فينصرفون بعدها وتحسبهم جميعا وقلوبهم شتى تبطن ما لا تظهر، لأن الواقع الذي يخرج لهم لسانه ساخرا يُكذّب بصوت مسموع وصورة ملونة واضحة ما يقال في مثل هذه التجمعات الاستعراضية، وصدق شاعر مصري فرعوني حين قال من ألفي عام :

من أخاطب اليوم؟

أقران المرء أشرار

وأصدقاء اليوم لا يجيبون

من أخاطب اليوم؟

مات من كان وديعا

أما الشرس فعلى اتصال بكل إنسان

من أخاطب اليوم؟

ليس من يذكر عظات الماضي

وليس من يفعل اليوم معروفا لقاء معروف!

إن هبّة شعوب العالم الإسلامي الماضية المنددة بالرسومات الدانمركية المسيئة للنبي -صلى الله عليه وسلم- والمقاطعة الاقتصادية الفعالة علمت الغرب أن المسلمين لن يقبلوا أبدا أن يمس حبيبهم محمدا -عليه الصلاة والسلام- بإساءة وتمر دون أن يدفع المسيئون ثمن تجرئهم على شخصيته المقدسة، لهذا وجب أن يرفع المسلمون شعار﴿ **وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا**﴾ لأن محاولات المساس بشخصية الرسول الأعظم، وبكل مقدس إسلامي، ستبقى مستمرة بأشكال متنوعة مادام الباطل يمشي على قدمين.

هل أصبحت هموم المواطن ومعاناته ورقة للعب السياسي؟![*]

قرأتُ كثيرا من كتب السياسة ومذكرات الساسة في الجزائر والعالم العربي والغربي، وتابعتُ جملة من خفايا الأحداث السياسية هنا وهناك، كما عرفتُ بعض السياسيين عن قرب من مختلف التوجهات والإيديولوجيات، فخرجتُ بقناعة أن السياسة ليست فقط فن الممكن كما يصفها الدارسون لها، أو المنغمسون في وحلها، بل السياسة بعبارة صحيحة صريحة: هي معرفة كيفية إتقان لعبة الكذب على الناس والاحتيال على الخصوم على طريقة "ميكيافلي" "الغاية تبرر الوسيلة"، هذا الفيلسوف السياسي الذي ألف كتابه "الأمير" ليصبح دستورا لأغلب الحكام والسياسيين بحيث ظهر إيمان جديد يقول أنه لا توجد علاقة بين السياسة والأخلاق، ويقال: إن موسوليني قد اختار أيام طلبه العلم كتاب "الأمير" موضوعا لأطروحته التي قدمها لنيل درجة الدكتوراه، وكان هتلر يقرأ فيه كل ليلة قبل أن ينام، وقال الكاتب الأمريكي ماكس ليرنر في مقدمة كتاب "أحاديث": إن لينين وستالين أيضا تتلمذا على ميكيافلي...

بين الحين والآخر تظهر بعض المناورات السياسية على مذهب ميكيافلي في أوقات معينة تستوسل الإعلام المأجور للدعاية المغرضة وتلعب بهموم المواطن الاجتماعية من أجل الوصول إلى أغراض

---

* جريدة البصائر العدد 356 .

سياسوية، والحق أن المواطن "الغلبان"-الذي ينتظر الحلول لمشـــاكله- عند هؤلاء القوم "الميكيافليين" لا يساوي شيئا، ولا يـــأبهون لمعاناتـــه اليومية ، ولا ينظرون إلى وضعه المأساوي إلا على أساس أنـــه ورقـــة ضغط لضرب هذا أو ذاك.

لا يختلف اثنان أن المواطن الجزائري اليوم يعاني من مشاكل كـــثيرة في عدة مجالات، ووصل به الأمر إلى مرحلة أصبحت غير محتملة من الفقر والضنك الاجتماعي، ولهذا وجب على الذين تحملوا مسؤولية قيـــادة الدولـــــة علـــــى كـــــل المســــتويات أن يســــعوا إلى تــــوفير "الضروريات"و"الحاجيات" -على حد تعبير علماء أصـــول الفقـــه- كحد أدنى ليعيش المواطن الجزائري محترما في بلده ويُقضى على الطبقية المقيتة التي تفاقمت في العشريتين الأخيرتين، إلى درجة تكـــاد تختفـــي الطبقة المتوسطة التي كانت الطبقة الكبيرة السائدة، وتتحول الجزائر إلى مساحة تعيش فيها طبقتان لا ثالث لهما:

- طبقة فقيرة تزداد فقرا كل سنة تعاني في صمت..!

-وطبقة غنية تزداد غنى كل سنة عن طريق الفساد واستغلال النفوذ في السلطة وغير ذلك، والقليل من المنتمين إلى هذه الطبقة مَن عصمه الله من هذه المسالك العفنة.

إن العدالة الاجتماعية مطلب مهم للاستقرار والأمن، ومعظم الأزمات الأمنية والأخلاقية ترجع أسبابها إلى انتشار الظلم الاجتمـــاعي الـــذي

أصبح سائدا في بلادنا بفعل انتشـــار الغـــش والرشـــوة والمحســـوبية واستغلال السلطة في أجهزة الدولة و،و،و...

إن الذين يحاولون اللعب بهموم المواطن الجزائري، ومعاناته اليوميـــة، وتسخير هذه الورقة لتصفية حسابات سياسية، والوصول إلى أهداف ليست لها علاقة بمصلحة المواطن، هم في النهاية أول المتضـــررين لأن السفينة إذا غرقت ستغرق بالجميع، وقد أشار النبي -صلى الله عليـــه وسلم- إلى مثل هذا المعنى فقال في الحديث الذي رواه البخاري عـــن النعمان بن بشير -رضي الله عنهما-:"مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُـــدُودِ اللَّـــهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا،كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلاهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ الْمَاءِ ،مَـــرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا، وَلَمْ نُـــؤْذِ مَـــنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَوْا جَمِيعًا".

على الشخصيات الوطنية المحترمة والمؤسســـات المدنيـــة الاجتماعيـــة بمساعدة الإعلام الهادف أن يلعبوا دورهم في إيصال صوت المـــواطن البسيط إلى السلطة التنفيذية بعيدا عن أي غرض سياسي، ويدافعوا عن حقه في الحياة الاجتماعية العادلة، لأن دورهم النضالي في هذا المجـــال سيُضيق الخناق على من يتاجرون بدماء المواطن الجزائـــري البســـيط ودموعه من أجل السلطة والمال.

متى تُبعث ملتقيات الفكر الإسلامي من جديد؟!*

تابعتُ افتتاح ملتقى الفكر الإسلامي السنوي الذي ينظمه المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية في مصر بساحة الأزهر مساء اليوم الثاني من شهر رمضان المبارك، وستستمر فعاليات هذا الملتقى على مدى 24 يوما تلتقي فيه مجموعة من كبار العلماء والمفكرين بالجماهير لمناقشة أهم قضايا الساعة، وتبصير المسلمين بما يدور في واقعهم، وتوضيح الموقف الإسلامي الصحيح منها، وهذا ما أوضحه الدكتور محمود حمدي زقزوق وزير الأوقاف المصري حين أكد أن وزارته"حرصت على اختيار عدد كبير من أصحاب الفكر المستنير في مختلف التخصصات ليعقدوا لقاءات حية مع الجماهير، ويردوا بصراحة وشفافية على أسئلتهم".

لقد فرحتُ كثيرا لانعقاد هذا الملتقى الفكري الإسلامي دون عقدة التنكر لتراثنا الإسلامي الرصين كما يحدث في بعض البلدان الإسلامية، تقليدا لملتقيات الفكر الإسلامي التي كانت تعقد في الجزائر كل سنة فيجتمع فيها ألمع علماء الإسلام ومفكريه.

لكن في نفس الوقت حزنتُ لوأد "ملتقى الفكر الإسلامي" في الجزائر والتنكر لإنجازاته الفكرية والعلمية التي كانت مضرب المثل داخل الجزائر وخارجها، والغريب أن كل التظاهرات والملتقيات

* جريدة البصائر العدد 358 .

والمهرجانات–حتى السافل منها– التي انقطعت أُعيد إحياؤها في جميع المجالات إلا ملتقى الفكر الإسلامي، فقد بقي ممنوعا من العـــودة إلى سابق عهده..!

لقد كنتُ أتصور فيما مضى أن العلمانيين الجزائريين أقل العلمانيين في العالم معاداة للإسلام وتعاليمه، ولكن تبين لي بعد ذلك أن العلمانيين الجزائريين أشدهم كرها للإسلام وحقدا على كل ما له صلة بهذا الدين العظيم، وظهر ذلك جليا في قطع صوت الأذان في التلفزة و لم يعد إليها إلا بعد سنوات من النضال الطويل والاحتجاج المرهق، رغم أن واحدة من أكثر الدول العربية معاداة للتقاليد الإسلامية تبث الأذان في قنواتها الرسمية دون أي عقدة..!

إن اتهام ملتقيات الفكر الإسلامي بأنها كانت سببا في صناعة ظـــاهرة الإرهاب التي عانت منها الجزائر وما زالت، خرافة ووهم، والحـــق أن هذه التهمة باطلة لا أساس لها من الصـــحة، لأن ملتقيـــات الفكـــر الإسلامي هي التي أصَّلت للاعتدال والوسطية والانفتاح على الآخـــر والحوار بالتي هي أحسن مع المخالفين في الدين والإيديولوجية، ولولا هذه الملتقيات الهادية الهادفة التي كان يحضرها علماء كبار مـــن كـــل بلدان العالم الإسلامي أمثال الشيخ الغزالي والشيخ القرضاوي والشيخ البوطي وغيرهم لكانت مساحة الغلو والتشدد والتطرف أكبر مما هي عليه الآن، والكل يعلم ماذا يفعل الغلو والتشدد والتطرف.

إن المصريين لو علموا أن في عقد مثل هذه الملتقيات مضرة ببلدهم أو تشويه لفكر أبنائهم لكانوا أحرص الناس على عدم انعقادها، ولكنهم أدركوا جيدا أن الفكر المتطرف لا يجابه إلا بالفكر المعتدل المستنير، لأن أحسن وسيلة لحماية الأجيال هي تعريفها بحقائق الإسلام وتعاليمه من أفواه أهل الاختصاص والمعرفة المشهود لهم بالعلم والتجربة، فالفراغ إذا لم يملأ بالخير تمكن الشر منه وملأه...

إننا نأمل الخير في العقلاء من أصحاب القرار في بلادنا، ونرجو أن ينتبهوا إلى هذه النقطة الحساسة، ويزيلوا الحدود والسدود عن طريق ملتقى الفكر الإسلامي ليعود بعد غياب طويل غير مبرر حتى يؤدي دوره في نشر الاعتدال والوسطية ويقدم تعاليم الإسلام للأجيال نقية صافية من أي تشويه أو تشويش، فالجزائر أولا وأخيرا أرض الإسلام ولا يمكن لها أن تحيى بدونه الساعة أو إلى قيام الساعة.

...وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ *

قوة أهل الحق تكمن في قوة صلتهم بربهم، فإن انقطعت هذه الصلة لم يعد هناك فرق بينهم وبين أهل الباطل، إذ إن تساووا في الذنوب والمعاصي كانت الغلبة لمن يملك العدّة والعدد، فكم من فئة مؤمنة قليلة غلبت فئة كافرة كثيرة، بإذن الله، حين توفرت الأولى على الإيمان والتقوى فنفعها ذلك، وتمكنت من الثانية جراثيم الضلالة والآثام فلم تُغن عنهم كثرتهم شيئا.

نحن في هذا العصر بحاجة إلى إعداد جيل التربية الإيمانية كما فعل النبي -صلى الله عليه وسلم- في دار الأرقم بن أبي الأرقم أيام كان يشتغل على تكوين ثلة من الرجال المؤمنين الصادقين الذين حملوا راية التغيير في عصر الجاهلية الأولى، فحقق الله -عز وجل- على أيديهم بناء أعظم مشروع رأته الإنسانية في ذلك الوقت وهو " المجتمع المسلم الأولى " المرتبط برب الأرض والسماء، فاستحق أفراده رضا الله عنهم وإنها لإحدى أعظم النعم﴿ **وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ** ﴾ **سورة التوبة الآية: 100.**

---

* **جريدة البصائر العدد 359 .**

إن إغفال حركات التغيير المعاصرة للجانب التربوي في سعيها نحو هدف تأسيس المجتمع الوثيق الصلة بالله رب العالمين جعل مجهودها لا يُثمر، وخطواتها تتعثر، وتخسر ولا تظهر، وما زاد الطين بلة أن صفوفها تُخترق ليلا ونهارا، سرا وجهارا، من طرف أدعياء همّهم نيل المغانم الكثيرة، والارتزاق باسم المبادئ والقيّم، وصدق الله العظيم حينما خاطب نبيه -صلى الله عليه وسلم- في بداية عهده بالنبوة قائلا:﴿ **وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ** ﴾ إعلانا منه أن الفرد الذي يحمل بين جنبيه نفسا مريضة، وصاحب شخصية انتهازية نفعية، غير مؤهل لأن يكون على رأس القيادة أو التوجيه في طريق الدعوة، بل وجوده في القافلة سيزيدها خبالا، ويُرْبِك سيرها بالفتن، وفيها سماعون يتأثرون بلحن القول كما قال تعالى:﴿ **لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ** ﴾ **سورة التوبة الآية:47.**

يقول الشهيد سيد قطب في تفسيره "الظلال" عند قوله تعالى:﴿ **وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ** ﴾:"..وطهارة الثياب كناية في الاستعمال العربي عن طهارة القلب والخلق والعمل.. طهارة الذات التي تحتويها الثياب، وكل ما يلم بها أو يمسها..والطهارة هي الحالة المناسبة للتلقي من الملأ الأعلى. كما أنها ألصق شيء بطبيعة هذه الرسالة. وهي بعد هذا وذلك ضرورية لملابسة الإنذار والتبليغ، ومزاولة الدعوة في وسط

التيارات والأهواء والمداخل والدروب؛ وما يصاحب هذا ويلابسه من أدران ومقاذر وأخلاط وشوائب، تحتاج من الداعية إلى الطهارة الكاملة كي يملك استنقاذ الملوثين دون أن يتلوث، وملابسة المدنسين من غير أن يتدنس..وهي لفتة دقيقة عميقة إلى ملابسات الرسالة والدعوة والقيام على هذا الأمر بين شتى الأوساط، وشتى البيئات، وشتى الظروف، وشتى القلوب!".

إن طهارة الغاية تُوجب طهارة الوسيلة التي تجمع رجالا يحبون أن يتطهروا، والله يحب المتطهرين، لأن التغيير لن يتم إلا إذا غيَّر دعاة التغيير ما بأنفسهم، وصدق من قال :

يا أيها الرجل المعلم غيره

هلا لنفسك كان ذا التعليم

ابدأ بنفسك فانهها عن غيّها

فإذا انتهت عنه فأنت حكيم

لا تنه عن خلق وتأتي مثلـــــه

عار عليك إذا فعلت عظيم

ثم ماذا بعد تقسيم العراق ؟![*]

إن مجرد فرض فكرة تقسيم العراق على أرض النقاش بين العراقيين توحي بأن الفكرة جديرة بالأخذ والرد في حين أنها غير مقبولة من أصلها عقلا ونقلا، خاصة في عصر ولادة التكتلات الكبرى التي يشهدها العالم وهي للأسف حالة غير مهضومة عند العرب الذين يملكون كل عوامل الإتحاد لكنهم استمرؤوا الاختلاف والتشتت..!

وليس غريبا أن يتبنى مجلس الشيوخ الأمريكي قرارا غير ملزم لتقسيم العراق إلى دويلات بذريعة بسط الأمن ومنع الفوضى، كما سعى إلى ذلك السناتور الديمقراطي المرشح للانتخابات الرئاسية "جوزيف بين"، لأن فكرة التقسيم لم تكن وليدة اليوم، بل من أوائل من دعا إليها وزير الخارجية الأمريكية السابق اليهودي "هنري كيسنجر" صاحب فكرة نقل النفط من العراق إلى الغرب ثم إلى إسرائيل، ولذلك وقّعت أمريكا وإسرائيل سنة 1975 مذكرة تفاهم -تتجدد كل خمس سنوات- توجب على الأولى تزويد الثانية بالنفط خاصة أثناء الأزمات، والغريب أن دافعي الضرائب الأمريكان دفعوا من جيوبهم بسبب هذا الاتفاق ثلاثة مليارات من الدولارات جراء نقص داخلي في النفط سنة 2002م.

---

* **جريدة البصائر العدد 360 .**

إن تقسيم العراق مسألة (سياسية واقتصادية) في نفس الوقت تستهدف تحطيم أكبر دولة عربية مهددة للكيان المزروع في فلسطين المحتلة، وتحويلها إلى دويلات ضعيفة، لا تملك السيادة الحقيقية، ولا حول لها ولا قوة، وبقرة حلوب للنفط يستغلها الأمريكان لصالحهم ولصالح الكيان الصهيوني الطفيلي الذي يستمد استمراريته من الدعم الكبير الخيالي لأعظم دولة في العالم، وبقاؤه مرتبط ببقاء هذه الدولة، وهذه الدولة نفسها تعتمد في بقائها على الاقتصاد والنفط، ومن أجل ذلك تسخر ترسانتها العسكرية الضخمة للحفاظ على مصالحها في جميع أنحاء العالم، خاصة في المنطقة العربية!

ولعل المتتبع لما يكتبه المنظّرون للحرب والاحتلال في أمريكا حول تقسيم العراق سيجد أن أغلبهم من اليهود الأمريكان أو ممن تربطهم علاقة قوية بالصهيونية العالمية مما يوضح بجلاء أن التخطيط يهودي والتنفيذ أمريكي والخاسر أولا وأخيرا العراق والأمة العربية والإسلامية!!!

لقد دعا إلى تقسيم العراق المؤرخ الإسرائيلي "بيني موريس" في حواراته مع الإذاعات الأمريكية قبل الحرب على العراق واعتبر العراق "دولة مصطنعة رسمها الانكليز وخلط فيها عشوائيا شعوبا وطوائف لا تريد في الحقيقة أن تتعايش"، كما اعتبر المؤرخ اليهودي الأمريكي "برنارد لويس" أن احتلال العراق فرصة لتصحيح الخطأ الذي ارتكبه البريطانيون، وتفكيكه إلى دويلات على حسب الطبيعة السكانية

وانتماءاتهم الطائفية والعرقية، وفي هذا المنحى كتب أيضا "جون يو" أستاذ القانون في جامعة كاليفورنيا، والباحث في منظمة اليمين المتطرفة المعروفة باســــم ENTREPRISE INSTUTUE AMERICAN في صحيفة "لوس أنجليس تايمز" حيث اقترح تقسيم العراق إلى ثلاث دويلات، وهو نفسه من أشار على الإدارة الأمريكية الحالية باستحداث فصائل مقاومة وهمية في العراق تقوم بأعمال إجرامية لتشويه صورة المقاومة الأصيلة من أجل تقليص الدعم الشعبي لها...ولم يخرج عن هذه الدعوة إلى تقسيم العراق رجل القانون الأمريكي "ألان توبول" المستشار للإدارات الأمريكية لمدة أربعين سنة بما فيها إدارة "بوش"..!

إن خطة تقسيم العراق إن تم تنفيذها فلن تستقر المنطقة أبدا لأن المنطقة السنية – كما حلل قائد القيادة المركزية الأميركية سابقا وكبير المستشارين بمركز الدراسات الدولية والإستراتيجية أنتوني زيني- ستكون محصورة وتفتقر بشدة للموارد الطبيعية اللازمة لدعمها، والدولة الشيعة ستحث المواطنين الشيعة في دول الخليج الأخرى على الانفصال، والدولة الكردية ستكون محاصرة بتركيا التي ستتخذ رد فعل قوي حين يتقوى الكرد فيها.

فهل بعد هذا سيكون هناك أمن واستقرار في المنطقة العربية، ثم ماذا بعد تقسيم العراق.؟!

لماذا يحقدون على حجاب المرأة المسلمة..! *

لقد فرض الله -عز وجل-الحجاب على المرأة المسلمة البالغة تكريما لها لأنها إنسانة محترمة تماشيا مع فطرتها السليمة التي لا تقبل العري ولا ترضاه، تحت أي شعار، وتحب الستر ولا تأباه، متحدية كل الأخطار...فرضا الرحمن مقدم على سخط عباد الشيطان، ولا طاعة لمخلوق-مهما يكن شأنه-في معصية الخالق.

يقول الدكتور عبد الفتاح إدريس أستاذ الفقه المقارن بكلية الشريعة جامعة الأزهر: " الحجاب ليس عادة اجتماعية، كما توهَّم البعض، وإنما هو أمر تشريعي وفريضة فرضها الله تعالى على نساء هذه الأمة؛ صيانة لهن وخوفًا عليهن من أذًى قد يتعرَّضْنَ له من غير المُبالين بالحلال والحرام، وسدًّا للذريعة إلى الفساد في المجتمع المسلم، ومن الأدلة الكثيرة الدالَّة على فرضية ستر المرأة عورتها ما يلي:

قول الله تعالى: ﴿ **وَقُلْ للمؤمناتِ يَغْضُضْنَ من أبصارِهِنَّ ويَحْفَظْنَ فُروجَهُنَّ ولا يُبدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظهرَ منها وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ على جُيوبِهِنَّ...**﴾ **سورة النور 31** إلخ الآية، إذ المقصود من الزينة في الآية ما تتزيَّن به المرأة من الحُلِيِّ وغيرها، ونَهْي النساء عن إبداء هذه الزينة نهي عن إبداء مواضعها من أبدانهن بالأولى، مبالغة في الأمر

* **جريدة البصائر العدد 361 .**

بالتصوُّن والتستُّر.وقوله سبحانه: ﴿ **وقَرْنَ في بُيوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبرُّجَ الجاهليةِ الأُولَى** ﴾ **سورة الأحزاب الآية: 33**، وهو نهي كذلك عن إبداء المرأة عورتها.وقوله جل شأنه:﴿ **يَا أَيُّهَا النبيُّ قُلْ لأزْوَاجكَ وبناتِكَ وَنِساءِ المُؤمنينَ يُدْنِينَ عليهِنَّ مِنْ جَلابِيبِهِنَّ ذلكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فلا يُؤْذَيْنَ** ﴾ **سورة الأحزاب الآية:59** .

وفي هذه الآية أمر بستر المرأة كذلك، الذي هو أدْعى إلى عدم تعرُّض المرأة المستورة العورة لأذًى من فُسَّاق الرجال. ورُوِي عن أم سلمة -رضي الله عنها- أن رسول الله ــــ صلى الله عليه وسلم ــــ قال: " إِذَا كَانَ لِإِحْدَاكُنَّ مُكَاتَبِ، فملكَ مَا يُؤَدِّي فَلْتَحْتَجِبْ مِنْه"(رواه الترمذي) أي أن العبد ــــ وهو مَن استثناهم الشارع من حُرْمة النظر إلى عورة سيدته في قوله: ﴿ **أَوْ ما مَلَكَتْ أَيْمانُهُنَّ** ﴾ إذا كاتبتْه سيدتُه، وملك ما يُحَرِّر به نفسَه من الرقِّ، وجب على سيدته أن تَحتَجِب منه...".وتوعَّد الشارع مَن تُبدي عورتَها بالعذاب الأليم، فروى الإمام مسلم عن أبي هريرة-رضي الله عنه- أن رسول الله ــــ صلى الله عليه وسلم ــــ قال: " صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس.. ونساء كاسيات عاريات مائلات مميلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وان ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا، وفي رواية وان ريحها ليوجد من مسيرة خمسمائة عام" ، ومعنى نساء

كاسِيَات عارِيَات، أي يبدين بعض أبداهُنَّ ويستُرْن البعض الآخر، إظهارًا لجمالهن". فبأي حق تُمنع المرأة المسلمة في أرض الإسلام من لبس حجابها الذي أمر الله به في بعض الإدارات والمؤسسات، وبأي منطق نجيز العري وسوء الأخلاق ونمنع الستر وطيب الأخلاق، ولماذا يتجرأ بعض مديري مؤسساتنا العمومية على رفض توظيف المحجبات أو منعهم من العمل بسبب تحجبهم رغم أنه لا يُوجد "قانون" أمضاه رئيس الجمهورية أو رئيس الحكومة أو تشريع للبرلمان يفرض على المديرين والمسؤولين طرد المحجبات أو منعهم من العمل ...

لستُ أدري لماذا بعض قومنا يكرهون الحجاب إلى درجة الحقد عليه، ولماذا عُقدهم النفسية هذه لم تمحها الأيام ونحن نعيش عصر الديمقراطية، إذ كيف يفسح للنساء العاريات أن يتبرجن تبرج الجاهلية الأولى وأكثر، دون أن يحاسبهن قانون أو مسؤول، في حين أصبحت المرأة المحجبة حالة شاذة في مجتمع مسلم دستوره ينص على أن دين الدولة الإسلام، فيُضيق عليها الخناق، وإلى دائرة الاتهام تُساق..!

كنا نخشى على الحجاب من خصومه المعروفين في الغرب، وعداوتهم له مبررة لأن العدو لا تنتظر منه إلا العداوة والبغضاء، ولكن تبين أن بعض المحسوبين على أمة لا إله إلا الله، هم أشد حقدا على الحجاب، وأكثر بغضا له وعداوة، ولابد من استنكار أي محاولة للمساس بحق المرأة في لبس الحجاب في أي مكان، وفضح من تسول له نفسه فعل ذلك حتى يكون عبرة لغيره..!

مؤتمر خريف السلام*

لقد أصبح مصطلح "مؤتمر السلام" مبتذلا ولا يعبر عن حقيقتـــه، ولا عن الداعين إليه، فأوجد مبدعو المصطلحات مصطلحا لئيما آخر هـــو "مؤتمر الخريف"، ولو أنهم صدقوا لأسموه "مؤتمر خريف السلام" لكان ذلك أبلغ وصف لحالة سياسية مرضية لم يعرف التاريخ لها مثـــيلا في القديم والحديث..!

وكيف يعمُّ السلام والوسيط بين المعتدي والمعتدى عليه دولة متطرفـــة منحازة جهارا نهارا إلى المعتدي، وهي نفسها دولة حرب وإرهـــاب، أهلكت الحرث والنسل في أماكن كثيرة من العالم، وأعظم مآسيها في العصر الحديث ما فعلته في العراق الذي دمرته تدميرا، وجعلت منـــه بقعة فتن متلاطمة ما بطن منها أكثر مما ظهر...أويعقل حقا أن تسعى مثل هذه الدولة الممقوتة من الناس أجمعين، لتكون سببا في نشر السلام والوئام بين الخلق، خاصة إذا كان هذا الخلق هم "العرب – والكيـــان الصهيوني"...إنها أكذوبة مفضوحة، لا يصدقها إلا الأغبياء أو الـــذين باعوا ضميرهم للشيطان..!

ثم أي سلام هذا الذي تلُوكُه الألسن هنا وهناك و"الكيان الصهيوني" ما يزال يقتل ويدمر ويعتدي على الأرض والعرض، ويعيث فسادا دون

* جريدة البصائر العدد 362 .

أن يبالي بأحد في الأرض ولا في السماء، ويوسع أنفاقه تحت أرض الأقصى الشريف، ويستأنف تهجير يهود العالم من كل الجنسيات إلى الأرض التي باركها الله.. ويحاول أن يستغل "مؤتمر الخريف" لتمرير مطلب إسقاط حق اللاجئين في العودة إلى فلسطين مقابل إقامة دولة فلسطينية لا سيادة لها على أمتار من الأرض، بل ويخطط لترحيل حوالي 200 ألف من عرب فلسطين سنة 1948 من أجل – كما يقول الكاتب السوري عبد الله الحسن في مقاله" **تبادل أراض أم ترانسفير جغرافي؟**"-:

"1- التخلص إلى حد كبير من عبء حركة دينية مسيسة (الحركة الإسلامية بقيادة الشيخ رائد صلاح) هي الأكثر تشددًا في رفض "الدولة اليهودية" والدعوة إلى مقاطعة "مؤسساتها السياسية"، وفي الدفاع عن المسجد الأقصى، ودعم فلسطينيي الضفة والقطاع في نضالهم ضد الاحتلال.

2- المساهمة في خفض خطر الهاجس الديمغرافي الفلسطيني 1948، بتحقيق ترانسفير سلمي ومقبول فلسطينيًا وعربيًا ودوليًا لـ200 ألف فلسطيني إلى خارج ما يسمى الخط الأخضر.

3- تكسب إسرائيل مقابلها أرض المستوطنات في الضفة الغربية التي تتميز بوقوعها على مصادر المياه الجوفية الفلسطينية في الضفة، والتربة

الخصبة، علاوة على أنها تشكل مواقع إشراف عسكرية ممتازة، وتؤدي وظيفة تقطيع أوصال"الكيان الفلسطيني" وتحقق غاية ابتلاع القدس...".

كان جدير بالفلسطينيين أن يبذلوا وسعهم في توحيد جبهتهم الداخلية المفككة، ويلملموا شتاتهم، ويحلوا مشكلاتهم التي تنخر صفوفهم، وتربك مقاومتهم لكل أشكال الاعتداءات الصهيونية عليهم، لأن قوتهم على المستوى الخارجي تُستمد من قوتهم على المستوى الداخلي، ولهذا تبدو أهمية انعقاد المؤتمر الذي دعت إليه الفصائل الفلسطينية قبل انعقاد "مؤتمر الخريف" وتتلخص أهدافه كما جاء على لسان الداعين:

أ- حماية القضية الوطنية الفلسطينية من المخاطر التي تهددها نتيجة اشتداد التآمر الأمريكي الصهيوني والطروحات المنوي عرضها في مؤتمر الخريف الأميركي من قبل أميركا وإسرائيل.

ب- استمرار العمل ووضع الآليات لإنهاء ومعالجة حالة الانقسام الفلسطيني وإعادة الوحدة الوطنية الفلسطينية من خلال الدعوة إلى حوار وطني شامل لإعادة بناء وتفعيل (م.ت.ف) وإعادة الأمور إلى نصابها الصحيح في الوضع الداخلي.

ج- التمسك بحق عودة اللاجئين الفلسطينيين إلى ديارهم وممتلكاتهم التي شردوا منها.

إن مؤتمر الخريف الذي دعت إليه الولايات المتحـــدة الأمريكيـــة في نوفمبر المقبل لن يُكتب له النجاح لأنه سيؤسس على أرضـــية هشـــة باطلة، وسيؤول إلى ما آلت إليه المؤتمرات الماضية التي فشلت بســـبب عقيدة المقاومة حتى النصر أو الاستشهاد التي يولد بها كل مولود جديد في أرض فلسطين المقاومة.

ارحمونا بالعدل يرحمكم الله ..! *

"بعد هبوطها إلى ما دون خمسين دولارا للبرميل في بدايات شتاء عام 2007، شهدت أسعار النفط ارتفاعا قياسيا في نهاية صيف 2007، وصل في النصف الثاني من شهر أكتوبر/تشرين الأول إلى ما يزيد على تسعين دولارا للبرميل.

وكانت أسعار النفط قد شهدت صعودا مضطردا فاق أكثر من الثلاثين دولارا للبرميل في بداية عام 2004 إلى ذروة لامست سعر الثمانين دولارا للبرميل في أواسط عام 2006.

وقد عادت أسعار النفط للانخفاض تدريجيا بعدها، عبر مسارٍ لا يخلو من التقلبات والتذبذب، لتعود للارتفاع في بداية صيف 2007، ومن ثم للانخفاض قليلا لأقل من سبعين دولارا للبرميل في أواسط شهر أغسطس/آب 2007، لتنطلق كالصاروخ بعدها إلى مستويات قياسية في نهايات أكتوبر/تشرين الأول."(ارتفاع أسعار النفط للكاتب إبراهيم علوش).

ورغم ارتفاع أسعار النفط بمعدلات يسيل لها لعاب الأغنياء والفقراء على حد سواء في بلادنا، إلا أن الأوضاع الاجتماعية ما زالت كما هي لم يتغير منها شيء ذو بال، اللهم إلا أن كبراءنا ازدادوا ترفا وفخفخة، أما المواطن البسيط فما زالت أحواله كما هي، بل وصل

* جريدة البصائر العدد 363 .

"الضنك الاجتماعي" إلى مستويات لا يمكن تحملها، مما يجعل المستقبل أكثر قتامة، وكان من الممكن أن يتفهم المواطن الأمر لو كانت خزانة الدولة شبه فارغة ومسؤولونا الكرام مضرب المثل في التقشف ونكران الذات، ولأصبحت - في هذه الحالة- قاعدة "الواجب مقدم على الحقوق" التي يرددها المسؤولون في اجتماعاتهم أمرا يتحمله المواطن في سبيل بلاده ببال مطمئن وضمير مرتاح، ولكن كيف يقتنع هذا المواطن البسيط بهذه "الفلسفة" إذا كانت بطنه خاوية، وبطون المسؤولين منتفخة يقال لها: هل امتلأت؟ فتقول هل من مزيد..!

إن أوضاع الجزائريين المعيشية بائسة رغم ارتفاع أسعار البترول، وامتلاء الخزينة، ومن البؤس تتولد كل أشكال الجرائم والشقاق وسوء الأخلاق، وشفاء هذه الأدواء يتم بنشر دواء العدالة الذي يكفل الحقوق لكل مواطن دون إرهاق أو تعسف، فيتساوى الحاكم والمحكوم، فيأكلان معا في المغانم، ويجوعان معا في المغارم، بيد أن العكس هو الحاصل اليوم للأسف، كما هو ملاحظ، فكيف إذن يسود الأمن والأمان، وتزرع الثقة بين السلطة والشعب!؟

روى الإمام مالك-رضي الله عنه- في الموطأ عن يحيى بن سعيد أن عمر بن الخطاب-رضي الله عنه- "كان يأكل خبزاً بسمن، فدعا رجلاً من أهل البادية، فجعل يأكل ويتّبع وَضَر الصحفة؛ فقال عمر: كأنك مقفر! فقال: والله ما أكلت سمناً ولا رأيت أكلاً به منذ كذا وكذا؛ فقال عمر: لا آكل السمن حتى يحيا الناس أول ما يحيوْن".

وخطب عمر بن الخطاب-رضي الله عنه- في حضرة ولاته والناس أجمعين قائلا: (إني لم أستعمل عليكم عمالي ليضربوا أبشاركم، و يشتموا أعراضكم، ويأخذوا أموالكم، ولكن استعملتهم ليعلموكم كتاب ربكم وسنة نبيكم -عليه الصلاة والسلام-، فمن ظلمه عامله بمظلمة فلا إذن له علي ليرفعها إلي حتى أقصه منه. فقال عمرو بن العاص: يا أمير المؤمنين أرأيت إن أدب أمير رجلا من رعيته أتقصه منه؟ فقال عمر: ومالي لا أقصه منه وقد رأيت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقص من نفسه؟).

وخرَّج ابن سعد من خبر عبد الله بن زيد بن أسلم عن أبيه عن جده قال:"كان عمر يصوم الدهر، قال: فكان زمان الرمادة إذا أمسى أتي بخبز قد سرد بالزيت، إلى أن نحروا يوماً من الأيام جزوراً فأطعمها الناس، وغرفوا له طيبها، فأتي به، فإذا فدر من سنام ومن كبد، فقال: أنى هذا؟ قالوا: يا أمير المؤمنين، من الجزور التي نحرنا اليوم؛ قال: بخ بخ، بئس الوالي أنا إن أكلت طيبها وأطعمت الناس كراديسها، ارفع هذه الجفنة، هات لنا غير هذا الطعام؛ قال: فأتي بخبز وزيت، فجعل يكسر بيده، ويثرد ذلك الخبز، ثم قال: ويحك يا يرفأ! احمل هذه الجفنة حتى تأتي بها أهل بيت يثمغ، فإني لم آتهم منذ ثلاثة أيام، فأحسبهم مقفرين، فضعها بين أيديهم".

وكتبت امرأة سوداء مسكينة كتاباً إلى عمر بن عبد العزيز – رضي الله عنه – وهذه المرأة تسمى "فرتونة السوداء" من الجيزة بمصر وكان فيه

– أي في الكتاب – أن لها حائطاً متهدماً لدارها، يتسوره اللصوص ويسرقون دجاجها، وليس معها مال تنفقه في هذا السبيل.

فكتب عمر بن عبد العزيز إلى والي مصر "أيوب بن شرحبيل": "من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى أيوب بن شرحبيل، سلام الله عليك. أما بعد؛ فإن فرتونة السوداء، كتبت إليَّ تشكو إليَّ قِصر حائطها وأن دجاجها يُسرق منها، وتسأل تحصينه لها، فإذا جاءك كتابي هذا، فاركب إليها بنفسك وحصّنه لها".

وكتب إلى فرتونة:"من عبد الله عمر بن العزيز أمير المؤمنين إلى فرتونة السوداء: سلام الله عليك، أما بعد؛ فقد بلغني كتابك، وما ذكرت فيه من قِصر حائطك، حيث يُقتحم عليك ويُسرق دجاجك... وقد كتبت إلى أيوب بن شرحبيل، آمره أن يبني لك الحائط حتى يحصنه مما تخافين إن شاء الله".

يقول ابن عبد الحكم – راوي القصة –:"فلما جاء الكتاب إلى أيوب بن شرحبيل ركب بنفسه حتى أتى الجيزة وظل يسأل عن فرتونة حتى وجدها، فإذا هي سوداء مسكينة، فأعلى لها حائطها".

ليت المسؤولين عندنا يحسون بمعاناة الضعفاء وآلامهم في الجزائر العميقة، فإن أنينهم الذي يتجاهلون سماعه يسمعه الله –جل وعلا– والموعد الحساب، ومهما يبعُد فإنه قريب.

من وعد بلفور ...إلى وعود مؤتمر الخريف ! *

وزارة الخارجية

في الثاني من نوفمبر/ تشرين الثاني سنة 1917.

عزيزي اللورد روتشيلد.

يسرني جداً أن أبلغكم بالنيابة عن حكومة جلالته، التصريح التالي الذي ينطوي على العطف على أماني اليهود والصهيونية، وقد عرض على الوزارة وأقرته:

"إن حكومة صاحب الجلالة تنظر بعين العطف إلى تأسيس وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين، وستبذل غاية جهدها لتسهيل تحقيق هذه الغاية، على أن يفهم جلياً أنه لن يؤتى بعمل من شأنه أن ينتقص من الحقوق المدنية والدينية التي تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة الآن في فلسطين، ولا الحقوق أو الوضع السياسي الذي يتمتع به اليهود في البلدان الأخرى.

وسأكون ممتناً إذا ما أحطتم الاتحاد الصهيوني علماً بهذا التصريح.

المخلص شيعة آرثر بلفور

* جريدة البصائر العدد 364 .

هذه الرسالة سُميت "بوعد بلفور" أرسلها آرثر جيمس بلفور وزير خارجية بريطانيا إلى اللورد ليونيل وولتردي رويشيد الزعيم اليهودي البريطاني وزعيم المنظمة الصهيونية العالمية، يؤكد فيها تأييد حكومة الملك البريطاني لإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين ، وقد مرت على هذه الرسالة المشؤومة تسعون سنة بحلول يوم 02 نوفمبر 2007 ، إنها ذكرى بيع فلسطين لليهود الصهاينة، بيع ممن لا يملك إلى من لا يستحق..!

"ولد آرثر جيمس بلفور بلفور سنة 1848 في ويتنغهام التي أصبحت تعرف اليوم باسم لوثيان وتقع في أسكتلندا. وبعد أن أنهى دراسته الأولية التي درس فيها تعاليم العهد القديم، أكمل دراساته العليا في كلية إيتون وجامعة كمبردج بإنجلترا.

انتخب بلفور لأوّل مرة في البرلمان سنة 1874، وعمل وزيراً أوّلا لأسكتلندا عام 1887، ثم وزيراً رئيساً لشؤون إيرلندا من عام 1887 - 1891, ثم أول رئيس للخزانة من عام 1895 - 1902, ورئيساً لوزراء بريطانيا من عام 1902 - 1905.

وكان يعارض الهجرة اليهودية إلى شرق أوروبا خوفاً من انتقالها إلى بريطانيا، وكان يؤمن بأن الأفضل لبريطانيا أن تستغل هؤلاء اليهود في دعم بريطانيا من خارج أوروبا.

أعجب بلفور بشخصية الزعيم الصهيوني حاييم وايزمان الذي التقاه عام 1906، فتعامل مع الصهيونية باعتبارها قوة تستطيع التأثير في

السياسة الخارجية الدولية وبالأخص قدرتها على إقناع الرئيس الأميركي ولسون للمشاركة في الحرب العالمية الأولى إلى جانب بريطانيا. وحين تولى منصب وزارة الخارجية في حكومة لويد جورج في الفترة من 1916 إلى 1919 أصدر أثناء تلك الفترة وعده المعروف بـــ"وعد بلفور" عام 1917 انطلاقا من تلك الرؤية. كانت أول زيارة لبلفور إلى فلسطين عام 1925 حينما شارك في افتتاح الجامعة العبرية، وعمت وقتها المظاهرات معظم الأراضي الفلسطينية احتجاجاً على قراره الذي أصدره عام 1917 والذي اشتهر بوعد بلفور.

تزعم بلفور حزب المحافظين لأكثر من عشرين عاماً، وشغل منصب رئيس مجلس اللوردات لمدة خمس سنوات من 1924 - 1929. وتوفي بلفور عن عمر يناهز الـــ 82 عاماً ". (المصدر: ويكيبيديا الموسوعة الحرة).

هناك جدل قائم بين الـــمُفَلسفين والمحللين لهذا الحدث التاريخي الذي كان سببا في إنشاء الصراع المزمن الدائر في فلسطين بين الصهاينة والعرب الممتد إلى يوم الناس هذا، وأرادوا أن يجيبوا عن هذا السؤال وهو " من استغل الآخر: الصهيونية العالمية استغلت الإمبريالية الغربية الممثلة في بريطانيا وحلفائها في ذلك الوقت أم العكس؟"

والحق أن المسألة أضحت مع الأيام أوضح من الشمس في رابعة النهار وهي أن الإمبريالية والصهيونية وجهان لعملة واحدة أو هما روحان

موجودتان في جسد واحد يؤمنان نفس الإيمان وهو "الحياة على حساب موت الآخرين بالاحتلال والقتل، والاستغلال والنهب"، وكل طرف يعيش بالآخر، والغريب أن التاريخ في حركته يُعيد نفسه، فالصهيونية والإمبريالية المتجسدة في الولايات المتحدة الأمريكية، وريثة الإمبراطورية البريطانية العظمى، متفقتان على اغتصاب الحقوق العربية، ليس في فلسطين، بل في كل بلد عربي، ورغم ذلك نجد العرب يهرولون إلى كل طاولة ليكونوا "الكبش" الذي تلتهمه البطون التي لا تشبع، وعوض أن يسعوا إلى تفادي النكبات والنكسات التي توالت عليهم نجد أنهم لم يتعلموا من أخطائهم، ولم يقوموا من عثرتهم، بل ازدادوا ضعفا وانقسما، وعوض أن يسترجعوا أراضيهم المحتلة فقد ضيعوا العراق وهم على وشك أن يضيعوا غيره، فكانوا لأنفسهم ظالمين ..!

وما أصدق الشاعر العراقي أحمد مطر حين قال:

سل كل مطاعمِ دنيانا
هل فيها أسد مسلوق؟
حقوق؟
أي حقوق؟
النمر يعربد في الغابة
والكبش يعلق في السوق.

إن مؤتمر الخريف المنعقد بمدينة أنابوليس الأمريكية، كان موعدا آخر من مواعيد استهداف القضية الفلسطينية بإعطاء التنازلات التي تعد خطوطا حمراء بالنسبة للأمة العربية والإسلامية، وتصفية المقاومة الشريفة، الورقة القوية الوحيدة الرابحة التي يملكها أبناء فلسطين الأحرار، وقد علمتنا ثورتنا التحريرية المجيدة التي أشعلها أجدادنا الأباة، وآباؤنا الأشاوس، نارا على المحتل الغاصب، أنه " ما أُخذ بالقوة لا يُسترد إلا بالقوة "..!

وصدق والله الشاعر العربي أبو تمام حين أنشد قائلا:

السيف أصدق إنباء من الكتب

في حده الحد بين الجد واللعب

فإلى متى يبقى العرب يحلمون بالحلول السلمية، وقد أظهر لهم الواقع بما لا يدع مجالا للشك أنها أعظم أكذوبة صدقوها..؟!

القدوة قبل الدعوة والعلم مع العمل*

كثيرا ما سمعنا علماءنا الربانيين الذين جربوا السير طويلا في طُرق خدمة الدين يحذرون الوالجين ميدان الدعوة من أمراض النفوس، وغلبة جانب الفجور فيها على جانب التقوى، فالقدوة قبل الدعوة، والعلم مع العمل، وقبل هذا وذاك إخلاص النية وتجديدها أساس صلاح الجهد وحسن العاقبة في الدنيا والآخرة.

ولا يوجد خطر أعظم على الإسلام من خطر متحدث باسمه، مريض الجنان، فصيح اللسان، يحمله الإسلام، ويدعي أنه يحمل الإسلام، يقول فيُسمع لقوله، ولكن قوله مخالف لفعله، ساقط في محذر قوله تعالى: ﴿ **يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ ما لا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتا عِنْدَ اللّهِ أنْ تَقُولُوا ما لا تَفْعَلُونَ** ﴾، ولهذا قال علي بن أبي طالب –رضي الله عنه-: " قصم ظهري رجلان: جاهل متنسك، وعالم متهتك، ذاك يغر الناس بتنسكه، وهذا يضلهم بتهتكه "!

وعن عمر – رضي الله عنه-مرفوعا :(إن أخوف ما أخاف على أمتي: كل منافق عليم اللسان) حديث حسن رواه أحمد والدارقطني، قال الإمام المناوي -رحمه الله- معلقاً: (كل منافق عليم اللسان، أي

* **جريدة البصائر العدد 365 .**

عالم للعلم، منطلق اللسان به، لكنه جاهل القلب والعمل، فاسد العقيدة، مغرٍ للناس بشقاشقه وتفحصه وتقعره في الكلام).

وعن عمر-رضي الله عنه- قال " كنا نتحدث : "إنما يهلك هذه الأمة كل منافق عليم اللسان " ، وكان معاذ —رضي الله عنه-يقول في مجالسه: " احذر زلة العالم، وجدال المنافق ".

ولهذا كان عمر كثيرا ما يستعيذ بالله من المنافق العليم، وقد سئل: "كيف يكون منافقا وعليما ؟، قال: "عالم اللسان، جاهل القلب".

إن اللسان الفصيح في جنان غير الصحيح قد يزين القول حيث الشين، ويشين حيث يجب العدل في الكلام، فيهدم حقا، ويعلي باطلا، ومن أجل هذا وصفوا اللسان بأنه سلاح ذو حدين، وخذ العبرة من هذين المثالين من تراث الأقدمين:

- يُحكى أن الحجاج بن يوسف الثقفي كان له غلامان فصيحا اللسان، أحدهما أبيض اللون، والثاني أسود اللون.

فقال لهما يوما:" ليمدح كلٌ منكما نفسه".

فقال العبد الأسود:

ألم تر أن المسك لا شيء مثله

وأن بيـــاض اللفت حملٌ بدرهمِ

وأن سواد العين لا شك نورها

وأن بياض العين لا شيء فاعلمِ

وقال العبد الأبيض:

ألم ترَ أن البدر لا شيء مثله

وأن جميع الفحم يُشرى بدرهمِ

وأن رجال الله بيض وجوههُم

ولا شك أن السود أهل جهنمِ

فتبسم الحجاج ضاحكا من قولهما وأعتقهما.

وقيل إن بعض وجهاء القوم كانوا يحسدون معن بن زائدة على كرمه وحلمه وصبره فدعوا رجلا سليط اللسان، قوي الحجة في الحق والباطل، سريع البديهة، يحسن الخديعة، وقالوا له :" إذا استطعت أن تثير مَعْنا وتخرجه عن طوره فلك مائة من الإبل، فجاء الرجل بجلد بعير، والدماء تقطر منه، والذباب يحوم حول الجلد، ووضعه على جسمه كالعباءة، ودخل إلى المجلس الذي يجلس فيه معن، وجلس بقربه، وحاول الجند أن يمنعوه من ذلك ، ويخرجوه، فقال لهم :" دعوه وشأنه لنرى ما يريد، فقال الأعرابي :

أتذكر إذ لحفاك جلد شاة

وإذ نعلاك من جلد البعير

فقال له معن:" نعم أذكر ذلك، ولا أنساه يا أخ العرب، فقال الأعرابي:

فسبحان الذي أعطاك مُلكا

وعلمك القعود على السرير

فقال له معن: "سبحانه لا إله إلا هو" .فقال الأعرابي :

فجد لي يا بن ناقصة بشيء

فإني قد عزمتُ على المسير

فقال معن لحاجبه :

"أعطه ألف دينار فأعطاه ألفا".

فقال الأعرابي :

قليل ما مـــننت به وإنـــي

لأطمع منك بالشيء الكثير

فقال معن لحاجبه : " أعطه ألفا ثانية"، فأعطاه إياها، فقال الأعرابي:

فثلِّث إذ ملكت الملك عفوا

بـــلا عـــز ولا جاه خطير.

فقال معن لحاجبه :" أعطه ألفا ثالثة"، فأعطاه، فاستحى الأعرابي وقال:

فأنت البحر ليس له كـــفاء

ومن جدواه كالبحر الكبير.

ورحم الله الإمام علي-رضي الله عنه- حين قال ناصحا: " طلبة هذا العلم على ثلاثة أصناف، ألا فاعرفوهم بصفاتهم وأعيانهم:

- صنف منهم يتعلمون للمِراء والجدل.

- وصنف منهم يتعلمون للاستطالة والختل.
- وصنف منهم يتعلمون للفقه والعمل.

فأما صاحب المِراءِ والجدل فتراه مؤذيا مماريا للرجال، في أندية المقال، قد تسربل بالتخشع، وتخلى من الورع، فدقَّ الله من هذا حيزومه، وقطع منه خيشومه. وأما صاحب الاستطالة والختل فإنه يستطيل على أشباهه من أشكاله، ويتواضع للأغنياء من دونهم، فهو لحلوائهم هاضم، ولدينه حاطم، فأعمى الله من هذا بصره، وقطع من آثار العلماء أثره. وأما صاحب الفقه والعمل تراه ذا كآبة وحزن، قد قام الليل في حندسه (ظلمته)، وقد انحنى في برنسه، يعمل ويخشى، خائفا وجلا من كل أحد إلا من كل ثقة من إخوانه، فشد الله من هذا أركانه، وأعطاه يوم القيامة أمانه".

فانظر أيها السائر في ركب الدعوة من أي الأصناف أنت؟.

حتى لا يصبح الشعر خليطا كيمياويا..! *

كان زهير بن أبي سلمى حكيمَ الشعراء في الجاهلية، وأحد أصحاب المعلقات المشهورة عند العرب، قال ابن الأعرابي عنه: كان لزهير من الشعر ما لم يكن لغيره: كان أبوه شاعراً، وخاله شاعراً، وأخته سلمى شاعرة، وابناه كعب وبجير شاعرين، وأخته الخنساء شاعرة...

ورغم شاعريته الجياشة، وسليقته العربية فقد قيل: كان ينظم القصيدة في شهر وينقحها ويهذبها في سنة، فكانت قصائده تسمّى (الحوليات)، وأشهر شعره معلقته التي مطلعها:

أمن أم أوفى دمنةٌ لم تكلم

بـــحومانة الدراج فالـــمتثلم

كما كان الشاعر الكميت واحدا من كبار الشعراء المجيدين الذين كتبوا روائع شعرية في مدح آل البيت في قصائده المشهورة بـــ"الهاشميات"، بشهادة الفرزدق وإجازته له بنشر شعره بين الناس، فقد روي- كما في كتاب الأغاني- أن الفرزدق قدِم الكوفة، فأتاه الكميت، فقال: يا أبا فراس إنك شيخ مضر وشاعرها، وأنا ابن أخيك الكميت بن زيد، فقال له: صدقت أنت ابن أخي، فما حاجتك؟ فقال: نُفث على لساني، فقلت شعراً فأحببت أن أعرضه عليك، فإن

---

* جريدة البصائر العدد 366 .

كان حسناً أمرتني بإذاعته، وإن كان قبيحاً أمرتني بستره، وكنتَ أول من ستره عليَّ، فقال الفرزدق: أما عقلك فحسن، وإني لأرجو أن يكون شعرك على قدر عقلك، فأنشدني، فأنشده:

طربت وما شوقاً إلى البيض أطرب

لعباً مني و ذو الشيب يلعب

فقال الفرزدق: بلى يا بن أخي، فالعب فإنك في أوان اللعب. فقال:

ولم يلهنـــي دار ولا رسم منـــزل

لـــم يتطربنـــي بنان مخضب

فقال: وما يطربك يا بن أخي!؟

فقال:

ولا أنا مـــمن يزجر الطير هـــمّه

أصاح غراب أم تعرض ثعلب

ولا السانـــحات البارحات عشية

أمَـــرَّ سليم القرن أم مر أعضب

فقال: أجل لا تتطير.

فقال:

ولـــكن إلى أهل الفضائل والتقى

وخيـــر بني حواء، والخير يطلب

فقال: ومن هؤلاء ويحك!!؟

فقال:

إلى النفر البيض الذين بـــحبّهم

إلـــى اللّه فيما نالنـــي أتقرّب

فقال: أرحني ويحكَ، مَنْ هؤلاء!!؟

فقال:

بنـــي هاشم رهط النبي فإننـــي

بهم، ولهم أرضى مراراً وأغضب

فقال الفرزدق: يا بن أخي، أذع، ثم أذع، فأنت - واللّه - أشعر من مضى، و أشعر من بقي".

ورغم ذلك فقد ذكر الجرجاني- في كتابه "الوساطة بين المتنبي وخصومه"- قول الأصمعي في الكميت:"جُرمُقانيّ من جَراميق الشام لا يُحتجّ بشعره"..!

تخيلتُ وأنا أستمع إلى ما يُسمى بشعر بعض الشعراء-مجازا- في ندوة أدبية دُعيت إليها في الأسبوع الماضي أن شيخنا الأصمعي كان حاضرا في ذلك المجلس، وسألته عن رأيه في الشعر الحر- وما هو بِحُرٍّ - الملقى على مسامع الحاضرين الذين صفقوا له، وأجزم أنهم لم يفهموا شيئا مما سمعوه من لغو، ويا أسفاه، فقد أصبح الشعر العمودي الخليلي غريبا في مسابقات الشعر، وغير مؤهل لينال جائزة من جوائزها، لأننا نعيش عصر "الحداثة" و"ما وراء الحداثة"، فأجابني قائلا بصراحته المعهودة،

وعبقريته المشهودة:" يا بني، هذا ليس بشعر ولا بنثر، إنه ببساطة خليط كيمياوي من إنتاج عصركم المجنون" ثم تركني غاضبا وانصرف دون أن يودعني..!

وتخيلتُ شيخنا ابن رشيق صاحب كتاب "العمدة" جالسا خلفي، وقد ضرب على كتفي، بعد أن استمع إلى حديثي مع الأديب الألمعي شيخنا الأصمعي فقال لي:"اسمع يا هذا، قد قُسِّم الشعراء من حيث إجادتهم إلى طبقات: فأعلاهم كعباً يقال له شاعر خنذيذ، أي شاعر جيد وراوٍ للجيد. وشاعر مفلق، وهو جيد الشعر، دون أن يكون راوياً كالأول.ثم شاعر فقط، وهو من كان فوق الرديء بدرجة.

وشعرور وهو لا شيء.

وأظن أن أحسن اسم يطلق على مثل شعرائكم هؤلاء الذين لم يرتقوا إلى مرتبة "شعرور" هو اسم "بعرور"، وأحمد الله أن وقانا شر وجودهم في أيامنا الغابرة ".

وهؤلاء هم الذين سخِر منهم أديب العربية المرحوم مصطفى صادق الرافعي فقال:" إنهم يريدون أن يجددوا الدين واللغة والشمس والقمر؟!

وقال فيهم شوقي في قصيدته عن"الأزهر":

لا تحذو حذو عصابة مفتونـــة

يجدون كل قديم شيء منكراً

ولو استطاعوا في المجامع أنكروا

من مات من آبائهم أو عُمِّرا

من كل ساع في القديم وهدمه

وإذا تقدم للبناية قصـــــرا !

لقد قرأتُ لشعراء ما يسمى بالشعر الحر أو التفعيلة على اختلاف توجهاتهم وإيديولوجياتهم أمثال: عبد الوهاب البياتي، ونازك الملائكة، وبدر شاكر السياب، ومحمود درويش، ومظفر النواب، ونزار قباني، وأحمد مطر، وسميح القاسم ، فوجدت أن هؤلاء رغم ولوجهم هذا العالم الشعري الجديد لم يفقدوا عربيتهم السليمة الفحلة، ولم يُخنِّثوها أو يضعفوها كما فعل "البعارير"، بل إن شعر هؤلاء الكبار هو أقرب للشعر العمودي في أحيان كثيرة، فهم أصحاب دراية بعلم الخليل "العروض"، ولم يفروا منه كغيرهم إلى كتابة الشعر الحر بسبب استصعابهم النظم على الأوزان والقوافي، وقد عرّف بعض النقاد الشعر بأنه "كلام موزون مقفىّ، دال على معنى، ويكون أكثر من بيت"، والغريب أن بعاريرنا ظنوا أنهم لكي يجيدوا هذا الضرب من الشعر المسمى بالحر فعليهم أن يتقعروا ويتفيهقوا ويتخلصوا من الوزن والقافية والمعنى، فالشاعر منهم يكتب قصيدة لا يفهمها هو نفسه، ويحتاج لمن يشرحها له، فكيف يفهمها الآخرون..؟!

لقد كان الشعر قديما يسمى ديوان العرب، وأخشى ما أخشاه أن يصبح الشعر في زمان الجراميق الجدد ديوانا للمجانين والمعتوهين..!

وصدق دعبل الخزاعي حين قال:

يموت رديء الشعر من قبل أهله

وجيده يبقى وإن مات قائـــــــــــــــله

السلطان وبطانة الخير "رجاء بن حيوة نموذجا" *

لا يستطيع السلطان أن يُسيِّر أمور سلطانه بمفرده فهو يحتاج إلى بطانة تساعده على تحمل أعباء المسؤولية، وأداء الواجب بحزم، وترشده إلى الخير وأهل الخير، حتى لا يكون للشر أو أهل الشر منفذ، وبطانة السلطان بطانتان: إما بطانة خير بها تُعمّر البلاد، ويصلح العباد، وإما بطانة شرّ بها تُخرب البلاد، ويفسد العباد..!

فعن أبي سعيد وأبي هريرة –رضي الله عنهما– أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قال :(ما بعث الله من نبي ولا استخلف من خليفة إلا كانت له بطانتان: بطانة تأمره بالمعروف وتحضه عليه، وبطانة تأمره بالشر وتحضه عليه، والمعصوم من عصم الله) رواه البخاري.

وعن عائشة –رضي الله عنها– قالت: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–:(إذا أراد الله بالأمير خيراً، جعل له وزير صدق إن نسي ذكره، وإن ذكر أعانه، وإذا أراد به غير ذلك، جعل له وزير سوء، إن نسي لم يذكره، وإن ذكر لم يعنه) رواه أبو داود بإسناد جيد.

ولهذا فإن اختيار نوع البطانة من طرف السلطان من أصعب الأمور وأخطرها على الإطلاق، وهذا ما أوضحه الإمام طاووس بن كيسان للخليفة العادل عمر بن عبد العزيز–رضي الله عنه– حين أرسل إليه

---

* جريدة البصائر العدد 367 .

رسالة يستنصحه فيها فكتب إليه طاووس رسالة في سطر واحد قال فيها:

"إذا أردت أن يكون عملك خيرا كله، فاستعمل أهل الخير، والسلام".

وهل جار السلطان في زماننا إلا بعد أن هجر القرآن، واتخذ جار السوء، وبطانة البطنة التي تزين له السيئات وتعميه عن الحسنات، وتنسيه حق الرعية التي استرعاه الله وهو أجيرهم قبل أن يكون أميرهم ...وكيف لا يجور السلطان وقد فقدت مجالسه أمثال عطاء بن رباح الذي دخل على الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك فقال له :" اتق الله في نفسك يا أمير المؤمنين، واعلم أنك خُلقت وحدك، وتموت وحدك، وتُحشر وحدك، وتُحاسَب وحدك، ولا والله ما معك ممن ترى أحد..." فأكب هشام ينكتُ في الأرض وهو يبكي.؟!

ومن أروع النماذج الإنسانية التي مثلت بطانة الخير في التاريخ رجل عالم فاضل يُسمى رجاء بن حيوة الذي عاش زمنا طويلا مع السلطان فلم يتغير ولم يتبدل، بل كانت معاشرته له خيرا على الأمة وبركة، وكان وزير صدق مخلص النصيحة لله -عز وجل-، وانظر إلى هذا الموقف الجليل الذي وقفه رجاء بن حيوة في أخطر لحظة في حياة السلطان...

"حين مرض سليمان بن عبد الملك كتب الخلافة لبعض بنيه وهو غلام صغير ، فقال له رجاء بن حيوة: ما تصنع يا أمير المؤمنين ! إنما يحفظ الخليفة في قبره أن يستخلف على المسلمين الرجل الصالح، فاستخار

سليمان الله، ثم دعا رجاء بن حيوة فقال له: ماذا ترى في داود بن سليمان ؟ فقال: هو غائب عنك في القسطنطينية و أنت لا تدري أحي هو أو ميت ! فقال له سليمان : فمن ترى ؟ قال: رأيك يا أمير المؤمنين – وهو يريد أن ينظر من يذكر – . فقال سليمان : كيف ترى عمر بن عبد العزيز ؟ قال : أعلمه و الله خيراً فاضلاً مسلماً، فقال سليمان: هو و الله على ذلك، والله لئن وليته و لم أول أحدا سواه لتكونن فتنة، فكتب: (بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتابٌ من عبد الله سليمان بن عبد الملك لعمر بن عبد العزيز، إني قد وليتك الخلافة من بعدي، ومن بعده يزيد بن عبد الملك، فاسمعوا له وأطيعوا، و اتقوا الله ولا تختلفوا فيُطمع فيكم) فدخلوا على سليمان وسمعوه وبايعوه رجلاً رجلاً ثم خرج بالكتاب مختوماً في يد رجاء بن حيوة.

قال رجاء: "فلما تفرقوا جاءني عمر بن عبد العزيز فقال: أخشى أن يكون هذا أسند إلي شيئاً من هذا الأمر، فأنشدك الله وحرمتي و مودتي إلا أعلمتني إن كان ذلك حتى أستعفيه الآن قبل أن تأتي حال لا أقدر فيها على ما أقدر عليه! قال رجاء : لا و الله ما أنا بمخبرك حرفاً ؛ قال: فذهب عمر غضبان.

خرج رجاء بن حيوة بعد أن قبض الله سليمان ونادى كعب بن جابر العبسي صاحب شرطته وجمع أهل بيت سليمان في مسجد دابق فاجتمعوا ، فقال : بايعوا، فقالوا : قد بايعنا مرة، قال: وأخرى هذا عهد أمير المؤمنين فبايعوا، فلما أحكم رجاء بن حيوة الأمر قال: قوموا

إلى صاحبكم فقد مات، قالوا: إنا لله و إنا إليه راجعون، و قرأ الكتاب عليهم.

تغيرت وجوه بني مروان، ونهض الناس إلى عمر بن عبد العزيز وهو في مؤخر المسجد، و لم تحمله رجلاه فأصعدوه على المنبر، فسكت حيناً، فقال رجاء بن حيوة :ألا تقوموا إلى أمير المؤمنين فتبايعوه، فنهض القوم فبايعوه فخطب الناس خطبةً بليغة، فحمد الله و أثنى عليه ثم قال :(أيها الناس إنه لا كتاب بعد القرآن، ولا نبي بعد محمد-صلى الله عليه وسلم-، ألا وإني لست بفارضٍ ولكني منفذ، و لست بمبتدع، ولكني متبع ، ولست بخير من أحدكم ، ولكني أثقلكم حملاً ، وإن الرجل الهارب من الإمام الظالم ليس بظالم ، ألا لا طاعة لمخلوقٍ في معصية الخالق).

رحم الله الإمام الوزير القدوة رجاء بن حيوة الذي كان يدرك أن المستشار مؤتمن، وأن خدمة الأمة بإخلاص عبادة يحبها الله، ومن غش الراعي والرعية فلا صلة بينه وبين الإسلام إلا بالإسم حتى وإن صلى وصام، قال الصادق المصدوق: " من غش فليس مني" وفي رواية" من غشنا فليس منا " وفي رواية " ليس منا من غشنا "رواه مسلم.

وعن معقل بن يسار المزني- رضي الله عنه- أنه قال في مرضه الذي مات فيه: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: " ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاشٌ لرعيته إلا حرّم الله

عليه الجنة" رواه البخاري ومسلم واللفظ له، وأحد لفظي البخاري: " ما من مسلم يسترعيه الله رعية فلم يحطها بنصحه لم يجد رائحة الجنة".

ملاحظات سريعة عن الحركة الإسلامية بالجزائر*

جميل أن يراجع الإنسان نفسه بين الحين والآخر، وينظر قليلا إلى الخلف كي يبصر مواضع خطوه حتى يرى أين تعثر، وكيف اجتاز العقبات دون أن يفقد توازنه!

وما يقال عن الإنسان يقال أيضا عن الحركات والهيئات والمؤسسات التي تحمل فكرةً ومشروعا تقدمه للناس، وتسعى لتجسيده على أرض الواقع.

إنها مطالبة بمراجعة مسيرتها ودارسة أسباب ضعفها وفشلها، وأسباب قوتها ونجاحها، حتى تسير نحو المستقبل وهي أكثر دراية وثقة!

تاريخ الحركة الإسلامية في الجزائر يحتاج إلى دراسة متأنية وعميقة بعيدا عن أحكام العاطفة الجياشة التي لا تتقيد بعدالة العقل، فأغلب ما كُتب في هذا المجال ما هو إلا محاولة للتأريخ غير التحليلي- بأقلام تقدس الذات أكثر مما تنتقد الذات- لماضي الحركة الإسلامية في بلادنا بعد أن أنعم الله -عز وجل- بالحرية على شعبها المسلم، وبالضبط عن تجربتها بعد الانفتاح والتعددية الحزبية التي تُعد مرحلة مليئة بالدروس والعبر..!

كما لابد من الإشارة إلى أن هناك مجموعة من الكتابات غير البريئة التي أرَّخت للحركة الإسلامية المعاصرة، وحاولت تشويه تاريخها من

---

* جريدة البصائر العدد 368 .

منطلق مخاصمة الفكرة الإسلامية، ومحاولة اعتراض طريقها بأي وسيلة كانت حتى ولو كان ذلك بتزوير التاريخ وتشويه الوقائع..!

إننا بـــحاجة إلى إعادة كتابة تاريخ الحركة الإسلامية في الجزائر ودراستها دراسة أكاديمية نقدية من طرف مجموعة واعية من الباحثين الممتازين يُؤطرهم مركز بحثي مستقل ويوفر لهم كل الوسائل المطلوبة من أجل هذه المهمة، وأول هذه الوسائل هي توفير الجو الملائم المتمثل في"حرية التفكير" وتعيين السلبيات قبل الايجابيات وانتقادها بطريقة بناءة، واقتراح العلاج في إطار حركة الفكر لا فكر الحركة حتى نسير نحو المستقبل بخطى ثابتة..!

إن " تقديس الخطأ " تحت أي مُسمّى هو لون من ألوان اتباع الهوى وتأليهه، وهذا ما حذر منه القرآن الكريم في قوله تعالى:﴿ **أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا** ﴾ **سورة الفرقان الآية 43.**

كما أن الانغلاق على الذات دون الاستفادة من النقد البناء المخلص – من أي وعاء خرج- الذي يكون بعيدا عن التجريح والتزوير وهدم الآخرين، عمل غير صالح، ومطلوب أن ينزع كثير من أبناء الحركة الإسلامية في الجزائر – وعلى رأسهم قياداتهم- من أذهانهم فكرة أن "الاختلاف دليل على الخلاف" حتى نتخلص من القاعدة التي أصبحت عقدة نفسية خطيرة وهي "من لم يكن معي فهو ضدي" ونحسن الظن

بمن يهدي للحركة الإسلامية عيوبها على مذهب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب-رضي الله عنه- القائل:" رحم الله امرءا أهدى إلي عيوبي" وهو مذهب فَلْسَفَهُ أحد كبار فلاسفة الغرب "إمانويل كانط" فيما بعد بقوله:" النقد هو أهم وسيلة بناء طوَّرها الإنسان"...

إن الحركة الإسلامية في الجزائر رغم ما أصابها من سقطات وهزات في الآونة الأخيرة قادرة على تصليح المسار ليستقيم، وإعادة ربط الثقة بينها وبين جماهير عريضة من الناس، واستئناف المسيرة بقوة إذا عرفت كيف تتخلص من الأخطاء، وتقضي على الأدواء، يراها بعض العاملين في حقل الإسلام هينة وهي عظيمة، وأعظم هذه الأدواء وأخطرها أن تُعطى الأولوية للسياسة على حساب التربية، ويتحول الحزب إلى دعوة والدعوة إلى حزب، ويطغى الولاء للهيئة والمؤسسة على الولاء للإسلام ودعوته، فتصير الوسيلة في حد ذاتها غاية والغاية وسيلة، وهذا من تلبيس إبليس في عقول وقلوب كثير من الأحبة السائرين معا نحو الهدف..!

ولعله من فرض القول، وليس من نافلته، أن نُذكِّر – في هذه الخطوط العريضة السريعة- بأهمية مراجعة دوافع النفس للفرد العامل في الحركة الإسلامية وهو يتحرك باسم الإسلام في أي موقع، ويستنصح بقول العلامة الشيخ محمد الغزالي-رحمه الله- الذي قال في كتابه (مشكلات في طريق الحياة الإسلامية):" إنني أقوم بالعمل أحيانا، ثم أراجع دوافعه في نفسي، فأشعر أني لم أكن فيه مخلصا كما ينبغي! غلبني حب الدنيا

أو الاعتداد بالنفس، فأحس الألم والندم، وأرى أني -بهذا الخلط- لا أصلح لولاية الناس، وجعل كلمة الله هي العليا...ذلك أن الله عندما يهلك الظلمة لا يستخلف بعدهم ظلمة مثلهم، إنما يستخلف مسلمين عدولا صالحين، قال تعالى موضحا سبيل من يؤيدهم من خلقه:﴿ **وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّل الْمُتَوَكِّلُونَ، وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ، وَلَنُسْكِنَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ﴾ سورة إبراهيم الآية 12-14.**

وهناك نصاب من الكمال النفسي والعقلي لابد من تحصيله لمن يريد خدمة الدين، وإقامة دولة باسمه...".

سرُّ عدم اعتذار فرنسا للجزائريين..! *

في الفترة الأخيرة جرت مجادلات حادة بين الوطنيين المخلصين من الجزائريين والمتورطين الاستعماريين الفرنسيين حول مسألة الاعتذار عن الماضي الاستعماري البغيض الذي صنعته فرنسا العجوز بقتل الملايين من الجزائريين الأبرياء، ونهب ثروات الجزائر طيلة قرن وثلاثين سنة، والأخطر من هذا وذاك أنها سعت لفصل الجزائر عن هويتها العربية الإسلامية بكل الوسائل الشيطانية، فلوثت اللسان والعقل، ثم خرجت من أرض الجزائر الطاهرة مرغمة بعد محاولات يائسة للبقاء بسبب ضربات المجاهدين المؤمنين الموجعة، إلا أنها كعادة الأبالسة الماكرين لم تخرج حتى تركت من خلفِها جزائريين يتكلمون بلسانها، ويفكرون بعقلها، ويحبونها كحب الله أو أشد، عملوا على إتمام مسيرة فرنسا ورسالتها بإخلاص وإتقان، فحققوا لها في الاستقلال ما عجزت هي عن تحقيقه أيام الاستدمار، فأي الفريقين أكثر إجراما في حق الجزائر وشعبها.؟!

إنها إستراتيجية الجنرال دوغول التي وضعها قبل الانحناء للثورة المؤمنة، ليستمر وجود فرنسا بعد الاستقلال من خلال أجساد جزائرية تحمل روحَ فرنسا، أو مسكونة بعفريت من الشياطين يُسمى فرنسا، فقال كما جاء في مذكراته:(الأمل):"...**هل يعني هذا أننا إذا تركناهم**

---

* جريدة البصائر العدد 369 .

يحكمون أنفسهم يتحتم علينا التخلي عنهم بعيدين عن أعيننا وقلوبنا!؟ قطعا لا! فالواجب يقتضي منا مساعدهم لأنهم يتكلمون لغتنا، ويتقاسمون معنا ثقافتنا"، ثم يقول في مكان آخر من مذكراته:" **ستبقى الجزائر فرنسية من عدة أوجه، وستحافظ على الطابع الذي اكتسبته مثلما احتفظت فرنسا بالطابع الروماني...تلك هي إستراتيجيتي التي انتهجتُها في سياستي**".

وهذا ما تفطن له بعض كبار قادة الثورة أيام الجهاد المبارك، فحاولوا ما استطاعوا أن يعدُّوا للجزائر رجالا يخوضون بعد الاستقلال معركة التصدي للغزو الثقافي والخيانة الفكرية التي تولى كبرها رجال فرنسا في الجزائر المستقلة...

يروي شيخنا محمد الصالح الصديق–أطال الله عمره– في كتابه عن المجاهد البطل الشهيد العقيد عميروش أنه قال له مرة وهو يودعه الوداع الأخير:(" **إن الجزائر ستستقل بحول الله، واستقلالها هو هدف الجميع الذي يجب أن نبذل من أجله كل ما نملك من غال ونفيس، ولا يجوز أن يشغلنا عنه أي شاغل سواء أكان داخل الجزائر أم خارجها**".

ثم أخرج ساعة من جيبه فضبطها على ساعته فأهداها إليَّ قائلا:" خذها لتعدّ بها أيام الاستعمار الباقية في الجزائر وهي قليلة، وبعد

الاستقلال سنخوض معركة أخرى من أجل قيمنا وإسلامنا ولغتنا العربية، فذلك هو الجهاد الأكبر").

يقول المفكر المؤمن مالك بن نبي –رحمه الله– في كتابه (مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي):" **لقد أحدث الاستعمار العديد من الظواهر، ومن بينها ظاهرة خاصة نتيجة للظواهر السابقة وهي ظاهرة الازدواج اللغوي التي ترك أثرها ومفعولها المباشر على الظواهر الثقافية في البلاد، ونذكر نموذجين للازدواج اللغوي تركه الاستعمار وما يزال قويا إلى الآن (1970) وأول هذه البلدان مصر: حيث اللغة الإنجليزية تؤثر وتستحوذ على ميدان حي من العمل الفكري في المجال الجامعي حيث التدريس من المواد العلمية بها.**

غير أن هذه الازدواجية لا نجد لها أثرا إلا في المجال الفكري العالي والثقافة الراقية لطبقة عليا في المجتمع...والبلد الثاني الذي يعيش الآن ازدواجية لا مثيل لها في العالم هو الجزائر، حيث إنها لم تتوقف عند حد المجال الفكري الجامعي، وإنما امتدت إلى كل المجالات الحيوية الأخرى والحياة اليومية للمجتمع، والازدواج هنا أخطر بكثير لأنه ازدواج شعبي على مستوى القاعدة العريضة للمجتمع!).

فكيف يعتذر الرئيس الفرنسي –نيكولا ساركوزي– الذي حصل على دعم اللوبي اليهودي للفوز بالانتخابات الرئاسية– للشعب الجزائري

عن ماضي بلاده الاستعماري الأسود باسم الدولة الفرنسية، وفي الجزائر مِنَ الجزائريين من يعتقد أن الحقبة الاستدمارية الفرنسية كانت نعمة على الشعب الجزائري، ولا يرون داع للاعتذار، و5000 مسؤول بجنسية فرنسية جزائرية(مزدوجة) يتقلدون مناصب في الأجهزة الرسمية كما قيل، فهل يكون الرئيس الفرنسي الذي يسيل لعابه على 150 مليار دولار الموجودة في خزينة الجزائر أكثر جزائرية من الجزائريين أنفسهم!؟

إن الجزائر التي ضحى من أجلها الملايين من الشهداء لن تقف الند للند مع فرنسا كما كانوا يحلمون إلا حينما تتطهر أرضها من بَـيْضِ فرنسا الذي تركته في الجزائر قبل فرارها منها مدحورة، ولن يكون ذلك إلا بجهاد فكري وثقافي من رجال مخلصين يتبنون الوطنية مع الإسلام عقيدة يواصلون مسيرة التنوير بعد التحرير، ويومها ستعتذر فرنسا للجزائريين رغم أنفها، ويحق لنا أن نغني بعد ذلك:" يا محمد مبروك عليك الجزاير رجعت ليك".